الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 403 - من الثلاثاء 23 إلى الاثنين 29 أفريل 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

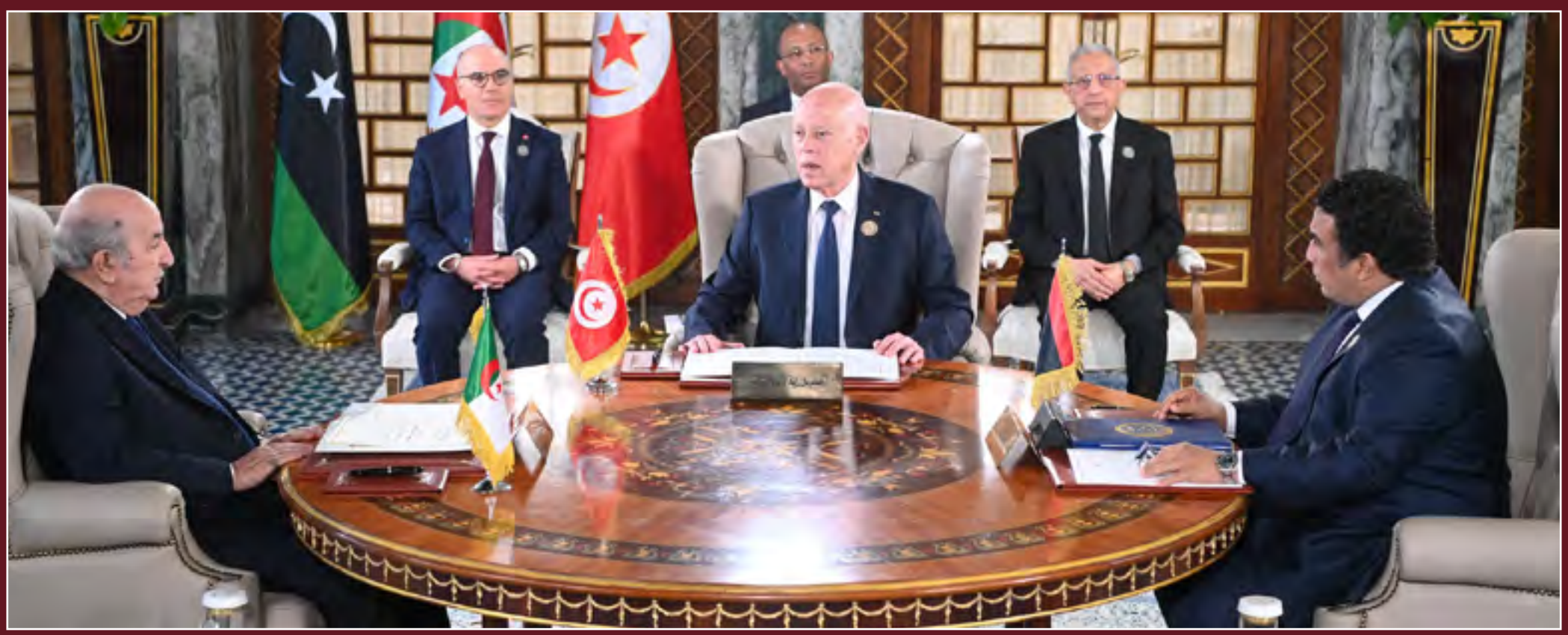

قمة مغاربية أم لقاء ثلاثيّ انقسامي؟

«حريق رادس» :
انتدابات مشبوهة وفساد واستهتار «مدمني مخدرات» بإجراءات السلامة

خالد بتين ر.م.ع «عجيل»: إخلالات سابقة قد تكون ساهمت في حريق 14 مارس

أرقام صادمة تلخّص انهيار قيمة العمل في تونس

إنتاجية العامل التونسي أقل 14 مرّة من انتاجية الألماني حسب صندوق النقد

• قدرة العمل عند التونسي أقل بـ 40 ٪ من العمال الأجانب

افتتاحية

الهجرة، حصان طروادة اليمين الأوروبي

بقلم :مسعود الرمضاني

الهجرة، حصان طروادة اليمين الأوروبي

بقلم : مسعود الرمضاني

سنة 1995، وقّع الاتحاد الأوروبي اتفاقية شراكة سميت "اعلان برشلونة " مع العديد من بلدان جنوب المتوسط، تضع ضمن بنودها توطيد الديمقراطية وحقوق الانسان ونشر قيم التسامح ومواجهة كل أشكال العنصرية والتطرف وكره الأجانب كضمان للاستقرار والأمن والتطور الاقتصادي في فضاء المتوسط. وكانت هذه المبادئ إحدى وسائل الضغط التي تستعملها المنظمات الحقوقية، في جنوب المتوسط وشماله، حتى تكون الشراكة في مستوى المقاربة، خاصة عند مواجهة استبداد الأنظمة في المنطقة. وان لم يكن الدفاع عن هذه القيم دائما بالنجاعة المطلوبة، فإنها كثيرا ما تحرج حكومات دول الشمال عند تساهلها مع ضرب الحريات. كما انها كانت مجدية، أحيانا، في مواجهة بعض حوادث العنصرية، التي تظهر من حين الى آخر في أوروبا .

"اليوم منظار مراقبة الهجرة فقط"

الا ان هذا "الشرط" على رخاوته ومحدودية استعماله بدأ يفقد كل مبررات وجوده، في العقدين الأخيرين، وذلك لأمرين متلازمين، أولهما صعود اليمين المتطرف في عديد البلدان الأوروبية، يمين استغل الازمات الاقتصادية المتتالية ليجعل من قضايا الهجرة حصان طروادة، ومحور حملاته الانتخابية، وكذلك تزايد عدد المهاجرين غير النظاميين، وذلك رغم تكثيف الحراسة وتشديد الإجراءات الأمنية وتصدير الحدود الأوروبية الى بلداننا.

اليوم، تقول أنا كنول، الخبيرة في شؤون الهجرة لدى مركز أبحاث العلاقات الافريقية الأوروبية ببروكسل "ينظر الاتحاد الأوروبي الى العلاقات مع تونس والدول الأخرى في ضفة جنوب المتوسط من منظار الهجرة فقط."

في هذا السياق، تكررت زيارات السيدة جورجيا ميلوني، رئيسة حزب "اخوة إيطاليا" اليميني المتطرف ورئيسة وزراء إيطاليا، لتصل الى اربع مرات لبلادنا في اقل من سنة، فتونس بلد منشأ للهجرة، تدفع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، منذ 2011، بآلاف المواطنات والمواطنين لركوب البحر سنويا، رغم الصدّ الأوروبي والمخاطر الجمة في البحر، وهي كذلك بلد عبور تستقبل سنويا الاف المهاجرين الافارقة من جنوب الصحراء، الذين تجبرهم عوامل طاردة مثل الحروب الاهلية والفقر والأزمات السياسية والتغيّرات المناخية على القدوم الى تونس، ليس للاستقرار، بل لتحيّن فرص التسلل الى شمال المتوسط.

مخطط ماتيي (plan Mattei)

حسب العدد الأخير من أسبوعية "جون افريك"، فان السيدة ميلوني "مطالبة بمزيد الضغط على تونس حتى تقبل لتكون حدودا متقدمة لأوروبا، من خلال التحكم في تدفق المهاجرين غير النظاميين وحتى ضرورة احتجازهم ". ولكن رغم الجهود المبذولة من قبل السلطات التونسية لإيقاف التسلل نحو السواحل الإيطالية، حيث تمّ منع حوالي 8 الاف وخمسمائة مهاجر غير نظامي خلال الثلاثة اشهر الأولى من هذه السنة، ورغم تكثيف المراقبة البحرية وتوفير العدة والعتاد لحرس البحر، فإن حوالي 1400 وصلوا الى الحدود الإيطالية، وهو رقم مرشح للتصاعد مع تحسن الظروف المناخية وهدوء مياه البحر.

السيدة ميلوني، التي وقّعت ثلاث اتفاقيات مع الحكومة التونسية، منها مساعدة مالية تقدر بـ 50 مليون اورو للميزانية وتسهيلات ائتمان بقيمة 55 مليون اورو للشركات الصغرى والمتوسطة واتفاق تعاون جامعي، تسعى الى تطبيق مخطط "ماتيي"(plan Mattei) مع بلدان جنوب المتوسط الذي يرمي، حسب تصريحها خلال القمة الإيطالية الافريقية في السنة الماضية، الى "معالجة الأسباب الجذرية للهجرة" غير النظامية عبر تكثيف المساعدات وبناء المشاريع في بلدان المنشأ والعبور، بقطع النظر عن طبيعة أنظمة حكمها، وهو مخطط يجب ان يقرأ على انه استغلال لازمة الحوكمة والظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة في دول جنوب المتوسط من اجل تبني رؤية اليمين الأوروبي بخصوص حتمية إيقاف تدفق المهاجرين ...

حسابات الانتخابات الأوروبية

لكن بتركيزها المتكرر على الدول الافريقية، وخاصة منها المطلة جنوبا على المتوسط، تريد ميلوني ان تضرب أكثر من عصفور بحجر واحد. أولا تأمين الامدادات بالطاقة للدول الأوروبية، خاصة بعد الازمة مع روسيا وثانيا ضمان الانتخابات الأوروبية القادمة لليمين المتطرف عبر إظهار قدرته على محاصرة الهجرة بالتوافق والتعاون الأمني القوي مع بلدان المنشأ والعبور ...

الا ان المؤسسات الأوروبية لا ترى، كلّها، الأمور بعيون اليمين المتطرف. فالسرعة التي امضيت بها اتفاقية الشراكة مع تونس في جويلية الماضي والظروف التي حامت حولها، اثارت حفيظة جل المنظمات الحقوقية الأوروبية لإغفالها الإشارة الى حقوق الانسان واحترام المهاجرين وعدم التنكيل بهم. كما أشار اغلب البرلمانيين الأوروبيين في تصويتهم خلال شهر مارس الماضي الى ان هذه "الاتفاقية لم تحترم الإجراءات الجاري بها العمل". "فقد قامت المفوضية الأوروبية، برئاسة ارسولا فان دير لاين، بصرف 150 مليون اورو كدعم لميزانية تونس دون الرجوع الى النواب ودون احترام الشروط الدنيا التي تفرضها المعايير الأوروبية لتنفيذ الجانب المالي من مذكرة التفاهم." النواب الأوروبيون رأوا ان العجلة التي تم بها صرف المبلغ دون التأكد من ان تونس تحترم الشروط الأوروبية في احترام حقوق الانسان عند تقديم أي مساعدة تثير أكثر من تساؤل."

لن ينفع جدار الصدّ

هكذا، رغم سعي الحكومات الأوروبية اليمينية لإمضاء اتفاقيات مع دول جنوب المتوسط، لاظهار مدى قدرتها على إيقاف الهجرة، فإنه لازالت داخل الفضاء السياسي الأوروبي عديد الأصوات المنادية بمقاربة أكثر شفافية مع ضرورة احترام حقوق الانسان وحق اللجوء واشتراط احترام هذه القيم عند التعامل مع دول الجنوب، وأصوات، في اغلبها من اليسار والخضر والليبراليين، قد تحاصرها اكثر الانتخابات القادمة التي تنبئ بتزايد تأثير اليمين المتطرف، خاصة مع تعقّد الازمة الاقتصادية التي ضاعفتها الحرب الروسية- الاوكرانية و تدفق الاعداد الهائلة من المهاجرين من الجنوب، كي تتحول الهجرة من ظاهرة إنسانية واقتصادية واجتماعية، الى ذريعة للصدّ والانغلاق واداة ابتزاز تستعملها الأحزاب اليمينية مع بلدان جنوب المنطقة، المنهكة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. وفي الاثناء يواصل المهاجرون غير النظاميين وطالبو اللجوء الذين لفظتهم اوطانهم ركوب قوارب الموت غير عابئين بالاتفاقيات التي تمضى من وراء ظهورهم ولا بمخاطر ركوب قوارب الموت، اذ كما قال احدهم "نحن في كل الأحوال ميّتين في بلداننا."

قمة مغاربية أم لقاء ثلاثيّ انقسامي؟

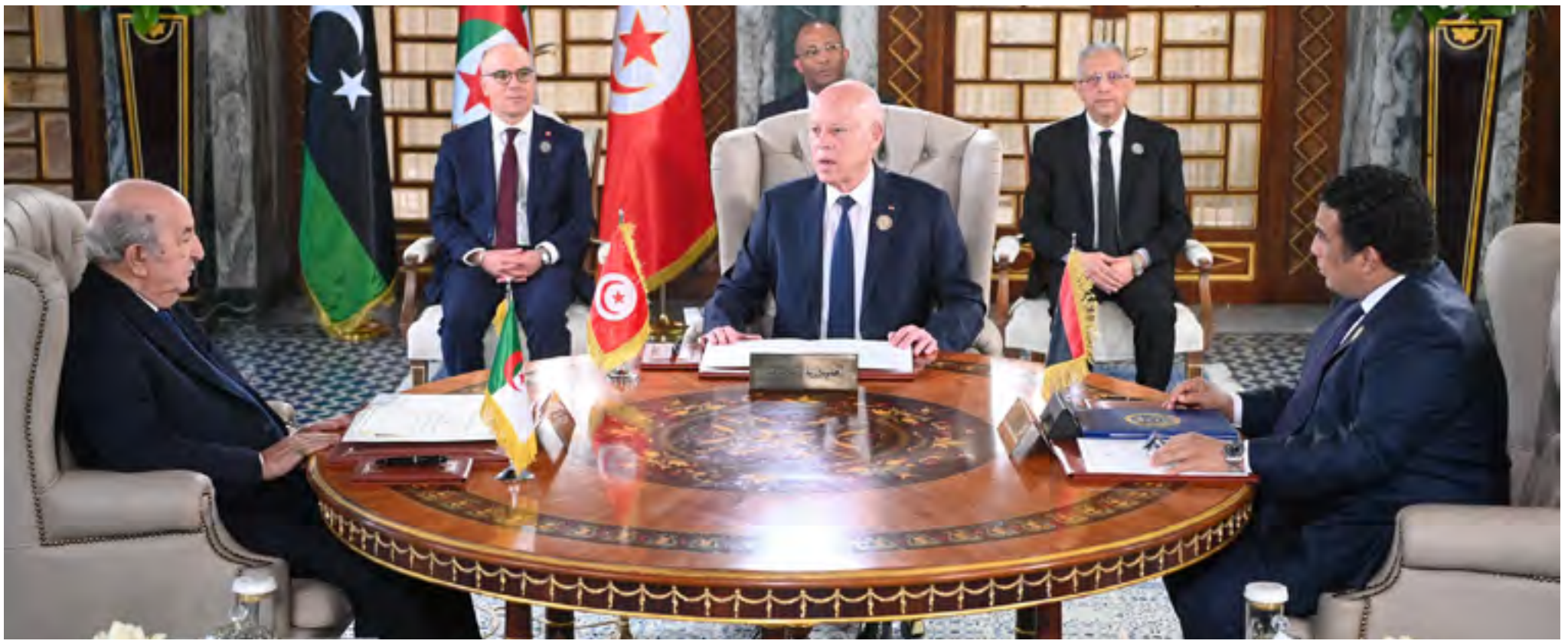

صالح مصباح

قبل أن يتأسّس" اتحاد المغرب العربي" الخماسي، كانت المعاملات التجارية بين بلدانه تدور في فلك 3%. وكان من أهداف التأسيس تصويب هذا الخلل تصوبيا ترافقه حزمة من الأهداف التي طمحت إليها الشعوب بناء على ما روّج وقتئذ الساسةُ المؤسسون.

إلا أنّ ذلك الوضع لم يتغير بعد التأسيس بالقدر اللافت قياسا بمعدل المعاملات بين الدول الخمس، واستمر لكل دولة خطها التجاري الغالب بعيدا عن بقية الخطوط المغاربية. ولم تشهد تلك المعاملات تطورا ذا شأن إلا ما كان منها ثنائيا. ولعل الأظهر منها هو ما كان بين تونس وليبيا خلال سنوات الحصار الذي ضربه الغرب على حكم القذافي.

ورغم أن اتحادا مغاربيا هو مصير لا محيد عن وجاهته، فإنه قد استمرّ دالا لغويا باهت المدلول، عديمَ المرجع إلى حد كبير. فهو، مؤسسيا، أمانة عامة جامدة أو مجمّدة وهو، فعليا، قمم ولقاءات وبيانات. لا بل صار مجرد انعقاد قمة خماسية غايةً تُطلَب فلا تُدرك.

1/ثلاثة من خمسة

انعقد في تونس الإجتماع التمهيدي لمشروع القمة المغاربية التي دعت إليها الجزائر. وكانت النية متجهة إلى عقدها في تونس. تحفظت على ذلك الاتجاه المغرب وليبيا- الغرب- تحفظا بلغ الرفض. تمسكت المغرب بموقفها وتراجعت عنه ليبيا. ثم راج أن الجزائر تسعى إلى احتضانها، فاحتدّ رفضُ الرباط التي رأت في احتمال انعقادها بالجزائر عدوانا عليها وعلى"الاتحاد". وفي كل ذلك لزمت تونس الصمت، ربما ليؤول إليها الأمر على نحو ما كان مقررا في البدء، ولزمته موريتانيا تجنبا للحرج بينها وبين الجزائر إن رفضت وبينها وبين المغرب إن قبلت. واستقر أخيرا الأمر على تونس. لكن الحضور اقتصر على ثالوث الدولة الحاضنة وعلى ليبيا ممثلة بحكومة الغرب وعلى دولة الجزائر. فقد امتنعت المغرب عن الحضور تمسكا بموقفها السابق وامتنعت عنه موريتانيا تجنبا لحدوث توتّر بينها وبين المغرب. وقد تحفظت الرئاسة التونسية في بلاغها على اعتبار الحضور الثلاثي "قمة اتحادية" فاستعملت عبارة "لقاء ثلاثي".

ومن جهة المبدإ، قد يكون هذا اللقاء الثلاثي أفضل من عدمه. ولهذا التفضيل، إن صحّ، دواع ثلاثة. الداعي الأول أن الدول الثلاثة متصلة ببعضها البعض اتصالا ترابيا. ويدفع ذلك إلى أن التحديات الأمنية التي تواجهها هذه الدولة أو تلك لا تنفصل عما تواجه الأخريان أو هكذا يُفتَرض. الداعي الثاني أن مصدر معضلة الهجرة غير النظامية المتدفقة على تونس من دول الساحل الإفريقي ومن غيرها المباشر الحدود التونسية الليبية والتونسية الجزائرية. وفي حال الصدق في التصدي لهذه المعضلة فإنه لا يكون إلا ثلاثيا. الداعي الثالث أن الجزائر العليمة بالوضع التونسي المرير اقتصاديا وماليا طلبت من تونس مذكرة تتضمن ما تنتظر من مساعدات قد تأتي من هذا الطرف أو ذاك أو قد تبقى وعودا.

لكن قد يتأكد أن هذا اللقاء الثلاثي محفوف بمزالق تعميق الأزمة الراسخة الجاثمة على كيان "الاتحاد" وانغلاق آفاق الإنفراج ولو على الصعيد الدبلوماسي المحض.

1/تعميق أزمة "الإتحاد" وانقسامه

لا تبدو على هذا اللقاء الثلاثي أمارات دفعه إلى آفاق تصويب ما أفسدت العقود الثلاثة في "الاتحاد"، وإنما تبدو عليه علامات تعميق انقسام كيانه الكسيح. وهو انقسام لا تلوح له ، وفق الظروف الراهنة على الأقل، خطوط رجعة. فهو أولا كرّس الانقسام في ليبيا تكريسا صار به غربُها مقربا من الجزائر ومن تونس، استتباعا، ليستمر شرقها في فلك مغاير. وما يزيد هذا الانقسام الليبي تعقيدا أنه يتعدى النطاق المغاربي لِيُلامس الأطرافَ الدولية التي في ركابها كلٌّ جهة ليبية على حدة. وعلى ذلك تكون الدول المغاربية جزءا من هذا التنازع الدولي في ليبيا أو في ظله على الأقل، لا سيما أنه تنازع احتدّ في الآونة الأخيرة وصارت أطرافه الدولية من الوزن الثقيل. فعلى سبيل المثال، لا يمكن أن نفصل التقارب الجزائري التركي عن التقارب الذي بين الجزائر وغرب ليبيا، هذا الذي تهيمن عليه تركيا. ولا يمكن لتونس الموصولة بغرب ليبيا إلا أن تكون في فلك الجزائر وتركيا، وفي فلك إيطاليا الموصولة بالجزائر باتفاقيات استراتيجية كبرى. وقس على ذلك كل الخطوط وصلا وفصلا، قربا وبعدا.

ثم إن هذا اللقاء وسّع دائرة التباعد بين المغرب والجزائر. ذلك أن ما بينهما من خلاف حادّ يتعلق بالمسألة الصحراوية واستفحل قبل هذا اللقاء حين تغاضى الرئيس الجزائري عن دعوة الملك المغربي لزيارة الرباط. وفي الإطار نفسه تتوسع بهذا اللقاء الثلاثي الجفوة التي بين تونس والمغرب لأن الرباط ترى تونس أقرب إلى الجزائر منها إليها وترى في هذا اللقاء تأكيدا لذلك، مثلما تتوسع بين غرب ليبيا والمغرب لأن طرابلس أذعنت أخيرا بهذا اللقاء لإرادة الجزائر. وتبدو موريتانيا التي اصطفت، بعدم الحضور مع المغرب قد سارت خطى بعيدا عن ثالوث الدول المكونة لهذا اللقاء، ممّا ينذر بانقسام اتحاد المغرب العربي الخماسي دولتَين مقابل ثلاث.

ولعل أفدح ما في هذا اللقاء الثلاثي ، من المنظور التونسي الذي يهمنا قبل غيره، هو أن اليد المبسوطة اليه هي اليد الجزائرية بسطا تنفّذ به بعض خلافاتها مع دول غربية مناوئة لها وأخرى عربية. وإذا كان للجزائر الثقل الطاقي والمالي لممارسة تلك المناوءة، فإن تونس فاقدة لهما، وليست في وضع يسمح لها بأن تصطف اصطفافا فيه قدر من سوء التقدير. فهي ليست في حال تيسّر لها أن تشارك الجزائر، ولو ضمنيا، في تلك المناوءات التي فيها قدر من التعدد. فقد تبدو تونس اليوم من حيث علاقاتها الخارجية متأثرة بخطى الجزائر التي تخوض، ربما باستعمال تونس وليبيا الغرب، جملةَ خلافاتها تجاه دول غربية وتجاه الإمارات وتمتّن جملةَ صداقاتها مع دول أخرى. وإذا كان رأس الحكم في تونس شديد التكرار لـ"السيادة الوطنية"، مفهوما لديه قد لا يجاري هذا الزمان، فإن تلك السيادة لا تكون انتقائية، ولا ينبغي أن تخطئ الطريق إلى المصالح.

أرقام صادمة تلخّص انهيار قيمة العمل في تونس

• إنتاجية العامل التونسي أقل 14 مرّة من إنتاجية الألماني حسب صندوق النقد
• عدد ساعات العمل الفعلي لا يتعدى سنويا 1350 ساعة
• قدرة العمل عند التونسي أقل بـ 40 ٪ من العمال الأجانب

مختار لعماري - أستاذ مبرز في الاقتصاد بكندا/ترجمة : الحبيب القيزاني

الاحصائيات التي نشرها الأسبوع الماضي بواشنطن صندوق النقد الدولي والبنك الدولي حول الوضع الاقتصادي بتونس مُحبطة. ذلك أنها أظهرت أن العامل التونسي ينتج من حيث القيمة (الناتج المحلي الإجمالي بالدولار) أقل من العامل الإسرائيلي بـ 16 مرة وأقل من العامل الألماني بـ 14 مرة وأقل من العامل الأمريكي أو الكندي بـ 20 مرة. وهذه الاحصائيات تزداد سوءا بمرور الأيام.

ولا تزيد هذه الاحصائيات الطين إلا بلّة وتأكيد فرضية نفض التونسيين أيديهم من العمل منذ عشرية وأنهم أصبحوا أكثر "قنقنة" وتذمرا من العمل وأكثر ميلا للكسل بدل البناء والتشييد. فمردودهم على مستوى الإنتاجية شبه منعدم وغالبا ما يكون سلبيا وروح العمل لديهم تتقلّص كما لم يحدث من قبل في حين لا يفعل قادتهم أي شيء لمواجهة هذه النزعة الضارة.

آسف اذا كانت المسألة مزعجة والحقيقة مؤلمة فخبراء الاقتصاد العاملون بالمنظمات الدولية المجتمعون الأسبوع الماضي بواشنطن يتطارحون مثل هذه الأسئلة والغيظ يعصر قلوبهم.

فلا يجب في سياق الأزمة الاقتصادية والمالية التي تغضّ تونس الطرف عن فداحة اهدار الوقت من قبل الآلاف المؤلفة. ففي كل المدن والقرى والأحياء تُخفي هذه الآفة مشاكل مختلفة وراء غياب الإنتاجية ونقص في العمل وفقدان معناه.

لا يفهم المراقبون الأجانب سبب غياب الالاف من الموظفين عن مكاتبهم وكل التعطيلات والمتاعب التي تعترض المواطنين كلما توجهوا الى الإدارات العمومية لقضاء حاجاتهم. وينطبق ذلك على كل الخدمات سواء تعلّق الأمر باستخراج شهادة ميلاد أو سند ملكية أو وثائق لتوريد آلة لبعث مشروع تجاري وتشغيل شباب عاطلين عن العمل.

وتدفع التعقيدات الإدارية المواطنين الى التنقل بين المكاتب والمعاناة من الأخطاء ومن طول الانتظار في الطوابير. وهذا وضع مكلف لهم وللمستثمرين ودافعي الضرائب.

لا تجد هذه القضية آذانا صاغية ولا الاهتمام الكافي لدى سياسيي البلاد ونخبها طالما أن المطالبة بمزيد من العمل ليست مستساغة شعبيا بل وباتت صادمة في ظل عقلية الاستسلام والقدرية التي تفشت لدى أوساط واسعة من الرأي العام.

ففي كل المجتمعات، حاضرا وماضيا ومستقبلا يحدّد معنى العمل وانتاجية العاملين من الرجال والنساء ازدهار الأمم أو انحطاطها.

وفي دوائر النخب السياسية والإعلامية، يخفي الجدل المتواصل حول الأزمة الاقتصادية والمالية الخطيرة التي تعيشها تونس حقيقة ثابتة : تراجع إنتاجية التونسيين بدل تزايدها وتبخّر قيمة العمل بمرور الأيام.

وللتعمّق أكثر في الموضوع راجعنا البيانات التونسية حول الإنتاجية. وقد نشر المعهد التونسي للتنافسية والدراسات الكمية (ديسمبر 2023) نتائج دراساته الكمية حول الإنتاجية بمختلف قطاعات الاقتصاد التونسي.

تعطّل إنتاجية العمل

بشكل عام، ارتفع حجم التشغيل بتونس في كل القطاعات الاقتصادية عام 2023 بنسبة 0,1 ٪ فقط. وهذه زيادة أقل من الزيادة في معدل النموّ الديمغرافي المقدّر لنفس الفترة بـ 0,8 ٪. وهذا تباين لا يغيّر شيئا في معدل البطالة الذي تجاوز 16 ٪ (670 ألف عاطل عن العمل أو ما يناهز ذلك) بينما ظل مردود إنتاجية العمل بالنسبة للعام نفسه شبه معدوم (0,2 ٪) فيما كان مردود الإنتاجية بالنسبة لرؤوس الأموال (الأدوات والآلات والتجهيزات وغيرها) سلبيا (- 0,1 ٪).

ويفسَّر تعطّل الإنتاجية الى حدّ كبير بتراجع الاستثمار العمومي والخاص في ظل ارتفاع مشطّ لأسعار الفائدة البنكية والتي تتجاوز 10 ٪ سنويا فضلا عن العراقيل العديدة التي تحول دون بعث المؤسسات. عوائق من انتاج إدارة عقيمة، ومتضخمة بخّست قيمة العمل.

وتُظهر نفس الاحصائيات الصادرة عن المعهد التونسي للتنافسية والدراسات الكمية (ديسمبر 2023) ان مردود الإنتاجية بالادارات العمومية كارثي وأن ذلك يكشف الكثير عمّا يختمر في عقول الجميع من أفكار.

وقد لخّص المعهد المذكور احصائياته في جدول ظهرت فيه قرابة كل مؤشرات إنتاجية الموظفين باللون الأحمر. ودعنا نقول إنه بدل تحقيق مردود في الإنتاجية يتراخى الـ 760 ألف موظف عن العمل وينتجون أقل بينما هم يتقاضون رواتبهم ومنحهم ويتمتّعون بالامتيازات الحاصلين عليها.

ان إنتاجية العمل بتونس في تراجع للعام الثالث على التوالي وقدّم بذلك الموظفون مثالا سيئا وبكل بساطة يتناقص عدد الخدمات المقدمة في كل ساعة عمل.

كما تشهد إنتاجية رأس المال في قطاع الإدارة العمومية انهيارا غير محدود للعام الرابع على التوالي وهذا يعني أن التجهيزات (سيارات وظيفية وحواسيب ومختلف الأدوات) والتكنولوجيات المتوفرة للموظفين أصبحت قديمة أو أقل قيمة وأنها تُستخدم مع ذلك لاسداء الخدمات العمومية.

ولا غرابة بعد ذلك أن يتراجع مجمل فواتير الإنتاجية بالدولة على امتداد 3 سنوات متتالية.

وتستفيد جحافل الموظفين العموميين من قواعد تضمن الاستمرار في العمل بغضّ النظر عن انتاجيتهم ومردودهم وحتى غياباتهم لن تغيّر شيئا في بطاقات خلاصهم ومجمل مكافآتهم.

الإنتاجية تعني القدرة التنافسية

يتميّز العاملون بقطاعات النزل والمقاهي والمطاعم عن غيرهم بمعدلات نموّ في الإنتاجية تتكون من رقمين : 12,3 ٪ في عام 2021 و19,8 ٪ سنة 2022 ثم 11,3 ٪ في عام 2023.

وفي هذا القطاع بلغت إنتاجية رأس المال بدورها رقمين وكانت قبل عامين 27,5 ٪ حتى لو كان القطاع يعاني اليوم من تقادم المعدات واهتراء البنية التحتية حسب ما تفيد بعض التقارير.

وقد بدأت كثافة رأس المال (قيمة رأس المال مقارنة بالموظفين) تفقد زخمها متراجعة من 6,1 ٪ (سنة 2022) الى أقل من 5 ٪ (عام 2023) بينما تشهد القيمة الاقتصادية المضافة في القطاع نموا بمعدلات عالية جدا بلغت 15 ٪ منذ سنة 2021.

كما يظهر قطاع "النسيج والملابس والجلود" بدوره ارتفاعا في إنتاجية العاملين به. وشهد هذا القطاع الذي يضمّ يدا عاملة نسائية شابة ومتحمسة ارتفاع انتاجيته بـ 14 ٪. لذلك فإن الأمل معقود على هذه الشريحة من العاملين في هذا القطاع وبقطاعات أخرى.

وهنا أيضا يعني البُعد التصديري الذي يتميز به هذا القطاع الذي يشغّل يدا عاملة نسائية وصامتة كثيفة أن إنتاجية العمل التي يتم وضعها تحت تصرف هؤلاء النساء والبنات المتحمسات ولا يحظين مع ذلك بالتقدير والتكريم الجديرات بهما مدعومة بالاستثمارات الأجنبية والتكنولوجيات الحديثة.

وتتراجع إنتاجية العمل أيضا في قطاع البنوك والتأمين (- 0,1 ٪) حتى لو كانت القيمة به قد زادت في عام 2022 بنسبة 6,4 ٪. ويوحي هذا النوع من الشذوذ بالكثير عن حوكمة قليلة التنافسية لقطاع يمتصّ دماءَه أصحاب الدخل وبات مشلولا نتيجة إدارة موجهة نحو العائلة ومتردّدة في الانفتاح على الحداثة.

الأرقام عنيدة

ببساطة لم ينتج العمّال البالغ عددهم 3,7 ملايين في كل القطاعات فرديا المزيد خلال نفس مدة العمل المدفوع الأجر. كما سجّلت إنتاجية رأس المال المتاح لهم تراجعا طفيفا بين 2015 و2024.

وتدعم هذه الحقيقة الرهيبة ثلاثة مؤشرات :

1 – حسب العديد من الدراسات لا يزيد عمل التونسي المدفوع الأجر عن 5 ساعات يوميا بدل 7 أو 8 ساعات ومعنى ذلك أن التونسي لا يعمل بجدية طيلة نحو ثلث وقت العمل المدفوع الأجر.

2 – وبالتالي فإنّ مدة العمل الفعلي السنوية لا تتعدى 1350 ساعة مدفوعة الأجر بينما يبلغ عدد ساعات العمّال بفرنسا الذين يشتغلون كامل الوقت 1680 ساعة سنويا (حسب معطيات 2019) ويبلغ عدد ساعات عمل نظرائهم بكندا 1890 ساعة في العام (أرقام سنة 2022). ويبلغ متوسط ساعات العمل بأوروبا 1846 ساعة أي بزيادة تفوق بـ 40 ٪ معدّل العمل بتونس.

3 – وجود نسبة تشغيل غير كافية طالما أن نسبة الباحثين عن شغل من بين من هم في سن العمل (15 – 64 عاما) لا تتجاوز 43 ٪. ذلك أن نسبة التشغيل تعكس مدى قدرة الاقتصاد على توظيف رأسماله البشري بكفاءة. وهذه النسبة هي عمليا نصف ما نلاحظه في الدول الغربية. ففي الدول الأوروبية تتراوح هذه النسبة بين 62 و80 ٪. أما بالنسبة للاتحاد الأوروبي ككل فتبلغ 70 ٪. وتبلغ هذه النسبة في هولندا 81 ٪ وفي اليابان 79 ٪ بينما تبلغ في المانيا 77 ٪ ومثلها في الدانمارك والسويد في حين تبلغ في انقلترا وكندا 75 ٪ وفي الولايات المتحدة 71 ٪.

فمن أين جاء ضعف نسبة التشغيل بتونس؟ السبب أن ادماج المرأة في سوق الشغل الرسمية ما زال ضعيفا للغاية ببلادنا. فغالبا ما تُحال النساء الى الأنشطة المنزلية والتي هي غير رسمية.

وجوهريا يظهر المشكل في طرفي تركيبة السكان المتباعدَين اللذين يضمّان من جهة السكان الأصغر سنا ومن جهة أخرى السكان الأكبر سنا. وتبلغ نسبة تشغيل الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و24 سنة 35 ٪ فيما تبلغ نسبة تشغيل البالغين الذين تفوق أعمارهم 55 سنة 56 ٪.

تشغيل كبار السن

في كلتا الحالتين يتّضح أن الأرقام الألمانية والبريطانية والهولندية والدانماركية والسويدية واليابانية والكندية أو الامريكية أعلى بنحو 15 الى 20 نقطة. فمن ناحية ما زال شبابنا من أصحاب المؤهّلات القليلة يواجهون صعوبات كبيرة لدخول سوق الشغل، ومن ناحية أخرى ما زال سن التقاعد ببلادنا أدنى بكثير مما هو عليه في أي مكان آخر. فسن التقاعد الرسمي بتونس مازال 62 سنة مقابل 67 عاما بالولايات المتحدة الامريكية وألمانيا وإيطاليا وهولندا و66 سنة بانقلترا واسبانيا وقريبا 64 سنة بالسويد ذلك البلد المعروف بأنه بلد اجتماعي وأقلّ التزاما بالانتاجية.

وزيادة على ذلك لم تعتمد الشركات فعليا سياسة تشغيل كبار السن مفضّلة دفعهم الى المغادرة قبل تقاعدهم وهي آلية يسهّلها استخدام اعانات البطالة التي تلائم بشكل أفضل كبار السنّ وكأنّ أرباب العمل والنقابات اتفقوا على هذه الفكرة البسيطة : بعد سن 55، من الطبيعي ألاّ نعمل.

إن مراكمة ساعات عمل أقصر مع نسبة تشغيل منخفضة للغاية وتدهور الإنتاجية يعني ان قدرة العمل لدى التونسي أدنى بنسبة تتراوح تقريبا بين 40 و45 ٪ مقارنة بنظرائه الأجانب ومنافسيه الرئيسيين.

إن الاعتقاد بأنه يمكن تجاوز هذا العائق بشكل طبيعي عبر التشريع أو التكوين المهني يدخل في خانة الأساطير والأوهام.

صورة من ادارة عمومية

ومن الأفضل لنا الاعتراف بأننا بحقّ شعب كسول ولنا في ذلك أسباب وجيهة ولكن أيضا أسباب سيّئة.

والسؤال الحقيقي الجدير باستكشاف كل أبعاده هو : لماذا تنظر النخب والسياسيون التونسيون الى العمل كعامل معاناة وعلى أنه شرّ يجب وضع حدّ له في أسرع وقت ممكن وليس كعامل انشراح ومتعة واندماج اجتماعي؟ أي معنى (أو لا معنى) للعمل في تونس؟ وما الأسباب الكامنة وراء ذلك؟

خزّان نموّ هائل

ان التحسن المنشود في نسبة التشغيل هو المتغيّر الرئيسي الذي من شأنه السماح لتونس بخروج مشرّف من أزمتها الاقتصادية التي تدمّر الطاقة الشرائية وتُثقل كاهل الأجيال القادمة بالديون.

وإن انتاج المزيد من الثروة والعمل بشكل أكبر وأفضل هما السبيل الوحيد لتحقيق نموّ إيجابي بامتياز لا يكاد يتجاوز حاليا الصفر. ووحده اداء ساعات العمل مدفوعة الأجر بجدية وبلا غيابات أو تكاسل ولا تراخ جدير بتوفير نقطتين مئويتين اضافيتين على أقل تقدير لنموّ الناتج المحلي الإجمالي.

ومن الممكن أن توفّر الزيادة في نسبة التشغيل (العمّال الذين تزيد أعمارهم على 15 سنة) سنويا من 43 ٪ حاليا الى 50 – 55 ٪ للناتج المحلي الاجمالي ما لا يقل عما بين 5 و 8 نقاط.

وهذا سيمكّن ميزانية الدولة من الحصول سريعا على 12 مليار دينار دون الزيادة في الضغوط الضريبية.

هذا هو معنى الاعتماد على النفس للخروج من الأزمة التي تجرّ تونس الى الهاوية. هذا هو معنى الخروج من عنق الزجاجة وليس من قاعها مثلما نعتقد. وهكذا نحلّ جزئيا أغلب مشاكلنا وخصوصا منها تلك المرتبطة بالديون وبعجز الميزانية دون المرور بصندوق النقد الدولي أو المانحين.

إن حجب قضايا بهذه الأهمية في النقاشات العمومية وتجاهلها من طرف قادتنا السياسيين والعديد من خبراء الاقتصاد في وسائل الاعلام هو ببساطة أمر غير مفهوم. أولئك السياسيين وتلك الأحزاب الذين يلتحفون بالشعارات الشعبوية يرفضون الخوض في مواضيع مزعجة تثير غضبهم. والإنتاجية هي أحد تلك المواضيع المزعجة.

هل تدعم النهضة قيس سعيّد في الانتخابات الرئاسية ؟

أنس الشابي

سُئل العجمي الوريمي الأمين العام لحركة النهضة عن الانتخابات الرئاسية المقبلة وعن امكانية دعم حركته الرئيس قيس سعيد فأجاب بأن لكلّ مرشح الحق في التقدّم ببرنامجه الانتخابي.

في تقديري أن ما يحكم موقف النهضة في هذه الانتخابات وفي غيرها جملة من المحدّدات التي لم تتجاوزها ولن تتجاوزها لأنها مرتبطة بالبنية العقدية التي تحكم خطّ سيرها وكنت قد أتيت على بعضها في مقالات سابقة وتتمثل هذه الضوابط في ما يلي:

1) يحتل رئيس الحركة أو المرشد أو الأمير أو المراقب العام -سمّه ما شئت- موقعا ينزع إلى القداسة. فهو في مكانة أدنى من الرسول وأرفع من الإنسان كأنه المهدي المنتظر الأمر الذي يضعه فوق المساءلة ويوجب على المنتسبين للحركة طاعة أوامره لأنها دين أمّا عصيانها فهو كفر بواح. لذا نجد أن قرارات المرشد تكتسب صبغة قدسيّة لأنّ المنتسب قيّد نفسه بعقد بيعة في المنشط والمكره كما جاء ذلك في قانونهم الأساسي. والمتابع للحياة السياسية في بلادنا وللخيارت التي أعلن عنها الغنوشي منذ سنة 2011 إلى سنة عزله من رئاسة البرلمان يجد أنه ينتقل من الموقع إلى نقيضه بين عشيّة وضحاها ليتبعه المريدون وينخرطون في الدفاع عن الشيء وضدّه وهو أمر لا نجده إلا في التنظيمات الدينيّة التي تقوم على ولاء المريد لشيخه. تبعا لذلك لا يتصوّر عاقل أن ترشح الحركة مرشدها وتضعه قيد المساءلة والمحاججة والتكذيب والتجريح وتجعله هدفا للنقد من قبل الغادي والآتي. ولهذا السبب بالذات لا يترشح المرشد لأيّة انتخابات اذ انّ وضعه في الحركات السنية لا يختلف في شيء عن وضع الوليّ الفقيه لدى الشيعة حيث يُسيِّر آية الله الذي لم ينتخبه أحد دواليب الدولة جميعها ولا تصدر القرارات جميعها إلا بعد موافقته غير أنه لا يتحمّل أي مسؤولية في ذلك. وقد عرفنا في تونس هذا النوع من الحكم بصورة جليّة مع حكومتي الجبالي والعريض اللذين يصليان الفجر يوميا مع الغنوشي ويعرضان عليه أوراق الدولة جميعها لاتخاذ القرار فيها.

2) هناك تقليد لدى التنظيم الدولي للإخوان المسلمين يحبّذ إمساك قادة فروعهم عن الترشح للانتخابات وسبب ذلك أنّ مرشدهم العام حسن البنا شارك في أوّل انتخابات سنة 1944 وترشح أيامها في الإسماعيلية المدينة التي شهدت نشأة جماعته إلا أنه مُنِي فيها بهزيمة نكراء أمام منافس له كان يعمل تاجر أغذية. هذه التجربة المرّة دفعت مرشدي الحركة في ما بعد إلى عدم خوض أية انتخابات خشية السقوط وحفاظا

العجمي الوريمي أمين عام حركة النهضة

على قداسة وهمية أكسبهم إياها التنظيم. هذا التقليد نجده لدى منظوري التنظيم الدولي. ففي الأردن رغم دخول الإخوان المسلمين البرلمان دخل مراقبهم العام عبد المجيد ذنيبات مجلس الأعيان معيّنا من قبل الملك في دورات متعدّدة. كل ذلك حتى لا تخدش صورة المرشد في أعين المريدين إن وُضع على محك التجريح والتعديل، ولن يخرج الغنوشي عن هذا التقليد أو يخالفه.

3) لم تعرف الحركة طوال تاريخها أي انتخابات. يقول صلاح الدين الجورشي أحد المؤسّسين الأوائل: "بقيت سنوات طويلة بلا قانون أساسي ولا تحديد للصلاحيات وترى في أي خلاف شرًّا وتعتبر نفسها الجماعة ويملك أميرها الذي لم يُنتخب كلّ الصلاحيات في تشكيل المكتب التنفيذي والمشرفين على الجهات وأعضاء مجلس الشورى"(1). وهو الأمر الذي تواصل إلى حدّ هذه الساعة ويذكر الجميع أن الحركة أعلنت في انتخابات 2019 أنها ستترك لأعضائها مطلق الحرية في اختيار مرشحيهم حتى تعتمدهم، غير أنّ الغنوشي أجال قلمه في القائمات فنحّى البعض وأضاف أسماء البعض الآخر ممّا أثار غضبا تواترت أنباؤه. إن ادعاء الحركة أنّها تعتمد الانتخاب في تسييرها ليس إلا أكذوبة تؤكّدها الوقائع كما ذكرنا وتؤكّدها كذلك كتابات رئيسها الذي قال: "واعتبرَ (الرسول عليه الصلاة والسلام) الترشح لمنصب من المناصب في الدولة الإسلامية سببا كافيا للحرمان منه. قال عليه السلام "إنا لا نُوَلي هذا الأمر أحدا طلبه" ومن ثم لا مجال في المجتمع الإسلامي للحملات الانتخابية يخوضها الزعماء (فلا تزكّوا أنفسكم) وإنما الأمّة هي التي تزكي وترشح من تراه كفأً"(2)، فمن كان هذا حاله ومعتقده لا يمكن أن يعوّل عليه إن تحدّث عن الانتخابات.

4) كل الذين كلفوا بتسيير الحركة في مختلف المراحل عيّنهم الغنوشي ولم يتم انتخابهم أو اختيارهم من قبل المنتسبين للحركة. فقد تولى أمرها 13 شخصا في فترات سجن أو هروب الغنوشي وحالما يرتفع عنه المانع تعود إليه الإمارة، فالقول قوله والأمر أمره في كل ما يتعلق بالحركة وهو ما يعني أن الترشيح للانتخابات الرئاسية أو مساندة مرشح وقْفٌ عليه لا يشاركه فيه أحد.

والمستفاد مما ذكر أن رأس الحركة لن يترشح للانتخابات الرئاسية لِما ذكرنا فمن هو مرشحه؟، في تقديري أن الشروط التي يشترطها الغنوشي حسبما أرى هي التالية:

1) ألّا يكون منتسبا للحركة أو من ذوي الحيثية أو العلاقة بالفضاء الإسلامي عموما، لأنّ من شأن فوز مرشح بهذه المواصفات أن يدفعه إلى شيء من الاستقلالية عن المرشد إن لم يصل إلى حدود التنطّع والعصيان خصوصا إذا أمسك بالسلطة وتجربة البشير مع الترابي ما زالت حيّة في الأذهان. ففي مختلف الانتخابات الرئاسية السابقة لم يترشح أي نهضوي باستثناء انتخابات سنة 2019 التي ترشح فيها مورو ولكن حركته التي رشحته عملت على إسقاطه حماية لسلطات المرشد العام وصورته.

2) ألّا تكون لديه عداوة مع الإسلاميين. وأن يكون يتيما لا سند حزبي أو مالي له حتى يسهل على حركة النهضة توجيهه حيثما أرادت وهو ما حدث للباجي قائد السبسي بعد أن دمّر حزبه بتوافقه مع النهضة.

أما بالنسبة لقيس سعيد فلا عجب إن ساندته الحركة ونفضت أيديها من جبهة الخلاص فيما لو استجاب لبعض مطالبها خصوصا وهي في حالة من الإنهاك تقارب الشلل. فقد سبق لها أن رضيت بأقلّ القليل حماية للشقف كما يقال.

الهوامش

1) مجلة "حقائق" العدد 225 من 8 إلى 14/12/1989.

2) مجلة "المعرفة" العدد 8 السنة 5 بتاريخ 1 سبتمبر 1973 ص5.

كان ثمّنت وتسكّرت زيدها مجلس

منير الفلّاح

نهار الجمعة الفارط (19/4/2024) انعقدت الجلسة العامّة الإفتتاحيّة للمجلس الوطني للجهات والأقاليم وهي وحدة من الغرفتين في التّنظيم الّي جاء في دستور2022 وكان نتصفّحو "ويكيبيديا" نلقاو أنّو يصنّف المجلس هذا على أنّه(La chambre haute) لكن خلّينا من هالمسائل "القويّة شويّة" على مخّي والحقّ يُقال!

وفي الجلسة الإفتتاحيّة هذي، تمّ بطبيعة الحال إنتخاب رئيس وهو سي عماد الدّربالي بعد ما تحصّل على 49 صوتا قدّام 12 مترشح ومترشّحة !

يحبّ يقول المجلس الجديد تعمل، رئيسه أُنتِخب وتعملت زادة هاك اللّجنة الّي تِتثبّت في الأصوات وكذا... إيه ومن بعد؟ يقول القايل ماهو شويّة صبر باهي! صحيح لكن الصّبر يولّي يختلف بالحقّ على اللّامبالات كيف تبدا تعرف شنوّة هالهيكل، موش إسمه ووين يجتمع، لا شنوّة محلّه من الإعراب؟ يعني شنوّة دوره وموقعه في سُلّم القرار (موش على الورق) وشنيّة علاقته ببقيّة أجزاء البَنْية من مجلس نوّاب وسلطة تنفيذيّة بكلّ مستوياتها ودرجاتها؟

توّة كان حدّ من الهنولولو الشّقيقة يقرأ هالسّلسلة متاع التّساؤلات الّي عبدكم الضّعيف طرحهم توّة وبسرعة البرق يعلّق بسؤال: وقتاش إنتخابات هالمجلس؟ الجاي؟ وكيف يسمع أنّو هالإنتخابات صارت وتركّز المجلس وهو جالس توّة، تصيبه الصّاعقة الّي تجيء بعد البرق وينطق بلسان تونسي أصيل : ياخي تعملو مجلس ومن بعد تلوّجولو على دور وصلوحيّات؟ يعني فرشتو حصيرة والجامع مازال ما تبناش؟

عاد خوكم قلت خلّيني نعمل نظرة عامّة على هندسة السّلطة توّة، نلقى فمّة عنوان ظاهر بالكبير: السّلطة أو الوظيفة التّنفيذيّة، باينة، محسوسة وملموسة وحاضرة حيثما ولّيت وجهك...

وفمّة "وظيفة" قضائيّة مُلحقة بالأولى وفي باب التّشريع فمّة زوز غُرَف، الحقيقة زوز قصور في باردو، واحد لمجلس نوّاب الشّعب والآخر للمجلس الوطني للجهات والأقاليم وإلّا الأقاليم والجهات (رتّبو وحدكم) والزّوز، مبدئيّا، باش يختصّوا في باب التّشريع !

قلت مبدئيّا على خاطر بالنّسبة للمجلس الجديد، مازال أمّا يمكن نقيسو بالشيء الّي حقّقه مجلس نوّاب الشّعب وبمجرّد نظرة عامّة، نلقى أنّو مجلس "الأفراد" حتّى لهذي ساعة قاعد يعمل في "SMIG" يعني يصوّت على الحاجات الّي تجيه من الحكومة وخاصّة ما يتعلّق بالفلوس والقروض وما شابه... الغرفة الجديدة وعلى الورق،باش تتلها بالميزانيّة والمشاريع التّنمويّة

عماد الدربالي رئيس مجلس الجهات والأقاليم

الخ...، دائما على الورق، باهي لكن كيف العادة الشّيطان يسكن في التّفاصيل وباش الواحد يكون نزيه، كلمة التّفاصيل ماهيش دقيقة: على خاطر الميزانيّة مثلا هي أهمّ قانون في حياة البلاد وكيف يبدأ مطبوخ في بلاصة أخرى ومن بعد يمشي لباردو، زعمة يدخل للقصر الأوّل الّي قدّام الخصّة قبل وإلّا يمشي طول لمجلس المستشارين سابقا ومن بعد يعمل زيارة تطيير ملام لمجلس النوّاب وإلّا كيفاش؟ خلّينا من هذا، زعمة كيفاش باش يصير التّنسيق ما بين الزّوز مجالس؟ وكلّ واحد شنيّة حدود صلوحيّاته ومسؤوليّاته؟

يظهرلي صديقنا من الهنولولو باش يولّي عنده الحقّ! أعضاء وعضوات المجلس الجديد (فيهم13 من النّساء من جملة77 عضو) كلّهم، كيف ما هو منطقي، يعرفوا لشنوّة ترشّحوا وآش باش يعملوا؟ يعرفوا كيفاش باش تكون غدوة علاقتهم باالسّلطة التّنفيذيّة مركزيّا وجهويّا؟ كيفاش باش تكون علاقتهم بالوالي (إن وُجِد) والمعتمد؟ وفي المجالس الجهويّة وفي الإقليم، زعمة دورهم باش يبدأ وينتهي عند الحديث على الأولويّات متاع ناخبيهم وناخباتهم وإلّا لا؟ وكيف "يقترحوا" حاجة وأعضاء المجالس من ممثّلي السّلطة المركزيّة (الوزارات يعني) يقولوا لا، موش ممكن، آش ينجّموا يعملوا؟ وإلّا دورهم باش ينتهي عند مقولة "ما على المرسول إلّا البلاغ" وفي الحالة هذي تولّي صفاتهم أمام المجتمع المحلّي هي البداية والنّهاية! نايب الّي يقلك!

على ذكر "نايب الّي يقلّك" أو ما يتعارف على تسميته ب "الوجاهة المجتمعيّة" راهي حاجة ما يُستهانش بيها !توّة واحد من عمادة فيها ألوفات وإلّا مئات من النّاخبين المفترضين، تعِنّ له فكرة التّرشح، ترشّح ودار على عايلته وأحبابه وبرّا يا سيدي مشاو نخّبوا لفايدته، دبّر هاك المائة صوت وإلّا أكثر أو أقلّ شويّة (في الغالب) بالنّظر لنسبة المشاركة في الإنتخابات... طلعشي نايب؟ ولّاشي يا معروف أصلا، يا ناس ولّات تسأل على شكون طلع ؟ في هاك المديدة بين صدور النّتائج الأوّليّة ثمّ النّهائيّة من بعدها فترة الطعون، يقعد يستنّى في الدّعوة للجلسة الإفتتاحيّة وفي نفس الفترة تبدأ التّساؤلات: زعمة كيفاش باش يكون وضعه مستقبلا؟ كان عنده خدمة، زعمة آش باش يعمل فيها؟ وآش باش يعمل في هالتّساؤلات والمطالب الّي هابطة عليه كيف المطر من عند أولاد الحومة؟ زعمة باش ينجّم يعمل حويجة فيها؟ وكان الحال حال اللّه ما نجّمش، آش باش يعمل في سيف "سحب الوكالة"؟ الحاصيلو وضعيّة موش مريحة بالكلّ خاصّة بالنّسبة للّي هذي أوّل تجربة سياسيّة بالنّسبة ليهم... أمّا فمّة QUAND-MÊME شكون واخذها بأقل ما يمكن من ال"الدّراما" كيف النّايب الّي ما فاقش بالميكروفون محلول وقال لصاحبو سليم في التّليفون ما معناه المجلس متاعه ويمشي وين يحبّ وبالأمارة هاهو ماشي يعمل قهوة!

أمّا الصّنف الآخر من الصّاعدات والصّاعدين للمجلس الجديد فهم من فصيل الفائزين بفرصة تدارك! كيفاش؟ تصوّرو واحد كان في سنوات شبابه الأولى منتمي أو قريب من دوائر حكم التجمع ومن بعد وكيف كثروا الأحزاب في تونس، ترشّح في قائمة متاع حزب البديل التونسي (الإسم الثّالث على اللّيستة) وطبعا ما طلعش عام أربعطاش... بعد عشرة سنين ترشّح براسو وطلع زيد كمّل إنتخبوه رئيس المجلس الجديد !ELLE N'EST PAS BELLE LA VIE؟ توّة فمّة نظام فُرص أكثر من هكّة؟

سي عدنان الدّربالي، رئيس المجلس الجديد، هو مثال على هذا ! وعلى كلّ حال سمعت أنّه أستاذ علوم فيزيائيّة وهذا جيّد! على الأقلّ واللّه أعلم هو يعرف، خير منّي أكيد، قوانين الطّبيعة وكلّ ما يتعلّق بالتوازن بين الأجسام علاوة على التّركيبات الكيمياويّة وأناهي الّي تؤدّي إلى RÉACTION وأناهي الّي ما تؤدّي لشيء...

الحاصيلو، مبروك للتوانسة المجلس الثّاني وفمّاشي إمكانيّة نعملو كلّ عام مجلس، رانا فاضيين وعندنا برشة فلوس ماناش عارفين على شنوّة باش نصرفو...

هيّا برّو أيّامكم. كنّ مجالس وكان على الأسامي توّة نلقاولهم!

«حريق رادس» :

انتدابات مشبوهة وفساد واستهتار بإجراءات السلامة

«مدمني مخدرات» بإجراءات السلامة

محمد الجلالي

بعد مرور أكثر من شهر على الحريق الذي شب في مركز تعبئة وتوزيع قوارير الغاز التابع للشركة التونسية لتوزيع البترول المعروفة اختصارا بـ "عجيل" لا يزال الغموض يحيط بالحادث وبالأسباب الكامنة وراء اشتعال النيران في مركز يفترض ان يكون من أكثر الفضاءات حماية.

أسبوعية "الشارع المغاربي" عادت على تفاصيل الحادث مستعينة بشهادات متضررين من الحريق وموظفين بشركة "عجيل" واستندت الى معطيات تتعلق بوحدة التعبئة التي كانت مسرحا لألسنة لهب هائلة صبيحة يوم 14 مارس المنقضي فكان هذا التحقيق.

عمال بلا أزياء واقية

من مجموع 38 متضررا من الحريق الهائل الذي شب في مركز التعبئة برادس كان هناك 13 عونا متعاقدين مع شركة مناولة عمومية تعرف باسم "الاتصالية".

احد الضحايا روى لـ "الشارع المغاربي" تفاصيل الحريق مؤكدا انه مع تمام السادسة وعشرين دقيقة صباحا وبينما كان بصدد اعادة قارورة غاز الى مسارها بخط الانتاج تناهى الى سمعه صوت انفجار.

وواصل العون الذي فضّل عدم الكشف عن هويته :"التفتّ الى الخلف ففوجئت بألسنة اللهب تلفح وجهي قبل ان أتحامل على نفسي وأغادر المكان الى خارج المستودع. حينها لمحت العشرات من زملائي وهم يحاولون التخلص من النار التي تشتعل بأجزاء متفرقة من أجسادهم بين من حاول جاهدا نزع ملابسه المحترقة ومن ارتمى بسرعة فائقة في احدى برك الماء ومن ظل يتمرغ على الارض من شدة الألم... ما حصل كان لحظات عصيبة ستظل راسخة بذهني ما حييت".

هاني هو اسم مستعار لعون آخر كان يعمل بدوره بالحصة الليلية التي تمتد من منتصف الليل الى السابعة صباحا قال انه كان قبل وقوع الحادث منهمكا في تفقد القوارير التي لم تتم تعبئتها كليا لإكمال كمية الغاز المطلوبة.

وأضاف هاني "مع السادسة و15 دقيقة اي قبل انتهاء العمل بربع ساعة لاحظت ان احد العمال دخل الفضاء على متن شاحنة مخصصة لرفع وشحن القوارير مما تسبب في سقوط قارورة غاز وثقبها وفي تسرب كمية هائلة منها في فضاء مغلق. لم اعر المشهد اي اهتمام بحكم تفطن عمال بـ "عجيل" يفوقونني خبرة الى الامر دون ان يحركوا ساكنا.. وفي ظرف وجيز اشتعلت النيران بالشاحنة. حينها حاولت مغادرة المكان لكن الانفجار كان اسبق مني مسببا لي حروقا خطيرة في انحاء متفرقة من جسمي.. لقد اتت النار على رجلي ويدي ووجهي مما ادى الى فقداني الحركة واستعمال كرسيا متحركا طيلة أكثر من اسبوعين.

وواصل العامل سرد وقائع الحريق قائلا "مع سيطرة النيران على المكان قطعتُ مسرعا المسافة الفاصلة بين وحدة التعبئة والفضاء الخارجي للمركز ثم تحولت رفقة عدد من زملائي المصابين مشيا على الاقدام الى اقرب ادارة للحماية المدنية طلبا للنجدة أين تم نقلنا الى مستشفى الحروق البليغة ببن عروس قبل أن يتم توزيعنا على عدة مستشفيات".

بشر أم حيوانات؟

عون ثالث أكد انه ما زال يعاني من اصابات خطيرة بأطرافه السفلى وان النار كادت تلتهم نصفه العلوي لولا سترة واقية كان قد زوده بها موظف بـ "عجيل".

وقال "للاسف تم الزج بنا في نشاط يكتسي خطورة مضاعفة دون ان توفّر لنا شركة "الاتصالية" أية أزياء او وسائل للحماية من الحرائق".

في المقابل ذكر العون ان ادارة "عجيل" لم تدّخر جهدا في الاحاطة بالأعوان سواء كانوا من موظفيها او من عمال المناولة مؤكدا انها مكنت كل متضرر منهم من منحة مالية بـ 1000 دينار وخصّصت سيارة لتأمين تنقلاتهم الى المستشفيات إلى جانب تكفلها بخلاص الادوية التي كانوا يقتنونها.

وقال " على عكس شركة توزيع البترول اخلّت ادارة "الاتصالية" بتعهداتها تجاهنا" مشيرا الى ان بعض مسؤوليها تهربوا من الرد على اتصالاتهم الهاتفية ولم يتكفلوا بخلاص فواتير علاج بعدما وَعدوا بذلك على غرار ما حصل مع احد زملائهم.

وأشار العامل الى أن "الاتصالية" كانت تنقل الاعوان المتضررين الى المستشفيات في ظروف لاانسانية "شبيهة الى حد كبير بنقل الحيوانات" على حد تعبيره موضحا انه كان يتم نقلهم على متن سيارات تجارية ضيقة وغير ملائمة لنقل المصابين.

وذكر عامل اخر أنه رفض تكفّل شركة المناولة بنقله الى المستشفى ملاحظا انه كان يستأجر سيارة على حسابه الخاص لتأمين تنقلاته للعلاج.

من جانبه أفاد "هاني" بأن شركة المناولة اقتطعت من راتبه مبلغا ماليا كانت قد صرفته لاقتناء ادوية له معبرا في الان نفسه عن استغرابه من تدني أجور عمال المناولة مقارنة بنظرائهم في شركة "عجيل".

وتساءل "هل يعقل ان ننجز نفس العمل الذي يؤديه زملاؤنا في "عجيل" ويتقاضوا اضعاف ما نتقاضى؟ وكيف يمكن تفسير اتفاقنا مع شركة المناولة على راتب بـ 700 دينار ثم حصولنا على 600 دينار فحسب؟ الاكيد ان ما تتسلمه "الاتصالية" من "عجيل" يفوق ما نحصل عليه بأضعاف.

يذكر ان مصدرا بوزارة الصناعة أسرّ لأسبوعية "الشارع المغاربي" بأن الشركة الوطنية لتوزيع البترول كانت قد أبرمت اتفاقا مع "الاتصالية" لتوفير 60 عاملا على ذمتها طيلة 3 سنوات وبأن قيمة الصفقة تتراوح بين 1.2 و1.4 مليار دينار مما يعني ان راتب العامل يكون بين 1600 و1900 دينار.

"هاني" قال من جهته "ما مررنا به خلال الحريق يتطلب احاطة تامة من الدولة باعتبار أن ما حصل يعتبر حادث شغل ويستدعي وقوف مشغلينا معنا. وهذا المسناه في تعاطي مسؤولي "عجيل" معنا وتعهدهم مرارا بمساعدتنا وحتى انتدابنا وهذا ما نرجو أن يتحقق حتى لا تتشتت عائلاتنا وتتعمق مآسينا ببطالة لم نكن لنختارها".

في هذا السياق أوضح خالد بتين رئيس مدير عام "عجيل" في تصريح لـ "الشارع المغاربي" أن ادارته سعت منذ الحادث الى الوقوف الى جانب المتضرّرين مشيرا الى انه تم صرف منح بألف دينار لفائدة كل عون بمن فيهم عمال المناولة والتكفل بمصاريف علاجهم وحث موظفي الشركة على التبرع بيوم عمل لفائدتهم.

وعبّر عن استعداده لانتداب من تضرروا من عمال المناولة في صورة موافقة رئاسة الحكومة على الأمر.

وتطرّق الى حرمان عمال المناولة من أزياء واقية قائلا

ان العقد المبرم مع "الاتصالية" يفرض عليها توفير ازياء شغل واقية وانه سبق له ان طرح هذه المسألة على مديرها العام لافتا الى أن الأخير علّل عدم تزويد عماله بها بقصر مدة عملهم بوحدة التعبئة.

اخلالات في الصفقة

حريق يوم 14 مارس المنقضي الذي شب في وحدة التعبئة ذات التدفق العالي أعاد الى الأذهان اخلالات كانت قد شابت صفقة تركيز معدات جديدة لتعبئة قوارير الغاز بمستودع رادس مقابل 15 مليون دينار. اخلالات قد تكون من بين العوامل التي ساهمت في نشوب الحريق.

فقد كشف موظف بـ "عجيل" في تصريح سابق لـ "الشارع المغاربي" ان الصفقة شهدت تحفظات جوهرية كان قد دوّنها رئيس المستودع وان ادارة الشركة تخلت عن محضر الاستلام الوقتي الذي تضمن التحفظات واستبدلته بمحضر ثان.

الموظف أوضح ان رئيس المستودع أوصى في محضر الاستلام الاول بإصلاح وتشغيل بعض المعدات الاساسية في وحدة التعبئة وخصوصا منها ما يرتبط بالسلامة والتي تتطلب عرضها على الاختبارات للتأكد من طاقتها الانتاجية الى جانب تسليم قطع الغيار الضرورية والكافية لنشاط سنتين بعد الاعلان عن الاستلام الوقتي.

وذكر مصدر آخر ان إدارة الشركة استبقت بإشراف مدير مركزي سابق عملية تغيير محضر الاستلام الوقتي بآخر مفتعل بنُقلة رئيس المستودع وتعويضه بموظف اخر كان قد غض الطرف عن مختلف الإخلالات مع تغيير فريق العمل المشرف على تنفيذ المشروع وسحب الإشراف عليه من إدارة المشاريع رغم أن الصفقة كانت في مرحلة متقدمة من الانجاز آنذاك أي مرحلة اجراء الاختبارات والإعداد للاستلام الوقتي.

وأضاف "مع قدوم رئيس مستودع جديد تمت الاختبارات المتعلقة بجدوى المضخات والإعلان على الاستلام الوقتي اعتمادا على محضر استلام ثان تم بمقتضاه إلغاء الوثيقة الأصلية التي تحمل تحفظات جوهرية دون تشغيل جهاز مراقبة التسرّب وجهاز غلق القوارير" مشددا على ان المحضر المفتعل حمل نفس تاريخ المحضر الأصلي وتضمن امضاء رئيس المستودع الجديد رغم انه لم يتم تعيينه بعد خلفا لرئيس المستودع المعفى.

وتؤكد معطيات استقتها أسبوعية "الشارع المغاربي" من مصادر قريبة من الملف أن رئيس مدير عام سابق لـ "عجيل" سعى جاهدا لتفادي معارضة بعض الموظفين النزهاء على غرار ما حدث في ملف اعفاء مقاول فرنسي من خطايا تأخير بعد اشرافه على انجاز خزان للغاز بقابس وأنه عمد الى تغيير الفريق المشرف على مشروع غاز رادس.

ورغم ذلك باءت مساعي الإدارة العامة بالفشل في اخلاء ذمة الشركة الفرنسية المشرفة على تركيز وحدة التعبئة من خطايا التأخير بعد إصرار المهندس المشرف على مراقبة المشروع على اعداد مذكرة تقرّ بتأخير الشركة وتسليمها الى إدارة العقود بالمؤسسة العمومية وفق تأكيد مصدر بوزارة الصناعة.

المصدر لاحظ أيضا ان دخول المشروع طور الاستغلال بعد الإعلان عن الاستلام الوقتي للاشغال لم يؤد الى تطور الإنتاج وأنه لم يصاحبه انخفاض ملموس في عدد الساعات الإضافية.

من جانبه أكد خالد بتين ان التسليم النهائي للصفقة لم يتم الا بعد رفع كل التحفظات مشيرا في المقابل الى أن سرعة عمل وحدة التعبئة لم تتلاءم مع نوعية القوارير وحالتها الرديئة. وبيّن ان ذلك يؤدي احيانا الى تسرّب الغاز وتوقف الانتاج لمرات عديدة ملاحظا أن المستودع مجهز بأجهزة تكشف التسرّب وتحسب كمية الغاز المتسرّبة.

ولم ينف الرئيس المدير العام من جهة أخرى وجود تجاوزات تخللت صفقة تركيز وحدة التعبئة مرجّحا أن تكون قد ساهمت في الحريق.

رئيس مدير عام "عجيل" اوضح أيضا ان عدم توفر التهوئة ساهم في صعوبة تبخر الغاز ولم يقلل من خطورته مشددا على أن تركيز وحدة التعبئة كان على حساب المساحة المخصصة لتحرّك العمال.

أحد ضحايا الحريق

وأضاف "كل ذلك قد لا يكون من الاسباب المباشرة للحريق ولكنه من المؤكد انه ساهم فيه مع العلم ان توقيت حدوث الحريق وهو السادسة صباحا ساهم بدوره في اشتعال النيران بحكم ان فترة الفجر لا تساعد على تبخر الغاز المتسرب بشكل سريع" خالصا الى القول " صراحة تمنيت لو لم يتم بعث هذه الوحدة".

خمر ومخدّرات في مكان العمل

في اجابة عن سؤال يتعلّق بالاجراءات التي اتخذتها ادارته حيال استهتار بعض العمال باجراءات السلامة وبتعاطيهم مواد مخدرة او استعمال الهاتف الجوال خلال مزاولة نشاطهم لم ينف المسؤول الأول عن المؤسسة ذلك مفسرا استشراء الظاهرة في صفوف العملة بتجاوزات سابقة صاحبت انتدابهم.

وذكّر بأن ادارات سابقة انتدبت ابناء موظفي الشركة وبأنها اضطرت لانتداب أصحاب سوابق في معاقرة الخمرة او في تعاطي المخدرات مؤكدا انه من الصعب على هذه الفئة التخلي عن مثل هذه العادات.

خالد بتين ر.م.ع «عجيل»:

إخلالات سابقة قد تكون ساهمت في حريق 14 مارس

واكدت مصادر بالشركة ان عديد العمال المحسوبين على مركز التعبئة برادس يعتبرون في عداد العاطلين عن العمل باعتبار انهم معفيون بقرار اداري من مزاولة نشاطهم تجنبا لارتكاب اية اخلالات قد تشكل خطرا على المؤسسة والاعوان في نفس الوقت.

وقالت ان "عجيل" عانت بدورها من مثل هذه السلوكات وان مستودع رادس كان على امتداد سنوات مصدر ازعاج لاية ادارة.

رئيس مدير عام "عجيل" أوضح ان إدارته استبعدت عددا من الاعوان من المستودع وأنها اتخذت اجراءات اخرى رادعة اضافة الى اعفاء رئيس المستودع بعد الحادث قائلا "لولا عديد الاجراءات التي اتخذتها الادارة ولولا سرعة تدخل عدد من اعوان السلامة لتسبب "حريق 14 مارس" في كارثة اكبر ولكانت الاضرار افدح.

وبيّن ان عملية اطفاء الحريق تطلبت استهلاك ما يناهز مليون و500 الف متر مكعب من المياه مشددا على ان ذلك مكّن الشركة من السيطرة على الحريق ومن حماية وحدتين اخريين من النار.

وبخصوص وجود عمليات صيانة تزامنا مع تعبئة القوارير قال بتين ان التحقيقات هي التي ستكشف صحة ذلك من عدمه معتبرا ان حوادث من هذا القبيل قد تحصل في أية شركة معبّرا عن خشيته من تطبيع العمال مع الاخطار لافتا الى ذلك قد يساهم بشكل كبير في مثل هذا الحادث.

وتحدث ر.م.ع "عجيل" عن وجود عطب على مستوى جهاز كشف تسرب الغاز قال انه لم يتم اصلاحه الا بعد الحريق مشيرا في الان نفسه الى انهماك عمال الصيانة في اصلاح هذا العطب خلال عملية تعبئة الغاز.

وأوضح في المقابل ان عديد الاعوان مزودون بأجهزة متنقلة لكشف التسربات.

وتعهد خالد بتين بعودة مركز التعبئة الى العمل في اقرب الآجال بعد اجراء الاصلاحات الضرورية ملاحظا انه ملتزم بمكافحة الفساد ومنخرط تمام الانخراط في مرحلة ما بعد 25 جويلية مشيرا الى انه قدم عدة شكايات الى القضاء انطلاقا من توصيات كانت قد وجهتها الى ادارته محكمة المحاسبات وإلى انه ينتظر في المقابل تحرّك القضاء للبت فيها.

وفي انتظار بت الجهات القضائية في ملف الحريق الذي شب بمركز تعبئة قوارير الغاز التابع لشركة "عجيل" بضاحية رادس يبدو أنه لا يزال أمام إدارة المؤسسة العمومية التي تؤمّن قرابة 45 بالمائة من حاجة تونس من قوارير الغاز الكثير من العمل لفرض حسن التصرف في الموارد البشرية والانضباط والضرب على أيدي العابثين بمقدراتها ومهددي سلامة موظفيها.

Auto Fest
édition #2
Du 15 avril au 15 mai
DES REMISES & DES AVANTAGES CLIENTS
ALLANT JUSQU'A
15 000DT
L'occasion de renouveler
votre véhicule
SSANGYONG | KGM
mahindra Rise
GEELY
EN PARTENARIAT
KARCHER
TENZI
www.auto-fest.tn
70 130 130

التحرش الجنسي في الوسط المدرسي يتحوّل إلى ظاهرة

أ. فردوس كشيدة

يعد التحرش الجنسي من أهم الظواهر الاِجتماعية الخطيرة التي ظهرت في مجتمعاتنا الحديثة، فهي ظاهرة كونية لا يخلو منها مجتمع بغض النظر عن مكوناته الثقافية والحضارية والدينية. ولقد سجلت الدول العربية في الفترة الأخيرة حالات صادمة ومخيفة من التحرش الجنسي على أكثر من مستوى، فهي من حيث العدد كبيرة جدا ومتكررة، وهي على مستوى آخر حدثت في العمل وفي الأماكن العامة على مرأى ومسمع بعض الناس الذين قرروا الوقوف على الحياد .

ولا شك أن التحرش بكل أشكاله اللفظي والسلوكي يعتبر من السلوكات المشينة والمنبوذة مجتمعيا، ويعتبر ظاهرة مؤذية بشكل لا يمكن السكوت عنه خاصة في المؤسسات التربوية رغم نفي بعض الأطراف لها. ويبدو أن هذه الظاهرة ضربت أسوار المدرسة التونسية، حيث تزايد التحرش الجنسي في ظل التحولات السياسية والإجتماعية التي عرفتها بلادنا وأصبح يثير الحرج والقلق، بل تخطى في كثير من الأحيان الخطوط الحمراء وبات ينبئ بكارثة أخلاقية .

وقد باتت هذه الظاهرة تحظى باِهتمام وسائل الإعلام وتخرج من قاعات الدرس وأماكن الظل الى العلن بفضل الأنترنت والهواتف المحمولة ووسائل الاتصال الحديثة، تحرشات تطال التلاميذ والتلميذات، فتخلف لديهم ندوبا داخلية وآثارا نفسية وخيمة لا يمحوها مرور السنين، كما أنها تسيء الى المنظومة التربوية ككل التي تضم مربين أفاضل وأطر تربوية تحرص على تنشئة وتربية تلاميذها أحسن تربية .

ونظرا لخطورة هذه الظاهرة، كان لزاما علينا أن نضع الأصبع على الجرح ونتساءل: كيف تحول بعض المربين إلى ذئاب؟ وهل أصبحت الظاهرة خطرا محدقا يستوجب دق ناقوس الخطر أم هناك حالات معزولة وشاذة؟

من المؤكد أن التحرش الجنسي انتقل من الشارع إلى داخل أسوار المدارس والمعاهد والكليات، وأصبح يتربص بالتلاميذ والطلبة رغم أن تلك الأفعال تعد من الظواهر الاجرامية التي تنتهك الإنسانية والأخلاق، الا أنها تكون أشد ألما وجرما عندما تحدث داخل المؤسسات التربوية على يد مدرسين المفترض بهم أن التلاميذ أمانة بأعناقهم، فإذا بهم يتعرضون لإنتهاك حرمتهم منهم بدل حمايتهم ! فقد شهدت عدة مؤسسات تربوية، في العديد من جهات البلاد، حالات تحرش جنسي وجهت فيها أصابع الإتهام للإطار التربوي والإداري .

وليس خافيا على أحد، أن التحرش الجنسي في المحيط المدرسي يبقى ظاهرة مسكوت عنها رغم معرفة الجميع بوجودها ورغم وجود قضايا امام أنظار المحاكم . لهذا يعتبر فضحها مسؤولية الجميع من مربين ومجتمع مدني، لأنه لا علاقة لهذه السلوكات بالمسؤولية التربوية، وهؤلاء قلة لا يشرّفون الإطار التربوي لأنهم يتصرفون تصرفات لاأخلاقية حينما يجدون أنفسهم صحبة أطفال مراهقين لهم تأثير عليهم. وهذه السلوكات الشاذة تجعل الطفل أو التلميذ يعيش حالة من القهر فيصبح خائفا صامتا، أما التلميذة المراهقة فتشعر بالحرج أمام العائلة وتعيش صراعا وضغطا نفسيا كبيرا ولا تعرف كيف تتعامل مع هذه الممارسات .

لذا يجب التحسيس بهذه الظاهرة والتحدّث عنها وعدم اِعتبارها من «التابوهات»، وإلا ستتفشى بسرعة في مجتمعنا نظرا لما تخلّف من آثار نفسية كبيرة على المتحرش به أو بها. والسؤال الذي يطرح نفسه : كيف ننتظر من الذين تعرضوا للإعتداءات أن يكونوا مواطنين أسوياء ؟؟ فالذين يقومون بهذه التصرفات يجنون على مصير من تعرضوا للتحرش الجنسي .

ولئن كان القانون الجنائي يعاقب على التحرش الجنسي فإن طابع الظاهرة يجعل احيانا مقترفيها بعيدين عن يد العدالة، من بينها وسائل الإثبات مثل الشهود الذين لا يمكن الاعتماد عليهم في هذا المجال، لأن التحرش الجنسي غالبا ما يتم في فضاءات مغلقة .

ورغم تكرر هذه الحالات داخل مؤسساتنا التربوية، فإنها تظل حالات معزولة وبات من الضروري تناول المسألة بكل شفافية وموضوعية على طاولة الحوار وايجاد الحلول لمحاربتها، وذلك من خلال ضرورة وجود خلايا انصات في المؤسسات التربوية وطبيب نفساني وإفراد التلاميذ بنص خاص يشدد العقاب على التحرش الجنسي الصادر عن الإطار التربوي، مع ادراج مادة بيداغوجية توعي أطفالنا بأهمية جسده وتفسر له معنى التحرش الجنسي وكيف نحمي أنفسنا منه . كما أنه على الآباء أن يعلموا أبناءهم التواصل معهم بكل صراحة لحمايتهم .

وحتى تظل المؤسسة التربوية فضاء للمعرفة والأخلاق، فعلى كل الأطراف المسؤولة من مربين وأولياء ومجتمع مدني فضح هذه الظاهرة والإعلان عنها في صورة حدوثها واتخاذ الإجراءات اللازمة، لأن الجانب الرادع يبقى هو الحاسم للحد من تفشي هذه الظاهرة أكثر، «فلا تلمسوا أولادنا « !.

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال» شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

GEELY
SOTUDIS
GX3PRO
DRIVE FOR A BETTER LIFE

VISITEZ NOTRE SITE WEB
WWW.GEELY-TUNISIE.COM
DISPONIBLE DANS NOS SHOWROOMS
TUNIS | SOUSSE | SFAX | GABES
APPELEZ-NOUS AU
70 131 000
SUIVEZ-NOUS

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

سمير الطرابلسي

كشفت مؤخرا منظمة AACSB عن اختيار البروفيسور التونسي ذي الصيت الدولي سمير الطرابلسي ضمن افضل القادة المؤثرين في العالم لسنة 2023 اعترافا بإسهاماته السخية عبر بحوثه القيمة والخلاّقة في تطوير المعرفة وفي التأثير على المجالين الاقتصادي والاجتماعي.

البروفيسور الطرابلسي هو عالم حسابات وحوكمة بجامعة بروك الكندية تخصص في مجالات تعزيز الحوكمة الرشيدة واستدامة الشركات رابطا بين النظريات الأكاديمية والتطبيقات العملية مما خول له الظفر بجائزة باحث العام لسنوات 2019 و2020 و 2023 بكندا مع العلم انه يتم منح الجائزة بناء على ترتيب الباحثين وفق عدد الابحاث التي انجزوها والمؤتمرات العلمية التي شاركوا فيها والطلبة الذين اطّروهم.

شغف العالم التونسي بسبر أغوار التحديات العاجلة التي تواجه كوكب الأرض في مجال الاستدامة مكنه من استنباط مفاهيم جديدة في مجال مكافحة تغيّر المناخ منها مفهوم "علاقة الناتج المحلي الإجمالي بمقاييس البيئة والاجتماع والحوكمة" ودعم موقعه كخبير اكاديمي لدى الامم المتحدة في مجال الاحصاء.

ويبقى البروفيسور سمير الطرابلسي الذي تم انتخابه سنة 2022 رئيسا لجمعية المحاسبة الاكاديمية الكندية من الكفاءات المشهود لها في اختصاصه عبر العالم بما يعزز دوره في ايجاد حلول مبتكرة لما يواجه العالم من مشاكل بيئية واقتصادية واجتماعية ويساهم في إعلاء راية تونس في محافل علمية دولية.

رديء

رئاسة الجمهورية

بلا أية تغطية إعلامية وفي غياب أية ندوة صحفية تنير الرأي العام وتعود على خلفية اللقاء الذي جمع اليوم رئيس الجمهورية قيس سعيد برئيس الجزائر عبد المجيد تبون ورئيس المجلس الرئاسي الليبي محمد يونس المنفي مر الاجتماع التشاوري الأوّل بين قادة البلدان الثلاثة تاركا سيلا من الأسئلة.

حتى صفحة رئاسة الجمهورية التي طالما اعتمدتها الرئاسة في تغطية نشاطات الرئيس والاحاطة بمواقفه ونشر خطاباته كانت عاجزة عن تبديد حيرة التونسيين إزاء اللقاء الثلاثي.

عدم توفر أية معلومة بمختلف وسائل الاعلام التونسية حول فحوى اللقاء والمغزى منه في ظل ظرف عالمي دقيق دفع بالعديد من المتابعين الى الهجرة الى صحف ومواقع اخبارية اجنبية بحثا عن خبر يشفي غليلهم ومعلومة تبدد حيرتهم طالما انه تغييب الاعلام المحلي عن التغطية والمتابعة والظفر ولو بتصريح او توضيح يفك طلاسم اجتماع بين قادة ثلاث دول مغاربية.

إمعان رئاسة الجمهورية في الاستعاضة عن الاعلام بسياسة اتصالية قائمة على الاعتماد على صفحة فايسبوكية تردد صدى ما يقوله الرئيس وتنقل تحركاته هو تكريس للصوت الاوحد والرؤية الواحدة وتغييب لأي صوت مخالف ولو كان صوت متحدث باسم الرئاسة. أما الاستجابة لحوار صحفي يُسائل الرئيس ويستفسر عن سياساته العمومية فذلك اضحى من شبه المُستحيل.

الرئاسة امست لا تُري الناس إلا ما ترى ولا تُسمعهم إلا ما تسمع رغم ان الفضل كل الفضل للإعلام في التعريف بالرئيس وبذياع صيته قبل ترشحه للرئاسة في 2019.

صورة تتحدث

الدكتور محمد الحجي طبيب الأمراض النفسية (رحمه الله) وافته المنية يوم 14 مارس 2024 في الايقاف التحفظي اثر قضية أساسها، حسب زملائه، تقرير أمني حول ترويج وبيع اقراص مخدرة. يوم 19 أفريل 2024 قضت الدائرة الجناحية للمحكمة الابتدائية بمنوبة بعدم سماع الدعوى في حق الأطباء الموقوفين في ما يعرف بقضية الاقراص المخدرة.

قالوا

قيس سعيد

هذه الذكريات نحتفل بها جيل من بعد جيل وليس لاي كان حق في ان ينساها او يتناساها ولا خير في من لا يحب بلاده او يتظاهر وهو مفضوح بحبها ويضع كل يوم على وجهه قناعا فلا الاقنعة لهؤلاء الذين لا ولاء لهم للوطن ستخفي الوجوه ولا الوجوه التي تخفي وجوها اخرى مازالت قادرة على المراوغة وعلى الخداع. فالأقنعة سقطت واوراق التوت التي يعتقد من وضعها انها ستخفي سوءاته يبُست وتكّسرت ومن يحلم بالعودة الى الوراء فليعش لوحده في اضغاث احلام او في احضان من زيّن له هذه الاضغاث فالشعب التونسي حسم امره يوم 17 ديسمبر 2010 واكد حسمه يوم 25 من شهر جويلية 2021 ... فلا رجوع على الاعقاب والى الوراء والى ما قد مر وانقضى..

عبد المجيد تبون

الله يحمي تونس .... قلوبنا دائما مع الشعب التونسي ومع اخي قيس سعيد... تونس تتأثر بكل شيء ولا تسقط ...تونس دائما واقفة .

جورجيا ميلوني

العلاقة بين ايطاليا وتونس تقوم على نهج جديد تماما، على أساس المساواة وعلى أساس المصلحة المشتركة للبلدين والزيارة التي اقوم بها اليوم تؤكد العلاقة الجديدة التي أنشأناها بين دولتين صديقتين تاريخيا ... العلاقة الاستراتيجية المهمة للغاية مع تونس تمثّل إحدى أهم أولويات إيطاليا ونحن نعمل معا على المستوى الثنائي، ولكن أيضا على المستوى المتعدد الأطراف.... لا يمكن لتونس ان تصبح الدولة التي يُرسل إليها المهاجرون القادمون من بقية أوروبا ... نحن بحاجة إلى تعزيز التعاون في هذا الشأن... نريد إشراك المنظمات الدولية والعمل على عمليات الإعادة إلى الوطن .

أنس الحمادي

تأتي كل هذه التجاوزات الكبرى والانتهاكات الجسيمة لمبدا استقلال القضاء ومقوماته في ظل تعهد القضاة بقضايا حساسة تتعلق بسياسيين واعلاميين وناشطين مدنيين وفي ظل خطاب سياسي من رئيس الجمهورية يأتي على تلك القضايا ويتطرق اليها بأسلوب القصف والتهديد المباشر من قبيل القول من "يبرؤهم فهو شريك لهم "..كل ذلك تحت سيف الاعفاءات والايقاف عن العمل واغلاق المكاتب وفتح الابحاث التأديبية الفورية بما آل الى اختلال التوازن الى صالح السلطة التنفيذية والى وزارة العدل التي يمكن ان نقول انها مضت خطوات كبيرة لاستيعاب القضاء وإحكام السيطرة عليه ولعل من ابرز مظاهر ذلك ما نشاهده من تطبيقات قضائية مُوسعة وموجهة للمرسوم عدد 54 لسنة 2022 تستهدف الحقوق والحريات ومن خروقات اجرائية واصلية تستهدف المعارضين والناشطين السياسيين واصحاب الاصوات الحرة المقلقة للسلطة....

مختار الجماعي

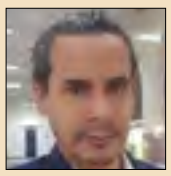

إنّ الابقاء على مجموعة المؤامرة (الموقوفون في ما يعرف بقضية التآمر) رهن الاعتقال بعد نهاية اقصى الآجال يكون بمثابة الاحتجاز القسري الموجب للمساءلة الجنائية وطنيا ودوليا. لذا يجب التحذير من التلاعب بالاجراءات، لأنني على ثقة بأن وزارة ضغطت كل الضغط لتحويل مسار الملف الاصلي من محكمة الاستئناف إلى قاضي التحقيق عوضا عن محكمة التعقيب، وزارة اعلمت بقرار يشمل اكثر من 50 طرفا على مدى يومين اثنين، وزارة وجهت الملف واعدت المستندات خلال 48 ساعة، وزارة عينت الجلسة قبل استيفاء اجال الطعون، واستماتت حتى تكون الجلسة قبل نهاية اقصى مدة للايقاف بسويعات..

كيف ضربت إسرائيل إيران من الداخل؟

نقل : الحبيب القيزاني

أحد اجتماعات مجلس الحرب الاسرائيلي

أخطأ كل من كان يعتقد أن إسرائيل لن تردّ على الردّ الإيراني على تدمير قنصليتها بدمشق وقتل مجموعة من عناصر الحرس الثوري وعلى رأسهم جنرال.

ردت إسرائيل يوم الخميس الماضي 18 افريل الجاري وضربت ايران. ورغم ملازمة تل أبيب الصمت في محاولة لابعاد الشبهة عن نفسها فقد جاءت عناوين وسائل الاعلام الامريكية لتؤكد أن الفاعل هو إسرائيل. محطة CBS News الامريكية أكدت ذلك تحت عنوان :

Israel strikes Iran with a missile, us officials say, as teheran downplays Netanyahu apparent retaliation.

في التفاصيل أن ايران ضُربت من الداخل. والحقيقة انه لم يكن أمام إسرائيل بعد الضربة الانتقامية الإيرانية سوى 3 خيارات:

1 – تُمسك عن الردّ وترضى بالزخم الإعلامي والدبلوماسي الدولي الذي حصل بعد الهجمات الإيرانية عليها خصوصا بعدما رأت كل الغرب يسترضيها ويؤكد أنها "ضحية" وأن ايران هي التي ضربتها وبعدما رأت أنها كسّرت بذلك جانبا من العزلة الدبلوماسية التي سقطت فيها نتيجة المجازر التي ترتكبها في قطاع غزة.

كما حاول الامريكان اقناع حكومة نتنياهو بعدم الردّ وبأن بلادها "انتصرت" على ايران لمّا تمكنت بمساندة من حلفائها الرئيسيين (أمريكا وبريطانيا وفرنسا) من "اسقاط 99 ٪ من الطائرات المسيّرة والصواريخ التي أطلقتها على أراضيها؟.

موقع AXIOS كشف في هذا الصدد أن بايدن أعلم نتنياهو بأن الولايات المتحدة لا تريد تحمّل تبعات هجوم إسرائيلي معاكس على ايران.

كان إذن بإمكان تل أبيب عدم الردّ على الضربة الانتقامية الإيرانية والردّ في قطاع غزة حيث كشف موقع "ولاّ" الإسرائيلي أن جيش الاحتلال بصدد التوغّل لاقتحام رفح بريّا بعد تقسيمها الى مربعات ومهاجمتها الواحد تلو الآخر.

The Israeli plan for occupying Rafah will be divided into numbered squares, the IDF will gradually occupy each square.

2 – ردّ انتقامي كبير وضرب العمق الإيراني ومنشآت نووية بغية "تأديب" طهران ولن يهمّها في صورة القيام بذلك ردّ فعل العالم عملا بشعار "عليّ وعلى أعدائي". لكن من شأن هذا السيناريو اثارة غضب الغرب وخصوصا واشنطن بعدما تلقت تعهدا إسرائيليا بعدم الردّ إلاّ بعد التنسيق معها.

وفي هذه الحالة كان الامريكان سيعترضون على قصف أية منشأة نووية إيرانية باعتبار أن من شأن ذلك أن يشعل كل المنطقة خصوصا أن الاسرائيليين كانوا واضحين جدا : "اذا ضربتمونا ضربناكم" وامريكا ليست جاهزة لسيناريو مماثل في ظل أجواء الانتخابات الرئاسية والحرب الدائرة بأوكرانيا.

3 – أما ثالث الخيارات فهو الذي نفذته إسرائيل بالضبط والذي يمكن القول انه اعتمد على استراتيجية "المنطقة الرمادية" The gray zone. وتَمثل هذا السيناريو في ضرب ايران وملازمة الصمت أي عدم الإعلان عن مسؤوليتها عن ذلك والوقوف موقف المتفرج لرؤية ردّ فعل طهران في الداخل مع أن ايران متأكدة من أن الطرف الوحيد الذي سيضربها هو إسرائيل.

فماذا حصل يوم الضربة الإسرائيلية الجديدة؟

أ – بدأ الكونغرس الامريكية مناقشة ادانة الردّ الإيراني على ضربة إسرائيل مع أن هناك 14 نائبا ديمقراطيا رفضوا إدانة طهران. وكتبت Associated Press في هذا الصدد :

Congress moving swiftly on bipartism action to punish Iran reveng attack on Israel.

وقد تعرض النواب الـ 14 لحملة تشهير بهم من طرف اللوبي الصهيوني ونشرت الصحف الامريكية مقالات بعنوان : "هؤلاء هم الـ 14 نائبا الذين رفضوا إدانة هجوم ايران على إسرائيل" مصحوبة بصورهم.

ب – بدأت أمريكا تناقش مع الدول الغربية فرض مزيد من العقوبات على ايران تستهدف أساسا برامجها للصواريخ والمسيّرات. ونشر موقع CNBS في هذا الصدد مقالا بعنوان :

Treasury Department plans to impose new sanctions on Iran after Israel Attack.

حدث ذلك يوم الخميس الماضي. وفي نفس اليوم أعلنت وزارة الدفاع الامريكية في بلاغ مقتضب أن مكالمة هاتفة جرت بين وزير الدفاع ونظيره الإسرائيلي دون أن يفصح البنتاغون عن فحوى المكالمة وكل ما جاء في البلاغ أن الرجلين تطرقا الى التنسيق بين الطرفين ودراسة الظروف الاستراتيجية والأوضاع في ايران وقطاع غزة.

عندما حلّ يوم الجمعة كان هناك برنامج لاجتماع مجلس الحرب الإسرائيلي الذي سبق أن تم تأجيله في 3 مناسبات. لكن يوم الجمعة فاجأ نتنياهو الجميع بإلغاء الاجتماع جملة وتفصيلا.

وقد سرّبت بعض الصحف الإسرائيلية أن السبب هو أن نتنياهو قرر تنفيذ ما في

مسيّرات ايرانية

قاعدة بتفاتيم الاسرائيلية

دماغه بعد فشل مجلس الحرب 3 مرات في الاتفاق على طريقة التعامل مع ايران. وأوضحت التسريبات أن أعضاء مجلس الحرب لم يتفقوا خلال الاجتماع الأول على شيء وأنهم اتفقوا خلال الاجتماع الثاني على الهدف الإيراني الذي سيتم ضربه ولم يتفقوا على توقيت الضربة. وأضافت التسريبات أن أعضاء مجلس الحرب اتفقوا خلال الاجتماع الثالث على الهدف والتوقيت وأنه اختلفوا حول كيفية الإعلان عن ذلك.

في الاجتماع الرابع الذي لم يحصل كان واضحا أن إسرائيل ستتصرّف.

ويوم الخميس الماضي حدثت 3 انفجارات متتالية في 3 دول.

أول انفجار حصل في سوريا. وحسب الاعلام الأمريكي تم ضرب قاعدة عسكرية تابعة للحرس الثوري الإيراني. وقالت صحيفة The Jerusalem Post أن الحرس الثوري الإيراني أسند يومها إجازات لعناصره وأنه أخلى معظم قواعده بسوريا. وهذا يعني أن إسرائيل لما ضربت القاعدة الإيرانية بسوريا لم تكن هذه المرة ترغب في سقوط ضحايا وأنها ضربت القاعدة رغم علمها بأنها فارغة. ثاني انفجار حصل في العراق. أما ثالث انفجار فقد حدث في قاعدة "شيكاري" الجوية العسكرية الكبيرة بمدينة أصفهان الإيرانية.

الغريب في الموضوع أن وكالة "تسنيم" الإيرانية نفت في البداية وقوع أي انفجار بأصفهان مؤكدة أن المنشآت النووية بها آمنة. ثم بدأ التأكيد الرسمي الإيراني يخرج للعلن عبر وكالة Iran International المدعومة من طرف العربية السعودية والتي تبث من لندن وأكدت حصول انفجار في مدينة أصفهان بينما لازم الاعلام الإسرائيلي الصمت.

أول صحيفة اسرائيلية خاضت في الموضوع هي صحيفة The Jerusalem Post تحت عنوان :

Drone strike at Isfahan has worked before, was it the right move now?

بعد ذلك جاءت 3 تصريحات من CNN ولم يصاحب ذلك في بادئ الأمر أي تعليق ايراني أو إسرائيلي.

في أمريكا كان أول من علّق على الموضوع هي قناة CNN التي استضافت يوم الخميس (يوم حدوث الانفجار بأصفهان) مسؤولا عسكريا أمريكيا قال إن إسرائيل نفذت ضربة صاروخية استهدفت قاعدة عسكرية بمدينة أصفهان. بعد ذلك أعلن الحرس الثوري الإيراني أن دفاعاته اسقطت مسيّرات صغيرة كانت تهاجم القاعدة العسكرية المذكورة.

مع مرور الوقت بدأت الروايات تتسرّب من أفواه مسؤولين أمريكان وايرانيين الى صحيفة "نيويورك تايمز".

السؤال هو : لماذا تم استهداف مدينة أصفهان؟

أولا هي ثالث أكبر مدينة في ايران وتقع في العمق الإيراني وتضمّ 4 منشآت للأبحاث النووية إضافة الى محطة "نطنز" التي تعد أكبر منشأة طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم وقادرة على تشغيل أكثر من 50 جهاز طرد مركزي إضافة الى إمكانية انتاج يورانيوم عالي التخصيب.

ثانيا هي مدينة عسكرية. صحيح أنها مدينة تاريخية وسياحية وأن تعداد سكانها أكثر من مليوني نسمة لكنها مدينة صناعية وتضمّ قواعد عسكرية كبيرة. والقاعدة التي تم ضربها هي التي انطلقت منها المسيرات التي ضربت إسرائيل. ومن هنا نفهم أن الضربة التي استهدفت هذه القاعدة لن تكون سوى ردّا إسرائيليا. لكن لماذا؟ لأن ايران لمّا قررت الردّ على إسرائيل استهدفت فيها قاعدة اسمها "نيفاتيم" وأصابتها بـ 5 صواريخ وهي القاعدة التي انطلقت منها طائرة "أف 35" إسرائيلية لتدمير قنصلية ايران بدمشق. ونحن هنا أمام نتيجة "واحدة بواحدة"... "تضرب لي قاعدة أضرب لك قاعدة" (بقطع النظر عمّن بادر بالضرب).

الغريب أيضا في الموضوع أن مسؤولا أمريكيا قال إن الضربة الإسرائيلية صاروخية بينما قال مسؤولون إيرانيون انهم كانوا "يتصدّون لمسيّرات". والسؤال هنا : لو تمت الضربة بمسيّرات كيف اختفت عن عيون السوريين والعراقيين الذين من المفترض أن تمرّ عبر أجواء بلديهما؟ ثم انه من المعروف ان الدفاعات الجوية الإيرانية منتشرة بكثافة في سوريا تحسبا لاعتراض طائرات أو مسيّرات إسرائيلية فكيف لم ير أحد المسيّرات التي هاجمت مدينة أصفهان؟

هنا يدور كلام كثير يؤكد أن ضرب ايران تم من الداخل وأن المسيّرات التي هاجمت أصفهان لم تطر من إسرائيل وأنه تم اطلاقها من داخل ايران. وهذا يذكّر بحادثة مشابهة حصلت في جانفي 2023 عندما تمكن أكراد من ادخال طائرات مسيّرة مفكّكة الى مدينة أصفهان ثم جمعوا أجزاءها وضربوا بها مصنعا للمسيّرات داخل المدينة. وهذه حادثة شهيرة وصدر فيها حكم بإعدام الأكراد المتورطين فيها. ويُذكر أن صحيفة "المجد" الأردنية عنونت بعد ذلك على الحادثة بتاريخ 1 فيفري 2023 : "على غرار خيانات اكراد تركيا وسوريا والعراق... أكراد إيرانيون هم الذين أدخلوا المسيّرات التي هاجمت أصفهان لحساب إسرائيل" فيما عنونت صحيفة "الشرق الأوسط" بتاريخ 19 افريل الجاري : "ايران... اعدام 4 سجناء سياسيين اكراد أدينوا بتهمة التجسيس لصالح إسرائيل" ناقلة عن محام قوله: "المتهمون اعتقلوا قبل وقوع العملية الأخيرة ضدّ مدينة أصفهان". وأوضحت الصحيفة أن اعدام المتهمين تم في شهر مارس الفارط.

تبقى الإشارة الى أنه يبدو أن إسرائيل بملازمة الصمت قد تكون ترغب في حصر المواجهة مع ايران في نطاق ما يسمى بـ "حرب الظلّ" بعيدا عن المنشآت النووية الإيرانية والمنشآت النفطية والغازية تفاديا لأي تصعيد.

وقد أكد ذلك موقع Abc News بتاريخ 18 أفريل الجاري نقلا عن عسكريين إسرائيليين متقاعدين تحت عنوان :

Israel should not directly attack Iranian soil

أما موقع CNBC فقد نقل عن مصدر أمريكي قوله : "الضربة الإسرائيلية كانت مصمّمة بشكل يسمح لإيران بابتلاعها".

الثابت أن الردّ الإسرائيلي جاء محسوبا لعدم اغضاب الامريكان الذين تقول وكالة "بلومبيرغ" إنهم أكدوا أن بلادهم لم تشارك في الهجوم على أصفهان وإنها لم تشجع عليه ورفضته من الأساس وهو كلام لا يستقيم في ظل خبر اتفاق الطرفين على التنسيق بينهما قبل اية ضربة.

أما لماذا خرج الامريكان بمثل هذه التصريحات فلأنهم لا يرغبون في تعرض قواعدهم العسكرية أو مصالحهم بالمنطقة الى ضربات انتقامية إيرانية مثلما حدث ذلك من قبل في قاعدة "عين الأسد" بالعراق اثر اغتيال قاسم سليماني.

فهل يعني ذلك ان أمريكا تخلت عن دورها الهجومي في المنطقة؟ هذا ما يبدو على الأقل في الوقت الراهن بعدما أصبحت تكتفي بالدفاع عن حليفتها إسرائيل وتتجنّب أية مواجهة مع ايران خصوصا في ظل انشغالها بالحرب الأوكرانية وبمواجهة قادمة مع الصين.

الحرب على غزة وتهافت السّرديات

بقلم : خالد الاسود (كاتب ومهتم بالشأن السياسي)

كان ما وقع في 7 أكتوبر 2023 حدثا مزلزلا بكل ما تعني الكلمة من معنى وله بالتأكيد تداعيات جغراسياسية في المنظورين القريب والبعيد. ولعلّ أهمّ ما ميّز هذا الحدث هو تضارب السرديات سواء حول حقيقة ما جرى أو حول تقييم ما قامت به «حماس» بالنظر الى النتائج الحاصلة على الأرض من دمار وخراب وقتل جماعي للمدنيين في حرب إبادة غير مسبوقة لا تضاهيها في القوة سوى حرب السرديات التي قلبت المفاهيم السابقة وساهمت في فهم الواقع بشكل مغاير . ولعلّ أهم علامات التحوّل في السرديات ما يلي :

- المقابلة الشهيرة للإعلامي المصري باسم يوسف مع الإعلامي البريطاني مورغان
- المواجهة بين الفتاة المصرية رحمة ومراسلة الـ CNN على الحدود المصرية .
- رسالة قديمة من بن لادن إلى المجتمع الأمريكي أعادت نشرها فتاة أمريكية على تطبيق «تيك توك» .
- مشهد تسليم الأسرى من الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي.
- صور الضحايا من الأطفال والجد الملتحي يناجي حفيدته الميتة (روح الروح)

1/- سردية الواقعة

لقد اشتغل الاعلام الصهيوني بسرعة فائقة لتصوير واقعة 7 أكتوبر على أنها عملية إرهابية واضحة تم فيها ذبح أطفال واغتصاب نساء وقتل مدنيين بلا رحمة مع محاولة اقحام اسم داعش في الجمعي العالمي . رواية سارع الغرب الى تصديقها والبناء عليها لتبرير مساندته المطلقة للكيان . وحتى تراجع الإدارة الأمريكية عن خبر ذبح الأطفال لم يعد يعني شيئا طالما أنّ الخبر تغلغل في اللاوعي الغربي حتى أصبح حقيقية تبرّر وتبيح لإسرائيل أن تفعل بالفلسطينيين ما تريد نظرا لبشاعة جرم حماس كما يزعمون . حتى المطبّعون العرب سارعوا إلى إدانة ما أسموه إرهاب حماس وربطوا بينها وبين حركة الاخوان المسلمين بل وأكثر من ذلك طالبوا إسرائيل بسحقها لأنّها قد تُعيد إحياء حركة الإخوان التي غلبوها بوضع زعمائها في السجون .و ينسى هؤلاء أن ربط حماس والمقاومة عموما بالحركة الاخوانية ربط جائر لأنّ المقاومة مجبرة على استعمال خطاب ديني في مواجهة الصهاينة الذين يحاربون الفلسطينيين بخلفية دينية (كالعمل على إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى أو بعقيدة الصهيونية المسيحية التي تعتقد أنّه لا يمكن عودة المسيح المخلّص الا بوجود اليهود في فلسطين أو بالاستجابة للتعاليم التوراتية المحرّفة التي تجيز قتل العرب وتعتبرهم قردة وخنازير) وبشيء من إعمال المنطق يمكن دحض هذه الرواية وإبراز تهافت سرديتها خاصة بمعرفة الأسباب الحقيقية التي أدّت الى حدوث تلك الواقعة .

*- أوّلا : نشير أنّ واقعة 7 أكتوبر كانت عملية عسكرية بامتياز تمّ التخطيط لها جيّدا لتحقيق ثلاثة أهداف : الوصول الى المركز الاستخباراتي العالمي الذي أقامته كلّ من أمريكا وبريطانيا وكندا وفرنسا وألمانيا وأستراليا ونهب محتوياته لمعرفة ما يخطّط للمنطقة ومن كانت أهدافه عسكرية بهذا الثِّقل يصعب أن نصدّق أنّه سيتلهى أثناء أداء مهامه بقتل أطفال أو اغتصاب نساء أو قتل مدنيين خاصة أنّ الحيّز الزمني لتنفيذ العملية محدود (ثلاث ساعات فقط). الهدف الثاني كان القضاء على لواء غزة المسؤول عن محاصرة أهل غزة والتنكيل بهم يوميا في المعابر . ثالثا احضار عدد كبير من الجنود الصهاينة بغاية صفقة تبادل تُنهي معاناة الأسرى الفلسطينيين لدى سلطة الاحتلال خاصة أصحاب المؤبدات والمحكوميات العالية الذين لا أمل لهم في الخلاص الا عبر عملية تبادل .

*- ثانيا : إنّ واقعة 7 أكتوبر هي عملية استباقية لِما وقع التفطّن إليه من اعتزام إسرائيل اختلاق واقعة إرهابية كبيرة (كما اختلقت أمريكا أحداث 11 سبتمبر لتبرير غزو أفغانستان) وأنّ تلك العملية كانت ستتمّ عبر تجنيد بعض الفلسطينيين للقيام بعمل إرهابي كبير يرتكز على القتل والاغتصاب (ولا يتضمّن اختطاف جنود) وذلك قصد تبرير اكتساح غزة وإجبار أهلها على النزوح الى سيناء ويبدو أنّ النظام المصري كان متورّطا بشكل أو بآخر في هذا السيناريو خاصة لمّا قام بتفريغ رفح المصرية من سكّانها وإبعادهم الى أماكن أخرى وتهيئة ثلث سيناء لاستقبال الفلسطينيين ولكن ردّ الفعل القوي للشعب المصري في بداية الحرب على غزة قد دفع بالنظام الى رفض التهجير ومثله فعل النظام الأردني بعد تأكّد قوة المد الجماهيري.

- أمّا ما وقع من قتل للمدنيين الإسرائيليين فقد اتضح أنّه تمّ بسبب كثافة الاشتباكات ووقوع المدنيين في خط النار بين المتحاربين وكذلك بسبب القصف المدفعي الإسرائيلي لبعض البناءات التي كان بداخلها أسرى إسرائيليون قصد منع أخذهم الى غزة. الى جانب الطيّارين الذين تلقّوا أوامر بقتل كل شيء يتحرك على الأرض لمنع إتمام عمليات الاختطاف.

*- ثالثا: لقد اتضح أنّ حادثة 7 أكتوبر لها ارتباط وثيق بصفقة القرن القائمة على تصفية القضية الفلسطينية عبر التهجير وإلغاء حلّ الدولتين وجاءت الواقعة لردّ الاعتبار للقضية وإحياء الأمل في التحرير وإحداث هزيمة استراتيجية للعدو تدفعه للتّراجع عن سياسة الاستيطان والخضوع لبلطجة المتطرّفين واستفزازاتهم الماسّة بالمقدسات خاصة الاعتداءات المتكرّرة على المسجد الأقصى ومن تداعيات صفقة القرن كان المفروض أن يقع التطبيع بين إسرائيل والسعودية ثاني أكبر دولة مؤثّرة شرق أوسطيّا بعد مصر وجاءت عملية 7 أكتوبر لتأخير هذا التطبيع أو إلغائه لأنّ ثقل السعودية له بعد ديني باعتبارها بلاد الحرمين وتطبيعها يعطي شرعية دينية .و في علاقة بحرب أوكرانيا التي كان من أهدافها عند الغرب الدّاعم التخلصَ من الغاز الرّوسي لضرب روسيا الاتّحادية وإضعاف اقتصادها القائم أساسا على الموارد الطبيعية كان لابدّ من البحث عن طريق جديد للغاز . ولضرب منظمة بريكس التي أُنشِئتْ حديثا أعلن بن سلمان في قمّة العشرين عن خط تجاري يربط بين الهند وأوروبا مرورا بدول الخليج وصولا الى شاطئ غزة خاصة بعد اكتشاف ثروة هائلة من الغاز في بحر غزة يمكن تسويقها عبر هذا الخط الى أوروبا تعويضا للغاز الروسي . استثمارات هائلة لا يمكن أن تتمّ الا بتصفية الحضور الفلسطيني في غزة عبر التهجير القصري وهو ما فهمته حماس (وقيل أنه تمّ إخطارها من المخابرات الروسية بما أن مشروع غزة جُعل بالأساس لضرب الغاز الروسي) فقامت بعمليتها الاستباقية إفشالا لكل المخطّطات .

2/- سردية التاريخ اليهودي

قامت سردية التاريخ اليهودي من وجهة نظر صهيونية على المظلومية واعتبار الشعب اليهودي شعبا مضطهدا عانى من معاداة السّامية ومن محرقة الهولوكوست التي ارتكبتها النازية خلال الحرب العالمية الثانية وهو ما خلق شعورا بالذنب لدى الشعوب الأوروبيةو قد تزامن ذلك مع ظهور المسيحية الصهيونية في أمريكا والتي أصبحت متحكّمة في السياسة الأمريكية والاوروبية على حدٍّ سواء منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية الهيمنة الأمريكية على العالم .وظل الغربيون على تعاطفهم المطلق مع اليهود حتى أصبح الالتزام بأمن إسرائيل عقيدة سياسية ودينية في نفس الوقت خصوصا بعد تزايد نفوذ اللّوبي الصهيوني في أمريكا الذي أصبح يتحكّم في الانتخابات الأمريكية . إذ يوجد اكبر تجمّع يهودي حضري في العالم بمدينة نيويورك (1.5 مليون) ويصل عددهم الإجمالي في الولايات المتحدة إلى قرابة الثمانية ملايين نسمة. مظلومية ونفوذ لوبيات .دولة ديمقراطية مثال للنموذج الغربي يقاوم أنظمة شمولية معادية ليس لليهود وحدهم بل لكل العالم المتمدّن . هكذا هي الصورة حاليا. ولم تكن كذلك قبل الحرب العالمية الثانية . وهي السردية التي يُراد طمسها وإخفاؤها . صورة اليهودي المفسد المرابي الذي يسبّب في إرباك الأوضاع في أي بلد يكون فيه . يفعل ذلك بكل غدر وخيانة للمجتمعات التي تحتضنه .إذ برّر هتلر سعيه إلى إبادتهم بكونهم الرمز الأكبر للشر في العالم مستشهدا بحادثة المساجين الرّوس الذين أمرهم الجيش النّازي بإحداث حفرة كبيرة ولّما انتهوا طلب منهم ردم المساجين اليهود أحياء . لكنّ الروس رفضوا واعتبروها جريمة ضد الإنسانية . عندها طلب الألمان من اليهود البدء بردم هؤلاء الرّوس .و بكل غدر شرعوا في الانجاز حتى وصل التراب هامات الأكتاف. عندها أُمِروا بالتوقّف بعد أن قام الدّليل على خِسّتهم. وقال فيهم هتلر قولته الشهيرة « سأترك لكم بعضهم لِتُدركوا مدى خطرهم على العالم « . لكن بعد انقضاء الحرب نجحت الصهيونية في تسويق سردية المظلومية وتعميق الإحساس بالذنب لدى الغربيين وأصبح المساس باليهود معاداة للسّامية والتكذيب بالمحرقة جريمة ضد الإنسانية وكأنّ المشكلة اليهودية ليست مشكلة أوروبية .لكنّ المقابلة التي أجراها الإعلامي السّاخر باسم يوسف مع مورغن زلزلت هذا الاعتقاد . حيث أكّد وبسردية تاريخية مبسّطة أنّ الاوروبيين وحدهم يتحمّلون وزر ما حصل لليهود عبر التاريخ بدءا بالقرن العاشر ميلادي حين استدعاهم الملك الإنجليزي لبناء أسوار لندن وحصونها . ودام حضورهم أكثر من مائتي عام فعاثوا فسادا في المجتمع الإنجليزيبما في ذلك الوقت .ذبحوا الأطفال الإنجليز استجابة لطقوس دينية يهودية قديمة فقام الملك الإنجليزي بطردهم وكذلك فعلت باقي الدول الأوروبية . الطرد والمنع من العمل دفع اليهود إلى الاشتغال بالذهب والمال والمراباة في القروض حتى أصبحوا أثرياء العالم يتحكّمون في الاقتصادات والدّول إلى أن صاروا عبئا على الغرب ينبغي التخلّص منه فرمَوْا بهم في الشرق الأوسط . إذن أصل المشكلة تاريخيا هم الأوروبيون وما فعلوه باليهود وما فعله اليهود بهم . ولا علاقة للعرب والمسلمين عموما بالمظلمة التاريخية المزعومة.

3/-أكذوبة سردية النشأة

الفتاة المصرية رحمة التي وقفت على حدود رفح المصرية صارخة في وجه مراسلة ال CNN كانت علامة وحدثا قادحا للتأكيد على أنّ الأمر يتعلّق باحتلال وليس بحادثة عارضة حصلت منذ أيّام . قالت لها : « لقد رأيتك تهربين وتمثلين دور الخائفة من صواريخ حماس الإرهابية بأمر من مشغّلك الصهيوني في واشنطن . لماذا تزييف الحقائق . ما حصل رد فعل طبيعي على الاحتلال الذي لا يزال منذ أكثر من سبعين عاما .» (وهو ما قاله غوتريتش في أوّل تصريح له بالأمم المتّحدة) .هكذا المشهد الإعلامي عندهم .دولة ديمقراطية في مواجهة حركة إرهابية. لا احتلال ولا مقاومة . في تزييف متعمّد للوعي الجمعي الغربي والعالمي .

اسرائيل وبنظرة استعلائية لا ترى الفلسطينيين الا حيوانات بشرية أقرب الى الهمجية ولا تستحقّ الحياة. ويحقّ لها الدفاع عن نفسها وعن الشعوب المتمدّنة. حتى أنّ مائير باروخنين صرح انّ الفلسطينيين في نظر الإسرائيلي مجرّد صور غامضة، ليس لهم أسماء ولا وجوه ولا عائلة . بل أنّالشباب الإسرائيلي قالوا أنّهم كانوا لا يعلمون شيئاعن النكبة الفلسطينية سنة 1948 وأنّهم عرفوا بذلك حين هدّد قادتهم بنكبة ثانية لأهل غزّة . لا يعلمون أنّ شعبا هُجر من أرضه ليحلّ محلّه «شعب « آخر . كلّ ما يعلمونه أنّ أجدادهم هاجروا مضطهدين من النازية وأنهم قاتلوا لتحرير أرضهم التاريخية الموعودون بها منذ ثلاثة ألاف سنة لأنهم شعب الله المختار في الأرض المقدسة . وهم يعتقدون اعتقادا جازما أنّ فلسطين لم تكن دولة قائمة قبل قدومهم. يكفي هنا التذكير بما قالته غولدامائير رئيسة وزراء الكيان في الستينات بأنّها تحصّلت على تأشيرة الدولة الفلسطينية للهجرة الى فلسطين. بل أنّها أخذت الجنسية

الفلسطينية لتُقيم بشكل دائم . وفي الفترة ما بين سنة 1937 و1947 اضطر اليهود المهاجرون حديثا للتغطية على هجرتهم عبر طلب الفلسطينية والذين بلغ عدد الحاصلين على الجنسية الفلسطينية سبعة وستون الف .

اليوم ، لا يعلم الشباب الإسرائيليون اليوم أنّ نشأة إسرائيل كان مجرّد لعبة مصالح استعمارية ألغت دولة كانت قائمة تحت الانتداب الإنجليزي تُسمّى فلسطين . ومن الاكتشافات الغريبة في سرّ تعلّق الغربيين بإسرائيل والتي فوجئ بها الكثيرون أنّ إسرائيل تمنع منعا باتا القيام بتحليل ال DNN خلافا لكل دول العالم وبالتدقيق في حقيقة نشأة الكيان اتّضح أنّ المهاجرين الأوائل الذين أسّسوا إسرائيل لم يكونوا كلهم يهودا . إذ كيف لمهاجرين مُنهكين مطرودين أن يبنوا دولة بتلك القوة ؟ من أين لهم بالعقول والعلماء لتنشأ حركة علمية واقتصادية بتلك السرعة الصاروخية حتى أصبحت إسرائيل نموذجا لدولة أوروبية متطوّرة .. لقد تأكّد أنّ الغرب (أوروبيين وأمريكان) عمدوا الى ارسال مواطنين ليسوا يهودا لبناء دولة تصبح قاعدة متقدّمة لحماية مصالحهم في الشرق الأوسط . لقد ربّى هؤلاء الأوروبيون الإسرائيليون أبناءهم تربية يهودية خالصة حسب التعليمات وكثير من الإسرائيليين اليوم لا يعلمون أنّهم ليسوا يهودا ولذلك تمنع دولة الاحتلال تحليل ال DNN حتى لا يصير الأمر الى أزمة اجتماعية تهدّد بتفكّك المجتمع الصهيوني وهو ما يثبت أن نشأة هذا الكيان الهجين لم تكن الا لعبة مصالح غربية لا علاقة لها بإنشاء وطن لليهود .

و في هذا السياق يربط الكثير من المؤرّخين نشأة إسرائيل بالاكتشافات النفطية في شبه الجزيرة العربية أواخر العشرينات من القرن العشرين . حيث أنشأ المستعمرون الأوروبيون ممالك وإمارات عربية موالية لهم تحمي مصالحهم ولضمان عدم توحّدهم أنشؤوا دولة الكيان لتكون خنجرا دائما في خاصرة العرب.

4/- أكذوبة سردية الدولة الديمقراطية وجيش الدفاع الذي لا يُقهر

يدّعي الصهاينة أنّهم أنشؤوا دولة ديمقراطية على الطريقة الغربية وسط أنظمة عربية شمولية استبدادية معادية لذلك احتاجوا لتأسيس جيش عظيم لا يُقهر والذي هو في الأصل جيش للدفاع عن الديمقراطية الناشئة (متناسين أنه جيش عصابات هجومية إجرامية بالأساس .) اذن هي صورة مزدوجة للتزييف . اسرائيل دولة الديمقراطية وحقوق الإنسان وجيش الدفاع الذي لا يُهزم . أكذوبتان اذا تأكّد زيفهما عجّلا بنهاية اسرائيل .هذا ما أكّده دافيد بن غوريون زعيم ماباي ورئيس الوكالة اليهودية والذي أصبحأوّل رئيس وزراء للكيان حين سأله موشي ديّان وزير دفاعه « متى تنتهي اسرائيل ؟ « فأجابه « عند أوّل هزيمة تتكبّدها اسرائيل «. أمّا عن جيش الدفاع الذي لا يُقهر فقد ثبت تاريخيا أنّه جيش إجرامي منذ نشأته وليس جيشا للدفاع لأنه تكوّن منذ البداية من عصابات إجرامية (مثل الهجانا والأرغون وغيرهما) التي كانت مهمتها الهجوم على ممتلكات العرب وارتكاب المجازر بحقّهم لدفعهم الى التفريط في أرضهم وإحلال اليهود مكانهم . وأكبر مثال على ذلك مذبحة دير ياسين .لقدفُتحت النيران على كلّ أهل القرية وهم نيام وسالت الدماء في الشوارع . لا أعراف ولا مواثيق . حتى من بقوا أحياء لم يسلموا من التنكيل . أخذوهم واستعرضوهم في شوارع الأحياء اليهودية وسط هتافات الحقد وبزقات التشفّي ثم عادوا بهم إلى قريتهم حيث وليمة التعذيب وارتكبوا ما تأنف الوحوش من ارتكابه.ثم قاموا بالبناء فوق أنقاض القرية وسمّوا شوارعها بأسماء مقاتلي الأرجون الذين نفذوا المذبحة...و في بداية ثمانينات القرن الماضي قاموا بكل غدر وخسّة بارتكاب مجزرةصبرا وشتيلا . حاصروا المخيم أحكموا إغلاق مداخله . أناروه بالقنابل المضيئة ثم أطلقوا جنودهم وأتباعهم من العملاء المحلّيين ليستعرضوا أبشع الفظاعات . يومان من القتل بلا هوادة . أطفال غرقى في دمائهم . حوامل بُقرت بطونهم . نساء أُغتُصِبن قبل قتلهن . حتى الشيوخ لم يسلموا . ذُبحوا . لم يُسمح لأحد بالهرب. إبادة جماعية مكتملة الأركان . إنّ الاجرام صفة متأصّلة في الجيش الصهيوني والإجرام لا يستقيم مع الدفاع بل لا يكون الا عندما تكون عقيدة ذلك الجيش مبنية على الهجوم والاعتداء على الغير . والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة بدءا بالعدوان الثلاثي على مصر سنة 1956 ثم إعادة الهجوم على مصر سنة 1967 ثم اجتياح بيروت سنة 1982 وطبعا في التاريخ القريبالاعتداءات المتكررة

دمار رهيب في غزة

على لبنان وقطاع غزة الذي استُبدل فيه الفشل في مواجهة المقاومة بالاعتداء على المدنيين قتلا وتعذيبا وتجويعا وهدم مربعات سكنية بأكملها على رؤوس ساكنيها دون تحذير . وتخصيص فرقة مهمّتها الاعتداءات الليلية على سكّان الضفّة الغربية .أمّا كونه جيش لا يُقهر فهي فرية أثبتتها وقائع التاريخ في حرب أكتوبر 1973 حيث انهار حائط برليف ومعه انهارت معنويات ذلك الجيش لولا الجسر الجوي الذي أقامته الولايات المتحدة لإمداده بالسّلاح.و برغم كل الغطرسة التي مارسها عبر تاريخ الاحتلال لم يتمكّن من إخماد جذوة المقاومة ولا القضاء على المقاومين ومثّلت واقعة سبعة أكتوبر فشلا عسكريا واستخباريا بكل ما يعنيه الفشل من معنى .

إنّ جيشا بهذه المواصفات لا يمكن أن يكون جيشا لدولة ديمقراطية قائمة على المؤسسات ومعايير حقوق الانسان والاحتكام الى القانون الدولي والعقل. فإسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا تعترف بحدودها وتسمح بتواصل احتلال أراضي الغير الى ما لا نهاية من الزمن وتُقيم جدارا عنصريا فاصلا وتطلق العنان للمستوطنين لإقامة المستوطنات وقضم الأراضي لفرض الأمر الواقع وجعل إقامة الدولة الفلسطينية أمرا مستحيلا .

أمّا عن الداخل فقد بدأت أُسُس الديمقراطية تتقوّض بدءا بالتمرّد على السلطة القضائية خاصة المحكمة العليا الضامن الوحيد لاستمرار الديمقراطية وإذا كانت الديمقراطية لا تنفصل عن حقوق الانسان فإن المجازر والإبادة الجماعية المرتكبة في غزة تُخرجها حتما من دائرة الأنظمة الديمقراطية . ولعلّ تبادل الأسرى الذي أحكمت المقاومة تسويقه بشكل انساني جيّد قد كشف وحشية الاحتلال ولا انسانيته في تعامله مع الأسرى الفلسطينيين . الى جانب منظر الأطفال القتلى بفظاعة ومشهد الجد الملتحي يودّع حفيدته روح الروح (المشهد الذي غيّر نظرة الكثير من الغربيين عن الإسلام والمسلمين خاصة المُلتحين منهم الذين كثيرا ما اقترنت صورتهم بالإرهاب) من المشاهد التي ستبقى راسخة لا تُنسى تقوّض سردية الديمقراطية الإسرائيلية المزعومة .

هكذا هي إسرائيل إذن: دولة بلا أخلاق ولا قيم ولا ديمقراطية حقيقية . هل يمكن أن تستمرّ الى ما لا نهاية ؟

5/- مآلات المستقبل بين تهافت سرديات وبناء أخرى

بعد كلّ الدمار والإبادة الحاصلة في غزة خلال أكثر من ستة أشهر تهاوت مقولة جيش الدفاع بشكل نهائي ليصبح في نظر الرأي العام العالمي جيش احتلال وهجوم كما سبق وأن أشرنا أن الجيش الذي لا يُقهر قد قُهر في غزة رغم كل الدعم الأمريكي والغربي وهي الكذبة الكبرى التي بُنِيت عليها دولة الكيان لإنشاء ردع التخويف في عقول العرب والمسلمين حتى لا يفكّروا في مجرّد مقاومة الاحتلال قبل التفكير في اجتثاثه .اليوم خسرت إسرائيل أوّل معركة وصحّت مقولة بن غوريون عن نهاية إسرائيل عند خسارة أوّل معركة .تصوّر دولة يسأل منشئوها متى ستنتهي لأنّهم يعلمون منذ البداية أنّ نشأتها هجينة وستنتهي يوما اذا انتهت حاجة الغرب اليها. كذلك تهافتت مقولة الدولة القوية . اذ اتّضح أنّ انهيارها ممكن في أيّ لحظة بدون الدعم الأمريكي والغربي عموما .وهل كانت لها قدرة على صد الهجوم الإيراني الأخير لولا الدعم الأمريكي والبريطاني والفرنسي حيث تم إسقاط أغلب المُسيرّات والصواريخ من قبلهم عبر قواعدهم في العراق وصحراء الأردن وشرق سوريا .

أمّا في الدّاخل فقد انهارت مقولة تماسك المجتمع الإسرائيلي بين متديّنيه وعلمانييه وبعد حرب غزة سنشهد شرخا كبيرا بين المتشدّدين دينيا الذين يريدون مواصلة سياسة الاستيطان سعيا وراء حلم إسرائيل الكبرى وبين العلمانيين الذين يعتقدون أنّ حلّ الدولتين هو الضّمانة لتواصل الوجود الصهيوني بالشرق الأوسط . أمّا الكذبة الأكثر تهافتا فكانت كذبة الديمقراطية الغربية ومقولات حقوق الانسان بعد أن أظهرت ساقها الخشبية العرجاء التي تميل بها الى طرف دون

آخر في ازدواج فاضح للخطاب السياسي الغربي . بالمقابل بدأت تنشأ سردية جديدة خاصة في أمريكا بعد إعادة استكشاف رسالة بن لادن الى المجتمع الأمريكي التي قامت فتاة أمريكية بإعادة نشرها على كل وسائل التواصل الاجتماعي والتي تبيّن فيها المجتمع الأمريكي منسوب الشرّ في السياسة الخارجية

لدولتهم تجاه العرب والمسلمين . وهو ما أحدث ضجّة ورجّة في وعي الجمهور الأمريكي وبدأ التساؤل من طرف دافعي الضرائب : لماذا تذهب أموالهم لدعم إسرائيل ؟ أي فائدة تعود على الشعوب من هذه السياسة ؟ والملاحظ أنّ منسوب معاداة السّامية لدى الشباب الأمريكي قد زاد في المدارس والمعاهد والكليات .

أمّا عن العرب فقد تهافتت مقولة استحالة تحرير فلسطين ومهما كانت نتائج الحرب الحالية فقد أدرك المقاومون أنّ هزيمة إسرائيل ممكنة وأنّه ينبغي إعداد العدّة لحرب تحرير شاملة في المرة القادمة وأمّا الجماهير العربية فقد وعت بما لا يدع مجالا للشكّ خيانة بعض الحكّام العرب للقضية وخذلانهم لأهل فلسطين بل ودعمهم للكيان سواء بالإمداد أو بالدفاع (اعتراض المسيّرات والصواريخ) وأن تحرير الأرض الفلسطينية لا يمكن أن يتمّ في ظل هذه الأنظمة وبالتالي فإنّ كنسها أوّلا وتحرير الانسان العربي هو بداية تحرير الأرض المقدّسة ومعها الانسان الفلسطيني .

خاتمة المطاف : سردية الحلّ : بين إمكانات التعايش وشروط الزوال :

إنّ أهمّ إنجاز حقّقته حماس في هذه الحرب هو ضرب الحلم الاستراتيجي الصهيوني بإقامة إسرائيل الكبرى. ذلك الحلم الذي صعّدته الجماعات الصهيونية المتشدّدة دينيا وسيتواصل الصراع بين خيارين : خيار الدولة الواحدة بشقيها المشوّهيْن ، الشق الديمقراطي والشق الاستعماري الاستيطاني وخيار حل الدولتين الذي سيصبح تدريجيا خيارا عالميا بسبب تواصل المظاهرات بعد عودة قضية فلسطين الى الواجهة كقضية أولى من حيث الاهتمام (لا ننسى أنّ نظام الميز العنصري في جنوب افريقيا أسقطته المظاهرات العارمة في لندن وواشنطن وباريس وغيرها من عواصم العالم . تلك المظاهرات التي أجبرت السياسيين الغربيين على رفع الغطاء عن نظام الميز العنصري للبيض فلم يتحمّلوا ضغط الداخل وسلّموا السّلطة) دون أن ننسى عودة الرّوح لليسار العالمي بعد أن خسر معركته السياسية والاقتصادية والإيديولوجية ضد الرأسمالية المتوحّشة وأفلست إيديولوجيا المواجهة وبإيعاز أمريكي يمكن أن يتراجع التطبيع مع الكيان الصهيوني مؤقتالدفعه نحو القبول بحلّ الدولتين ونظرا لتواصل الدّعم الغربي اللامحدود للكيان فإن أقصى ما سيحصل عليه الفلسطينيون في ظلّ هذه الأوضاع هو دولة مستقلة منزوعة السّلاح ومنقوصة السّيادة بإبقاء المعابر الحدودية تحت سيطرة إسرائيل . وستجد حماس نفسها مضطرّة للقبول بدولة موحّدة مع الضفة الغربية تحت مسميات مختلفة : حكومة وحدة وطنية ، حكومة تكنوقراط ، حكومة مقاومة .... وستضطرّ الى التعامل بواقعية وربّما ببراغماتية مع الواقع الجديد بعد الحرب بما في ذلك القبول بطريق الهند الذي يمرّ عبر غزة بما أنّ الطريق قيْد الانشاء حاليا في وسط القطاع من طرف إسرائيل . الى جانب الميناء الذي تبنيه أمريكا هذه الأيّام ربما لاستغلال غاز غزة في ما بعد .و تبقى كل هذه الحلول مؤقتة مرتبطة بواقع الغلبة والتحالف الصهيوني- الغربي الذي لا يعلم أحد الى أي مدى زمني يمكن أن يدوم ولكنّه سينتهي حتما ذات يوم .

أمّا الحل النهائي من وجهة نظر عربية وإسلامية فهو زوال إسرائيل وعودة فلسطين التاريخية فماهي شروط هذا الزوال وهل تبدو واقعية وممكنة؟

*- أولا : لابد من التخلّص من تداعيات معاهدات سايكس بيكو المشؤومة والتي من نتائجها إنشاء أنظمة عربية عميلة لفك الارتباط مع الخلافة العثمانية وحماية مصالح القوى الاستعمارية . فالناظر الى الواقع السياسي العربي اليوم يرى أن الشعوب العربية محكومة إمّا بأنظمة عميلة للغرب أو هي مستعمرة من طرف جيوشها بعد انقلابات حصلت بدعم غربي . وبالتالي لا أمل في تحرير فلسطين بدون زوال هذه الأنظمة التي اتضح أن استمرار وجودها مرتبط بوجود إسرائيل وهو ما يفسّر دعمها الضمني وأحيانا العلني للكيان الصهيوني(أمام الرئيس الفرنسي اعتبر الرئيس المصري القضاء على الجماعات المسلحة في غزة عملا نبيلا) . بعبارة أخرى لا يمكن تحرير المقدّسات والانسان الفلسطيني بدون تحرير الانسان العربي أوّلا . فهل هذا ممكن في واقع الحال ؟

*- ثانيا : تخلّص الغرب من وعد بلفور وتبعاته اللاإنسانية والاعتراف بأنّ مشكلة اليهود تاريخيا هي مشكلة أوروبية وقع تصديرها للشرق الأوسط. ففي سنة 1906 أصدرت بريطانيا منشورا يمنع استقبال اليهود القادمين من أوروبا الشرقية وبسبب ضغط المشكلة اليهودية على البلدان الأوروبية تم إصدار وعد بلفور لتصدير المشكلة الى الشرق الأوسط . فهل من الممكن اليوم أن يعترف الأوروبيون أن أغلب سكان إسرائيل من رعاياهم وأنّ عليهم استقبالهم من جديد؟ وهل من الممكن اليوم التخلّص من السردية الصهيونية حول المحرقة التي سبّبت لدى الغربيين عقدة الشعور بالذنب تجاه اليهود ممّا دفعهم لتجريم انتقاد الصهيونية والمساس بالسّامية والعقدة أكثر وضوحا لدى الألمان الذين سبق لهم القيام بإبادة جماعية للشعب الناميدي سنة 1904 وكذلك فعل البلجيك في موزمبيق حين أبادوا ثمانية ملايين نسمة دون أن ننسى تاريخ فرنسا في الإبادات الجماعية حيث قتل نابليون بونابارت أثناء الحملة الفرنسية سُبع سكان مصر آنذاك دون أن ننسى الخمسة وأربعين ألف ضحية أثناء التفجيرات النووية في صحراء الجزائر وضحايا أمريكا في فيتنام . والغريب أن هؤلاء الغربيين قد تجاوزوا عقدة الذنب مع تلك الشعوب ماعدا ما فعلوه باليهود في ازواج واضح للمعايير يجعل من الديمقراطية وحقوق الانسان مجرد كذبة على الشعوب المضطهدة.

*- ثالثا : إذا كان قيام إسرائيل كان من أجل تفتيت الوطن العربي ومنع وحدته فهل أن وحدة العرب حكاما وشعوبا ممكنة اليوم وهل تتوفر الإرادة الحقيقية لذلك ؟ لأنّ وحدة العرب تعني ببساطة زوال إسرائيل .

*- رابعا : هل أنّ هزيمة التطبيع والديانة الابراهيمية ممكنة اليوم في ظل تمسّك بعض الدول العربية بذلك مع ربطه بالحداثة والاندماج مع الغرب ومن ضمنهم إسرائيل ؟

المقاومة سددت ضربات موجعة لقوات الاحتلال

*- خامسا : في ظل الصراع الجديد بين أمريكا وحلفائها من جهة والتحالف الصيني الروسي من جهة أخرى ألم تصبح إسرائيل قاعدة متقدمة للحلف وازدادت أهمّيتها بمشروع طريق الهند – غزة لسحب الهند من منظمة البريكس التي انخرطت فيها . فهل سيكون من السهل التفريط في إسرائيل والتخلي عنها وعن المصالح الاقتصادية الضخمة التي تُمثّلها ارضاءً للعرب والمسلمين؟

*- سادسا : هل سيصل العرب والمسلمون عموما الى الفهم الصحيح لحقيقة الصراع مع الغرب ؟ لقد تم إيهامنا على مر التاريخ أن الصراع ديني بين المسلمين والنّصارى منذ الحروب الصليبية وبمقولة :» ها قد عدنا يا صلاح الدين» في الحروب الاستعمارية الحديثة ثم ها اليوم يحصل التحالف بين اليهود والنصارى ضد المسلمين ولكن ينسى هؤلاء أنّ إنشاء إسرائيل كان ضرورة اقتصادية كما سبق وأسلفنا ونضيف اليه اليوم فهما جديدا وهو أن الصراع الحقيقي انّما هو بين الرأسمالية المتوحّشة والإسلام . فبعد الفراغ من تصفية الشيوعية اتّضح أن أخطر ديانة تشكّل خطرا على رأس المال انما هي الإسلام عبر مجموعة من المحرّمات تضرب مقولات الربح الاقتصادي في الصميم . فتحريم الخمر يضرب صناعة الخمور وما تقترن به من أماكن الترفيه والتسلية وتحريم الزنا يمسّ صناعة الأفلام الإباحية الأكثر ربحية في العالم . وتحريم الربا يجعل المعاملات البنكية الربوية موضع مساءلة . أمّا تحريم القتل والاعتداء فيضرب صناعة الأسلحة التي تحتكرها عائلات قليلة في العالم (تسع عائلات في أمريكا). أمّا الحجاب الإسلامي فهو خطر حقيقي على صناعة الموضة وما أدراك ما صناعة الموضة. ولقد اتجهت الرأسمالية الى تأنيث الحضارة منذ أربعينات القرن الماضي بالتشجيع على التحوّل الجنسي ومساندة المثليين في محاولاتهم الظهور في الحياة العامة بعد أن اتضح للمخطّطين الاقتصاديين أن الأنثى أكثر استهلاكا من الرجل وبالتالي فهي السوق الواعدة في المستقبل في حين يرفض الإسلام التخنّث والتشبه بالنساء ولا يعترف بالمجاهرة بالمثلية. باختصار المشروع الأخلاقي الذي يمثّله الإسلام خطر أكيد على الحرية الاقتصادية وخاصة حرية الاستهلاك . لذلك ينبغي ضرب هذا الدين وأتباعه ولا عجب أن لا يتأثّر الغرب اليوم بقتل المسلمين في فلسطين وغيرها من بقاع العالم فقط لأنهم أتباع هذا الدين .بل ويتبنّى الاسلاموفوبيا (التخويف من الإسلام باعتباره دين إرهاب وعنف) وتعمل الماكينة الإعلامية الصهيونية والغربية على اقناع المواطنين الغربيين باستحالة التعايش مع الإسلام والمسلمين . فهل يمكن أن يزول يوما هذا المزاج الغربي القائم على الصهيونية المسيحية وكراهية المسلمين باعتبارهم « حيوانات بشرية « تمثل خطرا حقيقيا على الديمقراطية وحقوق الانسان .

*- سابعا : وهذا الأهم : هل أنّ محور المقاومةهو محور حقيقي للمقاومة أم مجرّد أذرع عسكرية لإيران في المنطقة تحرّكها حسب أهوائها ومصالحها ؟ ذلك أنّ السيناريو الأمثل للتحرير هو السيناريو التالي : تحويل سوريا الى دولة فاشلة عبر اغتيال رئيسها وتحويلها الى دولة مليشيات (عندما نطرح هذا السيناريو لا يعني ذلك أنّنا نتبنّاه أو ندعو اليه ولكنه سيناريو مطروح فعلا وهو أخشى ما تخشاه إسرائيل وهو ما هدّدت ايران بإمكانية تفعيله مؤخرا خاصة في حادثة الإعتداء على موكب الرئيس السوري يوم العيد ومحاولة اغتياله أو الايهام باغتياله) هل ايران مستعدّة فعلا لاستباحة الدولة السورية وانتهاك سيادتها عبر تجميع كل قوى المقاومة من العراق واليمن ولبنان ومتطوّعين من كل أرجاء العرب والمسلمين على الأرض السورية وتدريبها وتسليحها ثم دفعها لاجتياح إسرائيل ؟ لمعرفة مدى إمكانية ذلك يكفي المقارنة مع ما فعلته تركيا التي زعم رئيسها أردوغان مناصرته اللامحدودة لفلسطين ثم حين لاحت لحظة الحقيقة انكشف المستور وظهر الزيف لأنّ في مثل هذه المواقف تصطفّ الدول الى جانب مصلحتها العليا و؟لأجل ذلك واصلت تركيا تزويد الكيان بالخضروات والمواد الغذائية والمعادن وحتى الحفاظات للجنود الإسرائيليين والمياه المعدنية التركية التي يشربها جندي يهودي على مقربة من غزاوي يتضوّر عطشا وجوعا . وربّما لو فعلت غير ذلك لكلّفها ذلك الخروج من الحلف الأطلسي وخسارة كل مصالحها مع الغرب .

فهل ايران مستعدّة اليوم للتضحية بمصالحها الوطنية العليا وربّما تعريض كيانها للتدمير في سبيل تحرير فلسطين ؟ ولماذا على ايران أن تتحمّل وحدها عبء التحرير دونا عن بقية المسلمين؟

مفاوضات

صحيفة "تايمز" كشفت أن الخارجية البريطانية تتفاوض مع أرمينيا وساحل العاج وكوستاريكا وبوتسوانا حول إبرام اتفاق مماثل للموقع بين بريطانيا ورواندا، لترحيل اللاجئين من الدول المذكورة.

ونقلت الصحيفة عن وثائق مسربة لوزارة الخارجية البريطانية أن "بريطانيا بدأت في إجراء مفاوضات بشأن تكرار مخطط ترحيل طالبي اللجوء إلى رواندا أثناء دراسة طلباتهم، مع أرمينيا والساحل العاج وكوستاريكا وبوتسوانا".

وأضافت أن محتوى الوثائق المسربة مرتبط بعمل الحكومة البريطانية خلال الأشهر الـ18 الأخيرة الهادف إلى البحث عن دول تهتم بتكرار مخطط رواندا. وأشارت إلى أن المفاوضات مع الدول الأربع المذكورة تتطلب اهتماما رئيسيا من جانب بريطانيا، موضحة أن بريطانيا بحثت أيضا احتمال إجراء مفاوضات مماثلة مع الإكوادور وباراغواي وبيرو والبرازيل وكولومبيا، ملاحظة أن هذه الدول أقل اهتمام بمثل هذا الاتفاق مؤكدة أن المغرب وتونس وناميبيا وغامبيا رفضت إجراء مفاوضات بهذا الشأن على الإطلاق.

وحسب الصحيفة تضمّ القائمة الاحتياطية للدول التي تنوي بريطانيا الاستعانة بها في حالة فشل مفاوضاتها مع الدول الأربع المذكورة الرأس الأخضر والسينغال وتنزانيا وتوغو وأنغولا وسيراليون.

صفعة

الجنرال الفرنسي المتقاعد Dominique Delawarde وجه انتقادات لاذعة لحكومة بلاده وسياساتها الاقتصادية ومواقفها الدولية وخصوصا منها الحرب الدائرة بأوكرانيا معتبرا أن رفع بلاده لواء معاداة روسيا وتعبير رئيسها ايمانويل ماكرون عن استبعاد بلاده لإرسال قوات خاصة للمشاركة في "الدفاع عن أوكرانيا"

ينم عن جهل بموازين القوى الحقيقية بين "دولة تملك ما يكفي وزيادة من الصواريخ النووية الفرطصوتية والترسانة التقليدية وأخرى (في إشارة الى بلاده) لا تملك سوى قوة الدفاع عن نفسها وليس مهاجمة روسيا".

وكتب Delawarde في تدوينة نشرتها له وكالة الانباء الروسية "تاس" /http://tass.com/economy/1773831 :"بينما يبحث الثلاثي ماكرون – عطّال – لومار بشكل يائس عن بعض عشرات المليارات من الأوروات لسدّ العجز الحاصل بميزانية 2024 وهو عام يمكن ان يحطم عجز الميزانية خلاله رقما قياسيا قامت السلطة التنفيذية بروسيا رغم العقوبات الغربية المفروضة على بلادها بخلاص ديونها ووجدت فائضا بـ 54 مليار دولار خلال الاثني عشر شهرا الفارطة للقيام بذلك".

وأضاف Delawarde : "دعونا نلخّص : يبلغ حجم ديون فرنسا اليوم 3200 مليار أورو بما يوازي 3425 مليار دولار في حين تتحدث بعض المصادر عن 3690 مليار دولار.. أما حجم الديون الروسية فقد كان في 1 أفريل 2023، 358 مليار دولار. وبعد مرور عام، أي في 1 أفريل 2024 انخفض حجم الديون الى 304 مليارات دولار... ومن هنا نفهم أن روسيا تتمتع بطاقة تداين لا يملكها بلدنا الذي بات على حافة الإفلاس".

وتابع الجنرال المتقاعد : "هذه صفعة هائلة لمهندسي السياسة والمخططات الاقتصادية بفرنسا الذين يزعمون السعي لتدمير اقتصاد روسيا (لومار) أو جعله عاجزا عن تسديد ديون البلاد (ماكرون) ونحن نتحرّق لمعرفة حكم صندوق النقد الدولي وكذلك حكم وكالات الترقيم السيادي العالمية المنتظر صدورهما قريبا. لكن لا خوف عليهم (المسؤولون الفرنسيون) ولا هم يحزنون اذ ستتكفّل وسائل الاعلام الكبرى بالتعتيم على المشكل وتخفيف آلامنا بأنبائها وتحاليلها المخدّرة قبل حلول موعد الانتخابات الأوروبية للحدّ من اضرارها بالنسبة للحكومة الفرنسية وستحوّل وسائل الاعلام هذه انظار الفرنسيين عن ذلك عبر نشر تقارير ومقالات عن الألعاب الأولمبية باريس 2024 والفيضانات واضطرابات المناخ...".

مقارنة

صحيفة "فايننشيال تايمز" نقلت عن مسؤول أوروبي لم تذكر اسمه ما وصفه بـ "تصاعد التوتر بين دول الاتحاد الأوروبي نتيجة توفير دعم مطلق لإسرائيل بدلا عن أوكرانيا" واشارته الى "تمسك الاتحاد بحق إسرائيل في الدفاع عن النفس".

وذكّرت الصحيفة باتهام الرئيس الاوكراني زيلنسكي في حديث أدلى به مؤخرا لقناة PBS حلفاء بلاده الغربيين بالتسبّب في خسارة محطة "تريبول" الكهرحرارية التي دمرتها ضربة جوية روسية" نتيجة عدم توفير ما يكفي من أنظمة الدفاع الجوي لقواته حسب كلامه وقارن بين حجم الدعم الذي يقدمه الحلف الأطلسي لأوكرانيا وإسرائيل.

وتساءل زيلنسكي في معرض حديثه : "أودّ أن أطرح سؤالا بعد الردّ الإيراني على إسرائيل : هل أن إسرائيل جزء من حلف الناتو... هي ليست جزءا من الحلف لكنكم مع ذلك تساعدونها".

7209...

يوم الأربعاء 17 أفريل الجاري، اعترف الجيش الإسرائيلي بخضوع 7209 عسكريين لحصص إعادة تأهيل بدني ونفساني منذ 7 أكتوبر 2023 تاريخ انطلاق عملية "طوفان الأقصى" على يد المقاومة الفلسطينية في غزة.

وحسب الناطق الرسمي باسم جيش الاحتلال يمثل الرقم المذكور 3 أضعاف عدد قدماء جرحى المؤسسة العسكرية الذين خضعوا لحصص تأهيل خلال حرب عام 2022.

المتحدث أوضح أن 30 ٪ من الجرحى يعانون من آثار صدمات في المخ ومن اضطرابات ناتجة عن ضغوط نفسية.

يذكر أنه سبق لبعض وسائل الاعلام الإسرائيلية ان أكدت أن حصيلة جرحى الجيش في المواجهات الدائرة مع المقاومة الفلسطينية بقطاع غزة أكبر بكثير من تلك المعلن عنها من طرف الجيش وأن الأرقام الصادرة عن المستشفيات تؤكد ذلك.

احتجاج وطرد

صحيفة "واشنطن بوست" كشفت أن شرطة مدينتي نيويورك وسونيفال (كاليفورنيا) أوقفت الأسبوع الماضي 9 أعوان يعملون بمكاتب "غوغل" في المدينتين بعد تنظيمهم وقفة احتجاجا على توقيع مؤسسة "غوغل" اتفاق مع الحكومة الإسرائيلية بقيمة 1,2 مليار دولار مخصص لتكوين أعوان إسرائيليين وذلك في اطار برنامج Nimbus.

الصحيفة أوضحت أن المحتجين كانوا يحملون مراويل كتب عليها "تخلّوا عن مشروع Nimbus" ويرفعون لافتة تطالب بـ"عدم توفير التكنولوجيا للمجزرة".

ونقلت "واشنطن بوست" أن مجموعة تدعى "لا تكنولوجيا للميز العنصري" No Tech For Apartheid هي من نظمت الوقفة الاحتجاجية وأن أعضاء المجموعة رابطوا بمكتب المدير العام لقسم Google Cloud، توماس كوريان بمدينة سونيفال على امتداد 10 ساعات مشيرة الى أن المحتجين في نيويورك رابطوا بالطابق العاشر من مقر غوغل بمدينة شكسي.

وأظهر فيديو نشره موقع الصحيفة مغادرة المحتجين طوعيا ثم ايقافهم من طرف رجال الشرطة.

ونقلت الصحيفة عن الناطقة باسم شركة غوغل، بايلاي تومسون قولها : "يمثل تعطيل عمل موظفين ومنعهم من الوصول الى منشآتنا خرقا صارخا لسياسة المؤسسة وسنحقق في الأمر ونتخذ الإجراءات اللازمة".

يذكر أن مؤسسة غوغل كانت قد أطرت في مارس 2023 مهندسا بعدما نظم مظاهرة تنديدا بتعاون "غوغل" مع إسرائيل في حربها على فلسطينيي قطاع غزة. وانطلقت المظاهرة عندما وقف المهندس ليقطع خطاب باراك ريغيف المدير العام لقسم غوغل الإسرائيلي وندّد بتورط مؤسسة غوغل في العدوان الذي شنّته إسرائيل على قطاع غزة آنذاك.

من جانبها ذكرت القناة 12 الإسرائيلية مؤخرا ان الجيش طلب من إدارات المستشفيات عدم نشر ارقام عن اعداد الجرحى الذين تستقبلهم المستشفيات الاّ بعد تنسيق مسبق مع الجيش.

لماذا تراجعت واشنطن؟

صحيفة "أرغومينتي إي فاكتي" الروسية تساءلت عن سبب تراجع واشنطن عن تنكرها لاتفاقية "ساترت 3" الموقعة مع روسيا وكتبت في هذا الصدد :

دخلت معاهدة خفض الأسلحة الاستراتيجية (ستارت)، والمعروفة أيضًا باسم "ستارت3-"، حيز التنفيذ في 5 فيفري 2011. ولكن واشنطن انتهكت المعاهدة علنا، خاصة في السنوات الأخيرة، وعرقلت عمليات التفتيش من الجانب الروسي. وقد رد الرئيس فلاديمير بوتين، في خطابه أمام الجمعية الفيدرالية في 21 فيفري 2023، بتعليق مشاركة روسيا في هذه الاتفاقية. وبعد مرور أكثر من عام، أعلنت الولايات المتحدة استعدادها لإلغاء الإجراءات التي تنتهك معاهدة ستارت الجديدة. لماذا؟

عندما انهارت معاهدة ستارت الجديدة بتحريض من الولايات المتحدة، حذرت روسيا، التي أعلنت تعليق مشاركتها في المعاهدة، من أنها ستستأنف بسهولة تجاربها النووية ردًا على تصرفات مماثلة من جانب واشنطن. فأعادت روسيا تشغيل موقعها الرئيس للتجارب النووية في نوفايا زيمليا، الذي كان في حالة تجميد منذ أكثر من 30 عامًا.

ثم خططت وزارة الدفاع الروسية لإجراء جولة للصحافيين الروس إلى حقل اختبار نوفايا زيمليا. كان من الواضح أن كل شيء هناك قد بات جاهزًا لمواصلة التجارب النووية. لكن الرحلة إلى نوفايا زيمليا، في النهاية، لم تنفذ بسبب العواصف الثلجية التي استمرت أسبوعين.. ومن المرجح أن المتخصصين الأمريكيين أدركوا أن زمن المزاح وألعاب المعاهدات قد ولى.

والآن، تقول وزارة الخارجية الأميركية إن واشنطن مستعدة لإلغاء التدابير التي تنتهك المعاهدة الروسية الأمريكية، وإنها على استعداد للتنفيذ الكامل لـ START-3. ويؤكد الأمريكيون، في الوقت نفسه، أنهم مستعدون لتقديم "تنازلات" إذا "قررت موسكو العودة إلى التزاماتها بموجب هذه المعاهدة". ووفقا لوزارة الخارجية الروسية، تواصل واشنطن إعلام موسكو بالتجارب التي تجريها".

موقع «Observateur Continental» :

عقوبات الغرب الجديدة على توريد المعادن الروسية ستضرب أوروبا

تطرق موقع Observateur Continental الى قرار الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا فرض حظر على توريد المعادن الروسية وإقرار عقوبات على كل شركة لا تلتزم بذلك. وأقرّ الموقع بأنه اذا كانت واشنطن ترغب من خلال ذلك في مزيد تضييق الخناق على الاقتصاد الروسي فإنها تنسى أو لا تعير أية أهمية الى انعكاسات قرارها الجديد على اقتصادات الدول الأوروبية ناقلا عن سفيرة روسيا بواشنطن اعتبارها القرار الجديد لا طلقة مسدس في الساق فحسب وإنما طلقة عمياء».

وكتب الموقع : «أعلنت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة فرض حظر على استيراد معادن النيكل والنحاس والألومنيوم الروسية. إن رغبة الغرب في حرمان روسيا من أرباحها أمر مفهوم، ولكن يمكن لمثل هذه القيود أن تسبّب مشاكل كبيرة لمن يبادرون إلى فرض هذه العقوبات.

في 12 أفريل، أصدر مكتب مراقبة الأصول الأجنبية (OFAC) التابع لوزارة الخزانة الأمريكية أمرًا يحظر استيراد الألومنيوم والنحاس والنيكل من أصل روسي إلى الولايات المتحدة إلاّ في صورة الحصول على ترخيص أو إباحة القانون ذلك.

وأوضح مكتب مراقبة الأصول الأجنبية أن «القيود تنطبق على المنتجات المصنعة بعد 13 أفريل 2024». ويحظر على الشركات الأمريكية تقديم خدمات لشراء هذه المعادن، وكذلك القيام بتصديرها أو إعادة تصديرها أو بيعها أو توريدها. بالإضافة إلى ذلك، تم إيقاف تداول هذه المعادن في بورصة شيكاغو التجارية وانضمت بورصة لندن على الفور إلى واشنطن وحظرت المملكة المتحدة استيراد الألومنيوم والنحاس والنيكل من روسيا.

«في 6 ديسمبر 2023، و19 ماي 2023، و24 فيفري 2024، أصدر قادة مجموعة السبع بيانات تشير إلى عزمهم خفض الإيرادات الروسية من الطاقة والمعادن. في 12 أفريل 2024، أصدرت الولايات المتحدة، بالتنسيق مع المملكة المتحدة، حظرين جديدين من شأنهما زيادة تعطيل إيرادات روسيا من صادراتها من الألومنيوم والنحاس والنيكل ولا سيما من خلال استخدام المنتجات الأمريكية والعالمية حسب ما جاء في تقرير لمكتب مراقبة الأصول الأجنبية.

وجاء في تقرير صادر عن الخزينة الامريكية «لا يخفي الغرب رغبته في قطع عائدات صادرات موسكو. وتلعب بورصات المعادن دوراً مركزياً في تسهيل تجارة المعادن الصناعية في جميع أنحاء العالم. ومن خلال اتخاذ إجراءات مشتركة، تحرم الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى روسيا ومنتجي المعادن لديها من مصدر مهم للدخل.

وكتب السفير الروسي أناتولي أنتونوف على قناة التلغرام التابعة للبعثة الدبلوماسية الروسية: «تريد الولايات المتحدة إثبات «قيادتها» في احتواء روسيا وتحاول عرقلة النجاحات الروسية في إدارة نظام دفاعي عسكري، لكنها بأفعالها لا تعرض نفسها وحلفائها إلا للهجمات».

«إنها ليست حتى طلقة في الساق، بل طلقة عمياء. إنّ قرار واشنطن الحالي يستند على الأرجح إلى حسابات مفادها أن أسعار الموارد لن ترتفع بشكل كبير في الولايات المتحدة نفسها.

وفعلا حدث ذلك. فيوم نشر خبر الحظر الجديد، ارتفع سعرا الألومنيوم في بورصة لندن للمعادن بنسبة 10 ٪ تقريبًا، وهو أعلى مستوى منذ عام 1987. كما ارتفع سعرا النيكل والنحاس بشكل ملحوظ وعادا إلى مستويات 2022 ويمكن تفسير عدم استقرار الأسواق بسهولة إذ تنتج روسيا نحو 9 % من إنتاج النيكل في العالم، و5 % من الألومنيوم، و4 % من النحاس.

وفي الوقت نفسه، قبل فرض العقوبات، تسلحت الولايات المتحدة باحتياطيات هائلة من المعادن. ومع ذلك توضح وزارة المالية الأمريكية أنه قد يسمح في حالات معينة باستيراد دفعات من الألومنيوم والنحاس والنيكل كاجراء استثنائي.

سوف تجد روسيا طرقًا أخرى. ويرى الخبراء أن العقوبات المفروضة، لن تؤدي سوى الى خفض طفيف في عائدات الشركات الروسية. فقد تمكنت روسيا من الحد من المخاطر الاقتصادية الخارجية من خلال تطوير إمكاناتها الداخلية بنشاط وإعادة التوجه من الغرب إلى الشرق.

ومن المرجح أن تعيد روسيا توجيه صادراتها «المحظورة» إلى دول أخرى تبيع المعادن إلى واشنطن ولندن. لقد تمت بالفعل عملية «إعادة تشكيل» الشركات الروسية، ولن يؤدي ارتفاع الأسعار العالمية للنيكل والنحاس والألمنيوم إلا إلى زيادة عائداتها.

لقد تم فرض قيود على الشركات التي تبيع المعادن بموجب العقوبات في أوروبا والولايات المتحدة منذ فترة طويلة. هناك تساؤلات حول القدرة على بيع المعادن إلى دول ثالثة. وفي الواقع، وحسب الخبراء، فإن الشركات الروسية ستبيع هذه المعادن عبر قنوات أخرى، عبر الدول التي لم تنضم إلى العقوبات.

وسوف يعاني الأوروبيون. كان حجم شحنات المعادن غير الحديدية إلى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في العام الماضي منخفضًا للغاية. لن يشعر منتجو النيكل بتأثير العقوبات الجديدة لأن سوقهم الرئيسي أصبح الآن الدول الآسيوية، وخاصة الصين. لكن الكميات التي سيتعين على منتجي الألومنيوم إعادة توجيهها أكبر.

وفي خضم كل هذا، سيتعين على المستهلكين الغربيين أيضاً أن يبحثوا عن بديل لإمداداتهم المعتادة. في أوروبا، لا يتم إنتاج النيكل عمليا، وكما هو الحال مع الألومنيوم والنحاس، هناك منتجون لكلا المعدنين، لكن أحجام صهرهم لا تغطي الاستهلاك. وبالتالي فإن الأسعار سوف ترتفع، الأمر الذي سيضر بالمستهلكين الأوروبيين بشدة».

وأكد الموقع أن فرنسا بقيادة إيمانويل ماكرون كانت تلعب لعبة مزدوجة مع روسيا، وكذلك فيما يتعلق باتصالاتها الرسمية العدوانية ضد موسكو. وذكرت صحيفة برلينر تسايتونغ أن «فرنسا تتخذ موقفا متشددا بشأن الحرب في أوكرانيا من خلال الانحياز إلى أوكرانيا [في مجال الاتصالات]، ولكن مع زيادة وارداتها من الغاز الطبيعي المسال من روسيا»، موضحة أنه تم الإعلان عن هذه العقوبات في البيانات الصحفية خالصا الى أنها إعلانات تتحطم على جدار الواقع.

38
صفحة

الشارع الثقافي

العدد 403 - من الثلاثاء 23 إلى الاثنين 29 أفريل 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

شوقي العنيزي صاحب « دار مسكلياني للنشر » لـ«الشارع المغاربي» :

وزارة الثقافة المُحَلّل الأوّل بالدستور وإذا أردنا صنع مشهد ثقافي حقيقي فعلينا إغلاقها

معرض الكتاب مجرّد وليمة يتغيّر المدعوون فيها بتغيّر المسؤولين

سينما

فيلم «إلى إبني» تجربة إخراجية جديدة لظافر العابدين

فلسفة

فيلسوف الوجه

إلى كريم سعدون

بقلم : محمود هدايت/ العراق

ترجمة

الإحساس وتأويل الصّورة في الفنّ أو في «أسس مشروعية تأويليّة للصّورة في الفنّ»

عبد الوهاب البراهمي

شوقي العنيزي صاحب «دار مسكلياني للنشر» لـ«الشارع المغاربي» :

وزارة الثقافة المُمَثّل الأوّل بالدستور وإذا أردنا صنع مشهد ثقافيّ حقيقيّ فعلينا إغلاقها

معرض الكتاب مجرّد وليمة يتغيّر المدعوون فيها بتغيّر المسؤولين

حاورته : عواطف البلدي

الناشر شوقي العنيزي صاحب دار "مسكلياني" للنشر، شاعر ومثقف تونسي ملمّ بكل تفاصيل الكتاب ومجالاته قراءةً ونقدًا وكتابةً ونشرًا وتوزيعا ومع ذلك لم نره خلال الأيام الأولى للدورة الحالية لمعرض الكتاب الدولي مما أثار لدينا تساؤلات عدة عن سبب غياب الرجل الذي تميّز في مجاله وفي مجالات أخرى كالترجمة والأدب والفلسفة..

"الشارع الثقافي" حاور العنيزي حول هذا الغياب وحول رؤيته لمعرض الكتاب الدولي ولدورته الحالية تنظيما ولجانا وإدارة ومشاكل وحلولا...

ما هي توقّعاتك لهذه الدورة من المعرض؟

أتوقّع دورةً ناجحة كسابقتها تُقدَّم فيها دروسٌ في التنظيم وفي وضوح الرؤية وجماليّة الصورة، ولعلّ أكبر درس في التنظيم ما ينفكّ المشرفون على المعرض يرسّخونه من دورة إلى أخرى هو الدقّة المتناهية في تكرار نفس الأخطاء بنفس الأدوات وذلك في تقديري أحد مظاهر العبقريّة، فليس من السهل أن تصيب الخطأ ذاتَهُ في الموضِع ذاتِه إلّا إذا كنتَ من الرُّماة المهَرة. وفي هذا السياق يمكن تشبيه حكاية معرض تونس الدولي للكتاب بحكايةٍ مرويّةٍ عن تيمور لنك زعيم المغول وأعنف قائد عسكريّ في التاريخ، فقد أراد تيمور لنك حين طعن في السنّ أن يُخلّد نفسه بصورة، ففتح الباب أمام الرسّامين كي يرسموه على حقيقته دون تجميل يُراد منه التزلّف والكذب أو تحقير يُشوّه صورة هذا القائد المتجبّر، وكان مصير أيّ رسّام يقع في إحدى هاتين الخطيئتين هو قطع الرأس. ولمّا كان تيمور لنك أحدب وأعور في الآن ذاته، فقد وجد الرسّامون أنفسَهُم في مأزق كبير، هذا يُزيل الحدبة ويمحو العور فيطير رأسه، وذاك يُبقي الحدبة والعور فيطير رأسه، وأمام تساقط الرؤوس الذي قطع دابر الرسّامين من البلاد، دخل على القائد المغولي في يوم من الأيّام رسّام مُعدم فقير ليس له ما يخسره، فرسمه في وضع رامي السهم الّذي يُحني ظهره ويُغمض إحدى عينيه، وبذلك أخفى العور بالعين المغمضة وجعل الحدبة طبيعية بوضع بحَنْي الظهر. ربّما لذلك يصرّ المشرفون على معرض تونس على إصابة الأخطاء الماضية بدقّة تيمور لنك. فهل قدَرُ معرض تونس الدولي للكتاب أن يظلّ أحدب وأعور؟

بعيدًا عن هذه الصور المجازيّة وأمثولة تيمور لنك الطريفة، هل يمكن أن تحدّد لنا عيّنة من هذه الأخطاء؟

سأبدأ إذن بوضوح الرؤية، لأنّ الصورة السرياليّة التي يُتحفنا بها المشرفون على المعرض كلّ سنة هي نتيجة طبيعيّة لعبقريّة الرؤية. فمن الطبيعيّ أن يكون لكلّ تظاهرة هدف واضح من تنظيمها حتّى لو كانت حفل ختان، وعلى أساس ذلك الهدف يبحث المنظّمون عن الوسائل الكفيلة بتحقيقه. فما هو الهدف من إقامة معرض دولي للكتاب؟ يمكننا الاستنجاد بتلميذ في السنة التاسعة من التعليم الأساسيّ، وسيُحدّد لنا هدفًا منطقيًّا واضحًا وهو:

إطلاع القارئ التونسيّ على أحدث الإصدارات تونسيّا ودوليّا بما يعكس المشهد الإبداعي والمعرفيّ لكل بلد مشارك.

وما دام القارئ التونسيّ المنصوص عليه في الهدف متعدّدًا متنوّعًا بحسب تكوينه المعرفيّ وبحسب مجالات اهتمامه، فإنّ المعرض سيسعى إلى تلبية رغبات هؤلاء القرّاء باستقطاب أبرز دور النشر محليّا وعربيّا ودوليّا بما يناسب حاجيات كلّ شريحة من القرّاء.

وأين السرياليّ في ذلك؟ ألا تعمل إدارة المعرض على تحقيق هذا الهدف كلّ سنة؟

مرّة أخرى سيُجيبنا تلميذ السنة التاسعة من التعليم الأساسيّ بأنّ إطلالة سريعة على عمل كلّ لجنة من لجان المعرض سيكشف بجلاء أنّ الباحث عن القارئ في برمجتها مثل الباحث عن الملح في السكّر:

1/ لجنة شؤون العارضين:

ويتمثّل دورها في قبول مشاركات دور النشر وتوزيع الأجنحة. أمّا قبول مشاركات الناشرين المعمول بها في كلّ المعارض العربيّة فتقوم على معيارين أساسيّين، أوّلهما معيار كميّ يشترط في الحدود الدنيا ألّا تقلّ إصدارات الناشر عن ستين عنوانًا، ويبلغ هذا المعيار المائة عنوان في بعض المعارض الدولية، وذلك لضمان مشاركة دور نشر نشطة في المجال والحدّ من الوسطاء وكلاء وموزعين، بما يضمن أسعارًا معقولة للكتب تراعي قدرة القارئ الشرائيّة، ومن مبادئ التجارة البسيطة أنّه كلّما زاد الوسطاء زادت الأسعار، وهكذا ظلّ معرض تونس الدولي للكتاب المعرض الوحيد اليوم عربيّا الذي انقطعت عن المشاركة فيه أهم دور النشر العربية مثل «دار الآداب» و«دار الساقي» و«المركز الثقافي العربي» و«دار الشروق» والقائمة تطول... وكلّ ما يمكن للقارئ التونسي أن يظفر به من كتب هذه الدور هو بعض الكتب القديمة المرمية في بعض الأجنحة هنا وهناك.. أمّا المعيار الثاني فهو معيار زمني ويشترط على الناشر أن تكون نسبة 30 بالمائة من إصداراته إصدارات جديدة، لأنّ المعرض ليس مجرّد سوق للكتب، بل هو مرآة للحراك الثقافي والفكري في البلاد التي ينحدر منها كل ناشر وكل كاتب. ولا وجود لهذا المعيار في معرض تونس الذي كاد يصبح في ما يخص الناشرين العرب سوقا للكتب القديمة، بل صار المعرض الوحيد الذي يفتح أبوابه لدور نشر لا ترى لها أثرًا في المعارض المحترمة التي تسلّط عقوبات صارمة بسبب الاعتداء على حقوق الملكية الفكرية، فصرنا نرى دورا متخصّصة في القرصنة والاعتداء على الحقوق تتنفّس من خلال معرض تونس، ويمكن لتلميذ السنة التاسعة من التعليم الأساسي أن يُسمّي لك بعض هذه الدور، فقد قاده ولعه بأدب الجريمة المناسب لسنّه إلى البحث عن أعمال أجاثا كريستي، فوجدها بجناح الدار الذهبية عدد 1708، لكنّ النسخ القانونية التي يمتلكها هذا التلميذ من أعمال كاتبته المفضّلة تعود حقوقها إلى دار الأجيال للترجمة والنشر، ولن يسمح المجال لهذا التلميذ بتفصيل القول في السطو على ترجمات مترجمين آخرين تبلغ بالواحد منهم أن يترجم كلّ أعمال دستويفسكي فجأةً ودفعةً واحدة وهكذا تنبت هذه الأسماء وتترعرع في معرضنا. فهل صرنا معرض تونس الدولي للقرصنة والاعتداء على الملكية الفكرية؟

ولعلّك تتساءلين عن توزيع الأجنحة وعلاقته بالقارئ محور المعرض الأساس، وفي هذا السياق أقول لك ما دام القارئ قرّاء لكلّ واحد منهم ميوله في القراءة ورغباته، وما دامت

دور النشر تختلف في ما بينها بحسب خطّها التحريري، فإنّ المعارض المحترمة توزّع الناشرين بحسب تخصّصاتهم فتضع كل فئة من الناشرين بشكل متجاور، فتكون الدور المتخصّصة في الكتب الأكاديمية متجاورة، والدور المتخصّصة في الكتب القانونية متجاورة، والدور المعروفة بالروايات والأعمال الإبداعية متجاورة... وهكذا لا يصبح القارئ في فضاء المعرض تائها مثل تاكسي بلا عدّاد، بل يجد بغيته في المساحة المحدّدة، دون إرهاق. أمّا معرض تونس فعلاوة على كونه المعرض الوحيد في العالم العربي كلّه الّذي لا يملك بنك معلومات على الأنترنيت بالكتب المشاركة فيه وأسعارها (باب للفساد)، فإنّه يتفنّن في إعداد القارئ التونسي للألعاب الأولمبية، فيضع له جناحا متخصّصا في الكتب الأكاديمية الدقيقة يقابله جناح متخصص في الكتاب المدرسي، يجاوره جناح متخصص في الأدب والعلوم الإنسانية، حتّى يصيب القارئ المسكين شدّ عضليّ في الذهن. ولعلّ ذلك يدخل ضمن هدف خفيّ اختاره المشرفون على المعرض وهو تحريك الدورة الدمويّة للقرّاء المتعوّدين على الجلوس والقضاء على شتّى مظاهر السمنة.

2/ لجنة الجوائز:

قد يذهب الظنّ إلى أنّ جوائز معرض الكتاب التي تخصّصها وزارة الثقافة كلّ سنة في مجالات مختلفة كالرواية والشعر والترجمة والدراسات الإنسانيّة، هي جوائز موجّهة إلى الكُتّاب فحسب، لكنّنا إذا تأمّلنا أهم الجوائز العربيّة والآليات التي تعمل بها انتبهنا إلى أنّها موجّهة إلى القرّاء أساسا كي تتخيّر لهم أهمّ الأعمال المرشحّة كلّ سنة في مختلف المجالات، لذلك تعمل بعض هذه الجوائز على الإعلان عن قائمة طويلة تليها بعد مدّة زمنية قائمة قصيرة يليها بعد مدّة زمنيّة الإعلان عن الكتاب المتوّج، (البوكر، الشيخ زايد، كتارا، جائزة بن عيّاد في تونس، جائزة نادي القصّة...) وتعود هذه الآليّة إلى منح القرّاء الوقت للاطلاع على النصوص ومنح الإعلاميين والصحافيين المدّة الكافية لاستضافة أصحاب النصوص المرشّحين للتتويج، وإضفاء طابع التشويق على المشهد الثقافيّ برمّته. أمّا جوائز معرض تونس الدولي للكتاب فإنّ الإعلان عنها يكاد يشبه عمليّة الاقتراع في الانتخابات، إذ يأتي في كل دروة محكوما بالسريّة ومدفوعًا بالسرعة القصوى، في تغييب تامّ للقارئ وللمعلومة، ذلك أنّ الإعلان عن القائمة القصيرة يتمّ قبل افتتاح المعرض بثلاثة أيّام فقط، يعقبها الإعلان عن المتوّج، وأغنية نهاية الزفاف «انزاد النبي وفرحنا بيه..».

3/لجنة الاتصال والإعلام:

الحمد لله أنّها بدأت تعمل لتخبرنا بضيوف المعرض والنشاط الثقافي مع انطلاق المعرض، حتّى إنّني كدتُ أُصدر خبرًا عاجلًا مفاده: «قريبا جدّا يُتوقّع الإفراج عن الفريق الاتصالي لمعرض الكتاب بحلول الثامن والعشرين من شهر أفريل».

ألا يفترض أن تقدّم لنا هذه اللجنة أخبارا يوميّة عن ضيوف المعرض وبعض أنشطته قبل المعرض بمدّة كي يعرف القارئ الكتّاب المدعوّين ويُجهّز نفسه لما يهمّه من الأنشطة؟ ربّما نحن نغالي في قراءتنا والمهمّ أنّ فريق الاتّصال ظهر أخيرا وأنّه بخير.

هل ترى أنّ مدير المعرض الحالي محمد الصالح القادري الشخص المناسب في المكان المناسب؟

تقصدين الأستاذ الدكتور محمد صالح القادري؟ نعم طبعا، فهو رجل ديمقراطي وتعيينُه يفتح باب الأمل. أمّا صفة الديمقراطي فليس أدلّ عليها من الكلمة الافتتاحيّة التي صدّر بها دليل أنشطة المعرض وبرنامجه الثقافيّ، فقد جاء مضمونُها مُطابقًا لعنوانها: «التنمية الثقافيّة شأن جماعيّ»، وفيها سعى الدكتور إلى إجلاء شتّى أشكال الديمقراطيّة ممارسةً لا مجرّدَ قول، فبدأ باللغة نفسها، فكان عادلًا مُنصفًا في ارتكاب شتّى أصناف الأخطاء اللغويّة رسمًا وإعرابًا وتركيبًا وصرفًا حتّى تعدّى عدد الأخطاء العشرين خطأ في نصّ صغير (أخطاء الرسم: فرار الهمزات فزعًا من كلمات كثيرة لعلّ أبرزها ضيف الشرف نفسه «إيطاليا» فلم تُكتب مرّة بشكل صحيح، والحمد لله أنّ أخطاء الرسم في اللّغة لم تتسبّب يومًا في أي أزمة ديبلوماسيّة بين بلدين./ الصرف: مقاومة الثقافة الذكورية البائدة وتكريس تأنيث المذكّر مثل قوله «إحدى روافدها» وليس «أحد روافدها»./التركيب: الحرص الشديد على الإمتاع والمؤانسة وإقرار عدم الفصل بينهما مُستقبلًا فلا إمتاع بغير مؤانسة ولا مؤانسة بلا إمتاع، لذلك وضعهما معالي الأستاذ الدكتور كالتوأم في صيغة مُضاف «إمتاع ومؤانسة

معرض تونس علاوة على كونه المعرض الوحيد في العالم العربي كلّه الّذي لا يملك بنك معلومات على الأنترنات بالكتب المشاركة فيه وأسعارها (باب للفساد)، فإنّه يتفنّن في إعداد القارئ التونسي للألعاب الأولمبية

الاعلان عن جوائز معرض تونس الدولي للكتاب يكاد يشبه عمليّة الاقتراع في الانتخابات، وكل دورة محكومة بالسريّة ومدفوعة بالسرعة القصوى

سعى الدكتور القادري إلى إجلاء شتّى أشكال الديمقراطيّة ممارسةً لا مجرّدَ قول، فبدأ باللغة نفسها، فكان عادلًا مُنصفًا في ارتكاب شتّى أصناف الأخطاء اللغويّة رسمًا وإعرابًا وتركيبًا وصرفًا حتّى تعدّى عدد الأخطاء العشرين خطأ في نصّ صغير

وددنا تقديم عيّنة من هذه الأخطاء لا لشيء إلّا لنرد على كل من تسمح له نفسه الأمّارة بالسوء بتشويه صورة الأساتذة الدكاترة والتشكيك في كفاءتهم

جميعِ الفئات العمريّة» عكس ما تفرضه اللغة المتسلّطة الجبّارة «إمتاع جميع الفئات العمريّة ومؤانستها»، وهل هناك تجبّر ومظلمة أكبر من فصل التوأم أحدهما عن الآخر؟ نصر الله الأستاذ الدكتور على دكتاتوريّة اللغة./الإعراب: الإعلاء من شأن القطاع الخاصّ بتجنيبه النصب ودلالة النصب، لذلك رفعَه رفع الله قَدْره فقال «النهوض بالثقافة شأن الجميع، دولة وقطاع خاص وجمعيّات أهليّة» ولم يقل «دولةً وقطاعًا خاصًّا وجمعيّاتٍ أهليّةً» لتكريس مبدإ حسن النيّة وتجنيبهم النصب.) ولم تتوقّف رؤية الأستاذ الدكتور الحكيمة عند هذا الحدّ بل أقام الأخطاء في كلمته التاريخيّة على التناصف بين «الخطإ» و«الهفوة» فجعلها بذلك مبنيّة على التناصف الجندريّ بين المذكّر « خطأ» والمؤنّث «هفوة» مثل نسيان حركة أو حرف لعن الله النسيان.

وقد وددنا تقديم عيّنة من هذه الأخطاء لا لشيء إلّا لنرد على كل من تسمح له نفسه الأمّارة بالسوء بتشويه صورة الأساتذة الدكاترة والتشكيك في كفاءتهم، وهو تشكيك قد يذهب إلى حدود اتّهامهم بتشويه صورة المنظومة التعليمية في تونس لدى زوّار المعرض من الأجانب وسوء الظنّ في درجات الترقّي العلميّ في تونس التي تجعل أستاذا دكتورا يرتكب ما ارتكب من أخطاء تبدو لغير العارف خطِرةً مُفزعة، لكنّها سرعان ما تنجلي لكلّ عارف متناسقةً محكومة برؤيةٍ وبصيرةٍ نافذتين. ولو سلّمها الأستاذ الدكتور إلى أحد الأساتذة الدكاترة ممّن معه في لجنة إدارة المعرض لأصلحها له وعيناه مغمضتان، غير أنّ حرص سي محمد صالح القادري على العمل الجماعي وإيمانه به، جعله يتجنّب إرهاق الآخرين ويكتفي بكتابة كلمته وحيدًا، ولتونس من التونسيّين من يدافع عن صورة معرضها وصورة مديره. ثمّ لماذا الاهتمام بالهامشي والشكليّ مثل أخطاء اللغة وإهمال الميزة الأساسيّة التي ظلّ سيادة مدير المعرض (أو رئيس لجنة تنظيمه) يردّدها في كل لقاء صحفي وفي كلمته الافتتاحية، وهي «مواكبة التطوّرات الحاصلة في مجال التكنولوجيا وإنجازاتها غير المسبوقة... وامتلاك مفردات الثورة الصناعيّة الرابعة وثقافة المعلومات» فالرجاء من أيّ أحد من العمّال في إدارة المعرض أو موظفيه إعلام السيّد الأستاذ الدكتور بأنّ معرض تونس الدولي للكتاب الذي هو رئيس لجنة تنظيمه لا يملك إلى الآن موقعا رسميّا على شبكة الأنترنيت وأنّ الراغب في الاطلاع على العناوين الموجودة في المعرض من أهلنا في الجنوب لا يمكنه ذلك إلّا بامتطاء الحافلة والسفر يوما كاملًا للوصول إلى المعرض ثمّ السفر ثلاثة أيام داخل المعرض للاطلاع فقط على ما تختزنه أجنحته من عناوين.

أمّا كيف يفتح تعيين الأستاذ الدكتور باب الأمل، فلأنّه يمنح الأمل لكلّ مفتقر إلى الرؤية والتجربة كي يظفر بمنصب، ويكرّس دمقرطة الثقافة. وأمّا المُطالبون أمثالي بتعيين مدير من الشخصيّات الثقافيّة الفاعلة أو من أصحاب التجارب الإداريّة الطويلة أومن أهل مهنة الكتاب مثلما حصل مع الأستاذ رابح الدخيلي رئيس اتحاد الناشرين التونسيين الأسبق، أو مع الأستاذ منصف بن عيّاد، فذلك يندرج ضمن تاريخ المعرض المجيد، والتاريخ كالمتحف نزوره ولا نأخذ منه شيئًا.

لاحظنا تهكّما كبيرًا حول برنامج المعرض الثقافي. هل تصفحته وما رأيك في ما تضمّنه من أنشطة وأسماء وندوات؟

تهكّم معهود من المحرومين من مآدب الإفطار، لا يقدّم تصوّرات أو مقترحات بنّاءة، لذلك لا أودّ الدخول في نوبة العويل بالاستنقاص من الجهد الجبّار المبذول في النشاط الثقافيّ الحافل بالندوات والمحاورات الأكاديميّة الرصينة، وهي ندوات تخيّرت القضيّة الفلسطينية أمّ القضايا محورًا لها، يُشرف عليها «أساتذة دكاتير» من خيرة ما أنجب البلد، يدعون إليها بدورهم «أساتذة دكاتير» لتعميم الفائدة وتفكيك المفاهيم المفصلّية والمصطلحات الجوهريّة ووضعها تحت عدسات النظّارات التي لا يخلو منها أيّ وجه من وجوه دكاتيرنا. أمّا المشهد الثقافيّ الفلسطيني الداخليّ وما يعج به من تجارب ومن مقاومة إبداعيّة، فلا أظنّه يعني القارئ التونسيّ في شيء. لماذا سندعو الكتّاب المتوّجين بجائزة الدولة الفلسطينية في فلسطين الداخل ودعوتهم قد تكلّف ميزانية وزارة الثقافة ما تكلّف؟ ولماذا نسلّط الضوء على كتاب عمر نزال الذي أثار ضجة في فلسطين نفسها وفي العالم العربيّ، وأتحدّث هنا عن كتاب «كباسيل» وهو كتاب يعنى بمنافذ الاتصال والتواصل لدى الأسرى في السجون الصهيونة وبآليات تهريب كتابات المساجين إلى الخارج؟ لماذا نرهق أنفسنا بذلك و«أساتذتنا الدكاتير» لم يحسموا بعد في فلسطينية عمر نزال، وقد يكون الرجل مكسيكيًّا أو أشوريّا أو مغوليّا ونقع في الفضيحة مثل كلّ سنة؟ وما الّذي يهمّ القارئ التونسيّ من دعوة الدكتورة آمنة حجّاج التي أهدرت عُمرها في أطروحة دكتورا عن روايات الداخل الفلسطيني؟ فالمشرف عليها هو الدكتور صالح بن رمضان وهو تونسيّ ويمكنه عقد حلقات في المقاهي والمطاعم الشعبيّة ليحدّثنا عنها نيابة عن الكاتبة. إنّما نحن في حاجة إلى تقليب المفاهيم وتدقيقها وتحقيقها كي تتّضح لنا الرؤية وتتلاشى الغشاوة. لهذا كلّه لا أودّ تقزيم الجهد الجبّار المبذول في النشاط الثقافي، وإنّما أدعو هؤلاء المشرفين في الدورات القادمة إلى فتح باب التسجيل أمام الطلبة وعموم الباحثين لاختيار إحدى المواد العلميّة المدرجة في برنامج المعرض الثقافيّ والظفر حال نهاية المعرض بشهادة علميّة يحتاج إليها سوق الشغل، فليس أشرف من العمل لتحصيل الخبز، وليس أكرم

بالخبز من فلسطين. وهكذا «نوكّلو صغيّراتنا خبيزة باهية».

البرنامج الثقافي برنامج دسم ولكنّه غير متوازن فإمّا أن يتعامل مع القارئ بوصفه طفلا قادما للمعرض من أجل الترفيه، أو بوصفه باحثا أكاديميا متخصّصا، وإذا استثنينا النقطة المضيئة في هذا المعرض التي قام بإعدادها شباب مثقّف حيّ من مجموعات القراءة وعشّاق الكتب، بدعوتهم كتّابًا يعكسون المشهد الثقافي في بلادهم ولم تسبق لهم زيارة تونس مثل عادل عصمت وسعود السنعوسي وبثنية العيسى، فإنّ البرنامج يمكن أن يختزل في المثل الروسي: «إذا كنتَ لا تملك إلّا مطرقة فلن ترى الأشياء إلّا مسامير».

هناك استياء من كثير من المثقفين التونسيّين من عدم دعوتهم إلى المعرض. كيف ترى تغييبهم عما وصفوه «الزردة»؟

اسمحي لي بأن أعقّب أوّلًا على عبارة «الزردة» لأنّها طقس كامل يتقاطع فيه الروحاني بالاحتفالي بالوليمة، ونأمل أن يرقى المعرض في يوم من الأيّام إلى مستوى «الزردة»، لكنه في تقديري مجرّد وليمة يتغيّر المدعوون فيها بتغيّر المسؤولين، وما دام ترسّخ في أذهان الطبقة المثقّفة بأنّ المعرض وليمة فلا بأس من المطالبة بما يسدّ فاتورة ماء أو يسدّد فاتورة كهرباء لا قطع الله عنهم فاعل الخير... لكنّ ما يؤلم حقّا إزاء هذا المشهد هو ضجيج الصمت الذي أسمعه من فاعلين حقيقيّين في المشهد الثقافي. فهل يُعقل ألّا تدعى أميرة غنيم ولا مرّة واحدة إلى أيّ نشاط من أنشطة المعرض وهي التي جمعت في كتاباتها بين إقبال القرّاء إذ وصلت روايتها «نازلة دار الأكابر» على الطبعة العاشرة، واعتراف لجان التحكيم المتخصصة، بفوز كتابها بالكومار الذهبي فئة لجنة التحكيم وبالقائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربيّة؟ وفي الآن ذاته نرى كتّابا عربًا كانوا مع أميرة غنيم مثلا في القائمة القصيرة يدعون إلى المعرض في مناسبتين متتاليتين حتّى صار غياب أحدِهم عن هذه الدورة دافعًا للاستغراب وصار «أبغض الحلال عند الله جلال..»

ما دام ليس هناك معيار واضح في توجيه الدعوات ينسجم مع الهدف الرئيسي للمعرض، فلا يمكننا قمع أيّ صوت يُطالب بدعوة. ومن يرفع صوته أكثر سيكون أوّل المدعوّين في الدورة القادمة، ما دامت التجارب أكّدت أنّ الحبال الصوتيّة معيار.

كناشر ومثقف خاض تجارب طويلة في معارض دولية كبرى عربية وأجنبية ماذا ينقص معرضنا حتى يحقق انتظارات الناشرين والمثقفين على أكمل وجه؟ وحتى يتساوى مع المعارض الدولية الكبرى إن لم نقل يتفوق عليها؟

ينقصه وضوح في الرؤية والأهداف، وينقصه أن يعلم المشرفون عليه بأنّ التكليف مسؤوليّة وليس تكريما.

يرى البعض أنه لا توجد إرادة ولا رغبة في صناعة مشهد ثقافي حقيقي ما رأيك في ما يُقال وماذا ينقصنا لصناعة هذا المشهد؟

إذا أردنا أن نصنع مشهدًا ثقافيًّا حقيقيًّا فعلينا إغلاق وزارة الثقافة، فلا يمكن للحمار الجريح أن يحمل غير نفسِه، ويكفي أن نُلقي نظرة على تاريخ هذه الوزارة من خلال التسميات كي نعرف ما حلّ بها، فقد كانت «وزارة الثقافة» ثمّ حين اكتشف آل الطرابلسي قيمة المتاجرة بالآثار صار اسمها «وزارة الثقافة والمحافظة على التراث» والمقصود نهبه، وحين أقنعهم متعهّدو الحفلات بما تدرّ به الوساطة في استجلاب الفنّانين وإقامة المهرجانات صارت «وزارة الثقافة والترفيه». أمّا اليوم فهي ربّة بيت لا حول لها ولا قوّة تعنى بـ«الشؤون الثقافيّة»، فمن يحاسب ربّة البيت على جهلها بالدستور؟ لستُ مطلّعًا على المشهد الثقافيّ التونسيّ بمختلف أشكاله الفنيّة والثقافيّة، لكنّني يمكن أجزم لك في ما يخصّ الكتاب بأنّ وزارة الثقافة هي المُنكّل الأوّل بالدستور التونسيّ، ويكفي أن أسوق إليك وإلى قرّائك الكرام المثال التالي المتعلّق بلجنة اقتناء الكتب التونسيّة، وهي لجنة موجّهة لتزويد المكتبات العموميّة بأحدث الإصدارات التونسية كلّ سنة، فإذا علمنا أنّ عدد المكتبات العمومية في تونس يتخطّى 400 مكتبة، وأن الوزارة تقتني من الكتب الثقافية التي يحتاج إليها مرتادو هذه المكتبات ما بين 100 نسخة و200 نسخة، ومن الكتب المتخصصة التي لا تعني مرتادي هذه المكتبات ما بين 30 نسخة و50 نسخة (وهي كتب موجهة إلى مكتبات الجامعات) أدركنا أنّ الوزارة هي الخارق الأوّل للدستور التونسي الذي ينصّ فصله الأوّل على أنّ تونس «جمهورية» بمعنى تكافؤ الفرص، فحين تقتني الوزارة 100 نسخة من كتاب ثقافي، فإنها ستضعها في المكتبات المركزية، أمّا قرّاء أمّ العرايس في قفصة وقرّاء سجنان في بنزرت وقرّاء حاسي الفريد في القصرين فقد حكمت عليهم لجان الوزارة بأنّهم ليسوا تونسيّين، ويصبح الأمر جريمة تدعو للتحقيق حين تتبرّع الوزارة بنسبة من كتب الاقتناءات لمهرجان قرطاج في حفل الفنان لطفي بوشناق كي يحصل كل من قطَع تذكرة لدخول ذلك الحفل على نسخة مجانية من كتاب، والغريب أنّ الصحافة في ذلك الوقت باركت هذه اللّفتة النبيهة، ولم يتفطّن أحد إلى أنّ كلّ نسخة مجانية من كتاب من تلك الكتب سُحبت من بين يدي قارئ تونسيّ في الأرياف والمناطق المحرومة، في ظلّ فوضى عارمة شعارها المظاهر والإفلات من المحاسبة. فمن يحاسب الوزارة على التنكيل بالدستور؟ أمّا إغلاق الوزارة، فليس المقصود به غير إغلاق حنفيّة الدعم في غير محلّها، وغير إغلاق عقليّة التعامل مع تظاهرات الوزارة بوصفها كعكة، وهي عقليّة عمل على تكريسها أبناء الوزارة قبل سواهم، وليس المقصود به غير إغلاق هذه الصورة المؤلمة لتونس الجريحة.

قد يكون كلامك صحيحا لكنّك تنظر دوما إلى الجوانب السلبيّة، فتونس مثلا هي الدولة الوحيدة التي تمنح الناشر 75 في المائة نسبةَ دعمٍ على الورق؟

ملاحظتك في محلّها تمامًا، لكن للأسف يبدو أنّ عدوى المطارق أصابتني فصرت أرى كلّ شيء مسمارًا. لذا فلْتسمحي لي بتوضيح النقطة التالية: إنّ الدعم على الورق موجّه أوّلا إلى القارئ التونسيّ وليس إلى الناشر ونسبته في صناعة الكتاب تعادل بالضبط نسبة الضريبة التي يدفعها الناشر ويُعفى منها القارئ. وهو من زاوية ثانية شكل من أشكال العبث بالكتاب لا دعمه، لأنّ توريد الورق في تونس منذ اتفاقية التبادل التجاري الحرّ التي أبرمها بن علي، حكرٌ على الدول الأوربية، لذلك فإنّ الطابع أو تاجر الورق يجد سعر نوعية ما من الورق على سبيل المثال بدولار في الصين أو الهند لكنّه مجبر على اقتنائها من أوروبا بعشرة دولارات، تمنح الدولة دعما للناشر عليها فتصبح بدولارين ونصف، فأيّهما أجدى: إلغاء الدعم على الورق وإلغاء بند توريد الورق من هذه الاتفاقيّة، فنورّد ذلك الورق بدولار، أم إهدار ملايين الدنانير كلّ سنة تحت راية الدعم؟

إنّ النظر في مشاكل صناعة الكتاب هو مسألة تخصّ المهنيّين من طابعين وتجار ورق ومختلف الأطراف الفاعلة في صناعة الكتاب، أمّا وزارة ثقافتنا النبيهة فإنّها تعقد كل سنة جلسات مع كتّاب، يخرجون في ختامها بأنّ "الكتاب قيمة ثابتة في حياة الشعوب". ما دخل الكُتّاب بالكتاب؟ للكُتّاب علاقة بالكتابة. أمّا الكتاب فإنّه حزين أمامكم في معرض الكتاب فاستمعوا إلى أنين اليد التي اقتطفت حَلْفاءه.

الرجاء من أيّ أحد من عمّال إدارة المعرض أو موظفيه إعلام السيّد الأستاذ الدكتور بأنّ معرض تونس الدولي للكتاب الذي هو رئيس لجنة تنظيمه لا يملك إلى الآن موقعا رسميّا على شبكة الأنترنات

يفتح تعيين الأستاذ الدكتور مديرا للمعرض باب الأمل لكلّ مفتقر إلى الرؤية والتجربة كي يظفر بمنصب

البرنامج الثقافي برنامج دسم لكنّه غير متوازن ويمكن اختزاله في المثل الروسي: «إذا كنتَ لا تملك إلّا مطرقة فلن ترى الأشياء إلّا مسامير».

ما يؤلم حقّا إزاء هذا المشهد هو ضجيج الصمت الذي أسمعه من فاعلين حقيقيّين في المشهد الثقافي

حين اكتشف آل الطرابلسي قيمة المتاجرة بالآثار صار اسمها «وزارة الثقافة والمحافظة على التراث» والمقصود نهبه، وحين أقنعهم متعهّدو الحفلات بما تدرّ الوساطة في استجلاب الفنّانين وإقامة المهرجانات صارت «وزارة الثقافة والترفيه»

نافذة لأراك
(Fenster um dich zu sehen)

كمال العيادي (الكينغ)
Kamal Ayadi - KING

(5)

قبْلَ سَنةٍ، بالقيْرَوَانْ، أوْقفَتنِي عجُوزٌ، وأنا أدِبُّ بعُكّازي. وَصَاحَتْ:
– كمَالْ؟! ألمْ تتذكّرني؟! أنا سَالْمَهْ... وَوالله لقدْ مَادَتْ بي الأرضُ لِثوَانٍ، وَظَنَنْتهَا دَرَسَتْ مَعِي بالابتدائي. وكانتْ بلاَ أسنانْ تمّامًا...
لكنّها أنقذتني، حِينَ أكملتْ:
– أنا صديقة وَالدتكَ فضيلة، وكانتْ في مقامِ ابنتي، رحمها الله.

Vor einem Jahr hielt mich in Kairouan eine alte Frau an, als ich mit meinem Stock ging. Sie rief:
– Erinnerst du dich nicht an mich?! ... Bei Gott, ich dachte, sie hätte in der Grundschule mit mir gelernt. Sie war völlig zahnlos... Aber sie rettete mich, als sie fortfuhr:
– Ich bin eine Freundin deiner Mutter, (Fadila), und sie war in der Lage meiner Tochter, möge Gott ihr gnädig sein.

قراءة في معجم مصطلحات الفنون البصرية للأستاذ سامي بن عامر

د.حبيب بيدة

يقول الأستاذ سامي بن عامر عن معجمه، الذي بين أيدينا لتقديمه أنه تجربة حياة ويلخص بهذا التعبير، هذا العمل الذي امتدت فترة إنجازه لثلاثين سنة. وقد كان بالنسبة لي مفاجأة حيث لم أعلم به إلا عند طلبي منه بكتابة مقدمة له. تجربة حياة تدل على أن الزميل سامي بن عامر كان يعتبر أن كلّ جهد بحثي يبذله، كصلاة يومية طيلة هذه المدة كان بالضرورة يحتوي على إشكاليات إبداعية تحملها مصطلحات تتحول إلى مفاهيم عندما تندمج وتنبجس من سياقات معرفية مكانية وزمانية. أذن لنا أن نتصوّر هذه التجربة/ الرحلة التي أدت إلى هذا الكتاب الضخم الحاوي على قرابة السبع مائة وخمسين صفحة، وسمها المؤلف "بمعجم" مصطلحات الفنون البصرية وأخيّر شخصيا وإن كانت الكلمة غير متداولة أن أسمي هذا الكتاب الجامع مَجْمَعًا لأنه يجمع بين مسائل تهم الفنّ الذي يسمّيه المؤلف بصريا وهو في صيغة الجمع فنونا بصرية. هذه المادة إذا اعتبرناها كذلك يصعب تحديدها كما يصعب تحديد سياقاتها التاريخية والجغرافية والحضارية وتحديد مصطلحاتها ومفاهيمها. وأعتقد أنه نتيجة لهذه الصعوبة أنّ مشروع الزميل سامي بن عامر لم ينته بعد وقد صرّح في وقت سابق بمناسبة تقديم الكتاب أنه يفكر في جزء ثانٍ لهذا المجلد.

سامي بن عامر

لقد عنونت تقديمي لهذا الكتاب الجامع "عندما تتفنّن المصطلحات في مأدبة بصريّة" وذلك إلهاما مما وفر لي هذا "المجمع" من مادة متحركة لعوبة تشبه لعب الفنّ وإثارته للدهشة على مرّ العصور (يقول ابن منظور في معجمه: الفنّ هو الشيء العجاب ونقول رجل مفنّ أي يأتي بالعجائب) والعُجْبِ والعَجَبِ مترادفان فالأول يعني الإعجاب والثاني يعني الدهشة. والاثنان يعنيان الدهشة المعرفيّة والجماليّة.

ومجمع سامي بن عامر يثير الدهشتين لأنه يتحدث في الفنون البصريّة كإشكاليات معرفيّة شاملة لا ندركها عقليا وفكريا فقط بل جماليا طربيا أيضا وما يزيد دهشتنا هو أن الكتاب يعتبر مغامرة مجهولة النتائج رغم نتيجتها الماثلة أمامنا لأن سامي تجرأ على بناء مطلق في أجواء مطلقة.

وأعتقد أن كل الباحثين الذين حاولوا إنجاز مثل هذا البناء كان تحديده يتجاوزهم بحكم طبيعة شكله ومرونة مادته واختلاف طرق هيكلته في مجال زمني/مكاني صعب هو الآخر ويستعصي التحديد بل هو يستحيل التّحديد.

يقول الحبيب سيدهم عن هذا الكتاب المعجم "لقد راوح هذا المعجم بين فترات زمنية مختلفة وحضارات تزخر بإنتاجاتها وخصوصياتها في الفنّ التشكيلي إذ حملنا إلى فنون التاريخ القديم وإلى الفنّ الإسلامي وإلى عصر النهضة الإيطالية وإلى الكلاسيكية والحداثة المعاصرة وراوح بين المحلي التونسي والإقليمي العربي والعالمي لا سيما الغربي مؤكدا في شرحه للمصطلحات المعتمدة عن تغيّرات مفهوم الفنّ في الزمان والمكان"(1).

يحيلنا كلام الحبيب سيدهم رئيس جامعة تونس وهو المهندس، إلى ما وجدناه في هذا المعجم من هندسة لأبوابه المختلفة والمسائل التي طرحت للنقاش في هذه الأبواب وهي مسائل تقترب من الإطلاق، لأنها مفتوحة على الأجوبة المختلفة وهي ليست مغلقة ولا يمكن أن تكون مغلقة. إذ أن كل مسألة وهنا اقترحت في مقدمتي أن تغير كلمة المصطلح بكلمة "مسألة" لأن المصطلحات في هذا الكتاب هي عبارة عن مسائل والمسائل تدعو إلى الأسئلة والأسئلة تستوجب أجوبة والأجوبة في الفنون هي عبارة عن أسئلة جديدة. هذا ما يمتاز به الكتاب كتاب يحتوي على مسائل تحلّق بنا في أجواء رحبة، أجواء كونيّة لا تتحدّد بزمان ولا بمكان مما جعلنا لا نقرأ لنعرف فقط بل لنلتذّ بالتوهان في رحابه المجتمعة والمتفرقة بين الوصل والفصل بالأصل وعن الأصل.

لقد اختار سامي بن عامر أن يسمي هذا المجلد معجما للمصطلحات ويمكن أن يكون لهذا الاختيار أسبابه لكن القارئ لهذا الكتاب/الوثيقة يجد أنّ محتواه يتجاوز ما يوحي به العنوان الذي وسمه. لأن الزميل سامي بن عامر لم يقتصر على إعجام المصطلحات التي أفرزت من الممارسة.

والحديث عنها ولم يفسرها كما فسرت المعاجم المتعارفة الألفاظ الحاملة لمعاني مختلفة ولم يكن أيضا معجما للأعلام يعرّف فيه بصانعي المعرفة الفنّية وممارسيها وهذا ما يجعلنا مندهشين ومبهورين ومتسائلين أمام مضمون الكتاب لنحاول تحديد مادّته المحمولة به لنجد أنفسنا أمام معلومات مرتبة عناوينها ألفبائيّا معلومات موسومة بكلمات/ عناوين مفردة أو مركبة تنساب منها معاني تتجاوز المصطلح لتعانق المفهوم وتنفلت عن المفهوم لتتجاوزه كإشكالية وتتجاوز الإشكالية لترتقي إلى المسألة وترتقي المسألة إلى مرتبة السّياق ويصبح السّياق نصّا مسائلا ويمكن أن يصبح موضوع دراسة وتحقيق. لأن الموضوع/الدراسة تحتوي مجموعة مقولات وخواطر وآراء لباحثين مختلفين ومحاولات تعاريف تختلف لغة وباختلافها اللغوي تختلف معانيها الفكرية والإيديولوجية ونلتذّ لهذا الزخم من المعلومات المتنوعة والمتفرعة عن بعضها البعض والتي تأتي في بعض الأحيان كمقولات "خواطرية" لأن الفنون وما يتصل بها من أحاديث جمالية وإنشائية لا يمكن أن تكون صارمة التعريف والتحديد. وتحتوي هذه "الخواطر" هي الأخرى على مصطلحات ترتقي إلى مرتبة المفاهيم التي لا يمكن أن تفهم إلا بتعالقها بمجالاتها الإنتاجية في أمكنتها وأزمنتها المحددة التي كان لها أحوال فيها حتى استقرت في مقاماتها.

إن هذه المغامرة التي أقدم عليها سامي بن عامر وأنجزها وحققها بقدر علميتها ونفعيتها للباحثين الذين سيجدون فيها حتما وسائل وآليات تمكنهم لا فقط من فهم المصطلحات المتعلقة بالفنون البصرية ومناقشتها بفعل الآراء المتعددة حولها، هذه الآراء التي أرادها سامي بكل موضوعية مثرية للإشكاليات التي اختار طرحها، وهي مختلفة ومتعددة ومتنوعة. أعود فأقول إنها مغامرة شائكة وتمتاز بجماليتها وجمالية خصوصيتها فمعجمه لا يشبه في شكله ومضمونه المعاجم المتعارفة لأنه جمع فيه مواد علمية بحث عنها في مسار حياته البحثية والتدريسية على مدى ثلاثين سنة كما جاء في مقدمته، وهي دروس جامعية ومداخلات في ملتقيات علمية وفنية وبرامج ثقافية إذاعية ومقابلات مع فنانين وكتيبات معارض فنون ومقالات في الصحافة وغيرها.

أتت هذه المادّة إلى سامي وذهب إليها وكان ذكاءه في القبض عليها والإمساك بها وسجنها في دفاتره مما جعلها مادة طريفة تثير محبّ الاطلاع على معلومات لا يمكن له أن يجدها أمامه مجمّعة ومبوّبة كما هو الحال في هذا الكتاب خاصة وأن هذا التبويب لم يراع التقارب بين الإشكاليات المطروحة بل جعل القارئ المتأمل يحلّق في أجواء رحبة مطلقة ينتقل فيها بسرعة متناهية في طبيعة متباينة التضاريس فمن جبل إلى غابة ومن غابة إلى نهر إلى بحر إلى بحيرة إلى سهل إلى صحراء... وفي هذه الأماكن تنتصب مدن ومدائن وقرى وفيها تقام مبان ومساجد وكنائس ومعابد قديمة وحديثة ومعاصرة.

أقول هذا من قبيل المجازي لأني تخيلت

ما جاء في معجم سامي أفكارا محمولة بمولداتها منتشرة غير عابئة بضرورات الزمان والمكان وتبدو علاقتها بمريد إدراك هذه الأفكار علاقة دوائرية لولبية أو كما قال في مقدمته "طريقة غير كرونولوجية".

إنها تجربة حياة وما هذا المسمى معجما ليس إلا نتيجة "صلاة يومية" وذكر متواصل لا ينقطع لأوتار كلمات / مصطلحات/ مفاهيم أنتجت نصوصا نطرب لقراءتها وتأملها وتلك صلاة أخرى.

شكرا للزميل سامي بن عامر وليتواصل العطاء.

---

(1) تقديم الحبيب سيدهم ص 10

قراءة في كتاب

«مذكرات رقيب كتب، من التعليم الدّيني إلى مواجهة النهضة واليسار الإسلامي» لأنس الشابي

وناس بن يوسف

عن دار أركاديا للنشر صدرت هذه الأيام مذكرات أنس الشابي في 276 صفحة، اقتصر فيها على ذكر ما يتعلق برقابة الكتاب في العشر سنوات الأولى من حكم الرئيس السابق زين العابدين بن علي، وهي الفترة التي كلف فيها بهذه المهمة.

ينقسم الكتاب إلى قسمين:

القسم الأوّل:

خصّصه المؤلف للحديث عن أسباب تحوّله من طالب زيتوني إلى خصم للتيارات الدينيّة ممّا مهّد لتكليفه بمهمة رقابة الكتاب فيما بعد، يذكر المؤلف أنه من عائلة زيتونية أبا عن جدّ وأنه حفظ إرثها بالانخراط في كلية الشريعة وأصول الدين إلا أنّ القدر كان في انتظاره حيث عثر على جملة من الدراسات والكتابات اليساريّة التي خلخلت إيمانه ودفعته إلى التساؤل عمّا كان مرتاحا إليه من إيمان ويذكر على رأس الذين أثروا في مسيرته الفكرية صادق جلال العظم وحسين مروة ومحمود أمين العالم وغيرهم ممن أسّسوا للتنوير والفكر العلمي والحداثة في البلاد العربية، وهو ما دفعه إلى الانخراط في الحزب الشيوعي لأنه كان يعتقد أنه الفصيل السياسي الصادق في مواجهة الإسلاميّين ولكن أمله خاب فيه فانفصل عنه، بعد تغيير السابع من نوفمبر وبعد تعيين محمد الشرفي وزيرا للتربية وبدء عملية الإصلاح شارك أنس في ذلك عن طريق الكتابة عن مادة التربية الإسلامية وهو مدرسها في الصحافة إلا أن الوزير لم يلتفت إلى اقتراحاته لأنه عين في ديوانه زعيم اليسار الإسلامي احميدة النيفر للإشراف على إصلاح المادة وللعلم سبق لأنس أن دخل في خصومة مع احميدة لما صدر العدد الأول من مجلة 15/21، هذا التجاهل دفعه إلى مراسلة رئيس الجمهورية ووزير وكاتب الدولة للتربية وفي نفس الوقت شن هجوما على اليسار الإسلامي وسمى تعيين زعيمه مكلفا بمهمة في ديوان الوزير بالورطة ونشر في ذلك مجموعة من المقالات في الموضوع ثم أرسل تقريرا إلى رئيس الجمهورية وبعد شهر تقريبا أعلمه كاتب الدولة للإعلام بأن قرار عزل احميدة اتخذ وطلب منه التوقف عن الكتابة في المسألة النيفرية وهو ما حصل، ويروي المؤلف أنه قابل الشرفي بعد مغادرة احميدة للوزارة ويقول بأن لقاءه به

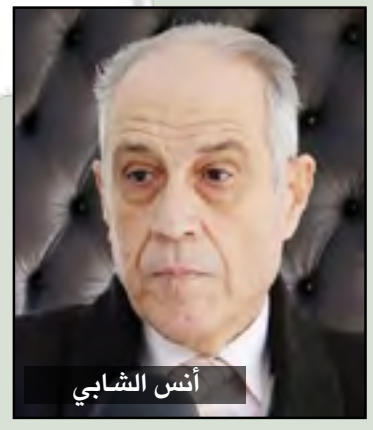
أنس الشابي

كان لقاء مجاملات بارد وفق قوله، بجانب معركة التربية الإسلامية خاض المؤلف معارك أخرى تصبّ جميعها في خانة مقاومة انتشار التيار الإسلامي فكتب عن الجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم لما قررت أن توسّع من صلاحياتها باقتراحها قانونا أساسيا جديدا وهو ما أثار ريبة السلطة ودفعها إلى التصرف بحدية، كما اعترض على تحويل كلية الشريعة إلى جامعة زيتونية وهاجم صلاح الدين المستاوي في دعوته إلى تكوين لجنة إسلامية عالمية لتسيير الجامعة الزيتونية.

القسم الثاني:

وقد خصّصه المؤلف إلى الحديث عن نقلته من التعليم إلى وزارة الثقافة أولا ثم وزارة الداخلية ثانيا، إذ يذكر أن كاتب الدولة للتربية استدعاه بعد أن قرأ له مقالاته عن مادة التربية الإسلامية المنشورة في الصحافة كما اطلع على الرسالة التي توجه بها إليه ويقول أنس بأنه وجد في أحمد خالد رجل السياسة المثقف وهو ما سهل التعامل معه فأصبح بشكل سري مستشاره في المادة دون تكليف رسمي أو إعلان عن ذلك وهو ما ساعد على نشر إشاعة تقول بأن التجمع يرفض الشرفي عن طريق أحمد خالد، بتحول هذا الأخير إلى وزارة الثقافة جلب معه المؤلف إلى ديوانه وكلفه بمراقبة رصيد المكتبات العمومية لأنه في الفترة التي تولى فيها رئاسة ديوان البشير بن سلامة لاحظ أن منشورات حركة الاتجاه الإسلامي تسربت إلى المكتبات العمومية بأشكال مختلفة أتى على ذكرها في كتابه عن التطرف في تونس، ومنذ ذلك الوقت أصبح المؤلف الرقيب الرسمي للكتاب المورد والمطبوع في تونس لينقل بعدها إلى وزارة الداخلية، أما عن الأسباب التي أدت إلى تحويل الرقابة من وزارة الثقافة إلى وزارة الداخلية فتعود إلى شكوى رفعها أنس بصالح البكاري وزير الثقافة إلى رئيس الجمهورية أذن بعد النظر فيها إلى تحويل متعلقات الرقابة جميعها إلى الداخلية، وحتى في الموقع الجديد لم يسلم المؤلف من عداوات مجانية من وزير الداخلية علي الشاوش الذي رفض المؤلف تدخلاته للسماح بترويج كتب رأى الرقيب أنها تمثل خطورة يجب تلافيها، وفي سنة 1999 لمّا تغيرت سياسة الدولة من محاربة المتطرفين إلى محاولة المصالحة معهم باستدعاء الهاشمي الحامدي والتقرب من يوسف القرضاوي وتمكين صخر الماطري من جريدة الصباح التي فتحت صفحاتها للمتطرفين والإرهابيين أنهيت مهام أنس الشابي وحوّل إلى الوزارة الأولى مكلفا بمهمة في المجلس الإسلامي الأعلى حيث استغل المؤلف هذه الفترة في الإطلاع على الإرث الثقافي التونسي المنشور في المجلات والجرائد وهو ما مكنه فيما بعد من نشر عدد من الكتب من بينها تحقيق وجمع منشورات محمد الصالح المهيدي بجانب كتابات أخرى ذكرها في المقدمة، بعد أحداث سنة 2011 وبعد استلام حركة النهضة الحكم كان أول عمل قامت به هو إنهاء إلحاق المؤلف بافتعال رسالة مزورة باسمه ذكر تفاصيلها في الكتاب.

الذي يهمنا من كل ما ذكر أن هذا الكتاب يأتي على فترة من أهم الفترات التي عاشها الوطن في صراعه مع التطرف والإرهاب مستندا إلى جملة من الوثائق النادرة من بينها رسائل المؤلف إلى رئيس الجمهورية وبعض الوزراء لتكشف لنا طبيعة الذين حكموا البلاد، كتاب على غاية قصوى من الأهمية لأنه الأول من نوعه الذي يصدره رقيب إذ جرت العادة التي سارت عليها الدول العربية هي التستر التام على أسماء رقباء الكتب وتقاريرهم، الأكيد لدينا أن هذا الكتاب يحمل مادة تساعد على فهم أفضل لأسباب مواجهة السلطة لحركة النهضة وتخليها عن ذلك فيما بعد ودور النخبة فيما آلت إليه أوضاع البلاد ومسؤوليتها في ذلك.

المجموعة القصصية «خيال الموج» لهيام الفرشيشي... الواقع و الخيال و شيء من إغفاءات الذاكرة..

فردوس مرزوق

«خيال الموج» ملتقى الثنائيات المتضادّة :الحلم والحقيقة،الحقيقة والواقع،الواقع والخيال،الصورة وهي كذلك عزف من ألحان الثنائيات المتناغمة :البحر والموج والشمس والنور والنور والسماء المشرقة ، و الجبل وخضرته،و المطر وزخاته و الليل و غمغمات سكونه..

إطلالات قصصية سردية ببناء قصصي متكامل العناصر، ممتدة على تسع قصص قصيرة الصفحات، طويلة الإمتداد الذهني، ومتشابكة المفاهيم المطلة من نوافذ الوعي والإدراك.

عنوان مشفّر في ظاهره، كاشف لملامح مغزاه في باطنه، تتصدره صورة عائمة بين أطياف ماء هادئ على ضفاف الحقيقة وأخرى نائمة على وسادة خيالات الفكر الباطني ووشوشات الذاكرة الممزقة بين الموجود والمفقود والمنشود..

لطخات ألوان على وجه الحقيقة وعلى جبين الخيال سرُّها يكمن في إنسجامها الجمالي رغم إختلافها ..بعض الإختلافات والأضداد تُشغّل محرك الوعي بالأشياء و تجّرٌ عربة الإدراك إلى محطة الإبداع.

قصص فيها فيض من الأناقة اللغوية والأساليب السردية المتناغمة. بيئات جامدة وأخرى متحركة تتواتر فيها الأحداث حضورا وغيابا وتتنقل فيها الشخصيات القليلة العدد المتعددة الرمزيات بكل حنكة أدبية كرقعة شطرنج تتراقص فوقها قطع الشطرنج بكل هدوء.

ومن عمق الجبال والغابة والبحر وهمس الموج وهيجانه وخيالاته الساحرة يأتي الإبداع. ومن تراتيل السماء وعيون الشمس والنوافذ البلورية المطلة على الحياة يأتي الأمل، والأمل هو ما نريد و ما نريد ليس إلا المعاني المتخفية خلف الكوابيس والستائر الداكنة والراقصة بين طيات الموج.

أسلوب ليّن يقتحم قاموس مفرداتك الأكاديمية ويشكل بها لوحة فسيفسائية تستسيغها العين القارئة والذاكرة المتلقية لقارئ يبحث عن مزيج من السلاسة والجمالية اللغوية وعمق البناء القصصي وتشعب المعاني وتداخلها بين الصورة وظلها والمرآة وانعكاسها والشرفات وما تخفيه خلف ستائرها الحاجبة لنور البصر والبصيرة: «في شرفة تطل على الشاطئ، تترك روائح البحر في الحلق طعم الملح، ويردد هدير الموج الصاخب لحكايات منسية في أعماقه...»(طائر السماء:ص15).

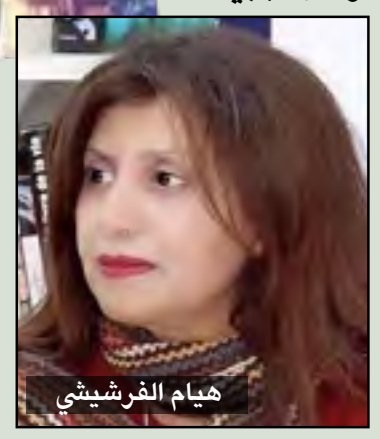
هيام الفرشيشي

إنها كاتبة بدرجة أولى محبة للماء المطهر لضجيج الذهن والروح «.. و تمدد وسط حوض المياه مغمضا عينيه حالما بالماء يهدهده والبخار يخضب مساماته...»(خيال الموج: ص 07) وللماء المنهمر من عيون السماء «...أتأمل تقلبات الموج وعبثه. زخات المطر تربت عليه برفق ليصغي إلى حكايات أخرى قادمة من سحب الرؤى ...»(كوابيس مبقعة بماء المطر: ص 38) وللماء المرتطم فوق الصخور الحالمة والمتخفي بين الصدفات المتلحفة لرمال البحر خوفا من برد الشتاء .

و من صوت الماء وصمت الموج وهمس الأصداف في آذان الرمل تمزق الكاتبة شرنقة الكوابيس وترفع الغبار عن ذاكرتها وتصنع حياة جديدة متيمة بحب الإدراك فتنقل الأحداث والأشياء من مملكة الخيال أو الكوابيس أو الذكريات إلى معركة الواقع والحقيقة على مساحة أدبية شبيهة بـرواق فنون تشكيلية كلما تنقلت بين اللوحات عدت على أعقابك بحثا عن أشياء تناديك من تجاويف وعيك الباطني «...الأمطار لم تنقطع، ترفع الغبار عن الكون، تعزف لحن الخلق المتواصل..هل كنت بصدد الحلم...» (كوابيس مبقعة بماء المطر: ص40).

الغابة والأشجار ورحيق الزعتر ودهاليز الأفاعي وألغام الكهوف ومسارب التهريب «... لقد هرّب إليه الدراويش السلاح والمال من الضفة الأخرى المفتوحة على البحر...»(غافية على ركبة الزمن :ص36) والفج والجبال والذاكرة المتورطة في تفاصيل الأحداث والحيرة بين ما صار وما دار في المخيلة المسكونة بشقشقات الخيال وواقع الإحتيال صنعت لذة القراءة وواسع الخيال.

كاتبة تتخلص من عمق كوابيسها وأحلامها بلحظة قرار تطلق فيها العنان للمخيلة الخصبة لرسم خطوط حياة جديدة فتارة تستنجد بمناظر طبيعية جميلة وأخرى تستنجد بحسها الداخلي الذي يلقي بصعقات الكوابيس خلف جدار الصمت ليتكلم الوجه الآخر من الذاكرة الباطنية و الوعي ويقظة الحس والإحساس»..الذاكرة البعيدة تستعيد صورا وأصواتا ووجوها آدمية وهلامية تجوب عبرها ذاتي منعطفات الماضي..»(خيال الموج: ص 17).

التوق إلى الخلق والإبداع والتجرد من الكوابيس الشريرة وهموم الواقع الشريد مغزى جميع هذه الأقصوصات المتكئة على وسادة الذاكرة القريبة والذاكرة البعيدة المدججة بأطياف الماضي الطفولي أو الماضي الغارق في تجاويف واقع زائف .

كاتبة تبحث عن كسر المستحيل المختفي بين ما يُرى و ما لا يُرى»..أتفرس المشهد من بلور الباب المنفتح على الشرفة التي أضحت واجهة لحلم لا يدرك المستحيل...» (طائر السماء:ص 21).

كاتبة تبعث فيك الضوء من الظلمة وتشد الأوتار بأنامل الحرفية الأدبية ليتسلل من أنين الواقع لحن رباني يسكب الأمل زلالا في الأرواح الخاوية: «في لحظات اليقظة صباحا والكوابيس تتخفى في نتوءات واقع خانق، وحين كان المبدع العظيم يرفع الستائر الداكنة ويبدع الضوء ويسكب النغم في تراتيل المطر، وهو يهدهد الموج ليروي له حكايات قديمة على إيقاعات زخات ناعمة، أومتدفقة صاخبة، كانت روحي تنصت إلى معزوفة كونها...» (كوابيس مبقعة بماء المطر:ص 37) .

وبين زرقة السماء (وضوح الرؤيا) و اللون الرمادي(تداخل الحقيقة بالخيال)نقطة فاصلة ومساحة دقيقة تخطفها العين و ترمي فيها وهج البصر كسهم نقر هدفه.لحظة إدراكية عاجلة تخطفها ذبذبات الوعي من عنكبوت الكابوس أو الحلم أو الذكرى النائمة في شرنقة الذاكرة البعيدة»..يطير «الساف» في الفضاء،وقد أخذ من لون السماء زرقة الإمتداد واللون الرمادي حين تكون حبلى بالغيوم وينأى إلى نقطة عبثية ترسمها العين في مكان وهمي...» (طائر السماء:ص 18) .

تلاطخ أمواج الواقع على محك الذاكرة التي تجتاحها الإغفاءات وتتربص بها الكوابيس.

شخصيات محدودة العدد وأحداث متعددة الرمزيات تجمعت في مخيلة كاتبة أرهقها الواقع بكل ما شهده من أحداث غريبة.

فتاة رشيقة القوام عالية المقام «حاميها حراميها» «...و قال إنه أعلم الشرطة عن السائق ومرافقه بعدما أخبره أحد موظفي الأمن الشخصي بأنهما اتفقا مع عدوه لإغراقها بعدما أغراهما بمبلغ ضخم إنتقاما منه...»(خيال الموج:ص13).

طائر الساف المحلق في حضن السماء يغرس مخالبه في جسد فرنسي يبتز كنوز بحارنا. مدافن آثارنا ويترصد بخرائطه مناطق العبور ومنافذنا البحرية باحثا عن المجهول في ذاكرتنا كما قال «... اقتربت منه، وسألته عن سبب الاهتمام بتاريخنا، فرد بمكر:»قد أبحث عن المجهول في ذاكرتكم، كما يبحث بعض سكان بلدكم عن جرار من الذهب في الجدران المتصدعة في هذا الأثر الذي كانت له أعين تترصد القادمين من منافذ البحر..»(طائر السماء: ص 16).

تجار السلاح في إنسجام مع تجار الدين،مساكن يريد أصحاب العمامات واللحي والجلابيب، التي ترش الأرض نفاقا، تطهيرها من أرواح الشياطين، تورق فيها ضلال الكمين وألاعيب الغادرين ولعبة الصورة وظلها ترهق الذاكرة وترمي بها في وعاء الذهول بأسلوب سردي سلس ورقيق : «كان الكمين قد أعد له بإحكام، آداة الجريمة دلت على الجاني الذي كان يمارس طقوسه السادية وقد اشتعلت عيناه كمعتوه، لكن الضحية أبت أن تكون قربانا فانسكب الحبر على الساحر، وكتب الصحف عن أطوار قضية تاجر السلاح وصاحب العمامة...»(صاحب العمامة: ص 57).

وشرور البشر طالت وجه الطبيعة كذلك و داست على كرامة المنظومة البيئية كلها بحيواناتها و نباتها وجمادها»...قطعان الغنم و البقر والماعز أعدمت،حتى خنازير الغابة وضباعها التي كانت تعيش هناك متخفية عن شرور البشر،فلم تنل غير الموت حرقا.. «(شياطين الغابة :ص67).

غابة اكتسحتها ألسنة النار وأصبحت عارية من وشاح خضرتها و من خوار أبقارها ومن هديل حمامها ومن دغدغة الخرفان لأنثاها. «...كل ما سخره الإلاه لهم حرق...» (شياطين الغابة:ص67). ومسؤول يركب ظهر دابة و يُحسن الركوب على الأحداث ربما الغابة المحروقة تأتي له معها بمنصب جديد»....نائب الجهة يركب على دابة في اتجاه الغابة المستعرة ويلتفت للمصورين..»(شياطين الغابة :ص75).

مناطق منسية اكتوت بنار التهميش قبل إحتراقها بنار شياطين الغابة «...رئيس الحكومة يمضي إلى مكان الحريق،يلتقي متضررين لسعهم التهميش كما النار..»(شياطين الغابة :ص75). وزعماء يتاجرون بدم الرعاة بحثا عن زعامة كبرى تغذي أرواحهم الشيطانية»»..... طفق يلومه لأنه يتاجر بدم الرعاة ليفوز في الانتخابات.،...») أهازيج ناي جنائزي :ص82).

النار و ضوءها وحرارتها وفحمها الذي يوقد قلوب صناع الحياة في الغابة قبل مشاوي السمك الطازج واللحم الطري لأصحاب البطون المتعفنة بما التهمته من أنين الكادحين. «...ووعدوا أصحاب المشاوي بالفحم العطر الذي يغري المسافرين في الطرق السيارة.كما وعدوا الصيادين الذين يبيعون السمك المشوي في الشواطئ الصخرية بكميات كبيرة من الفحم في إنتظارهم وبأسعار معقولة...» (شياطين الغابة:ص74).

إرهاب وترهيب وإستباحة دماء الأبرياء و جبال خلعوا عنها تيجان الزعتر وعلقوا فوق قممها أكفان الأبرياء «...اقتادوه كالخروف،ومرروا السكين على عنقه ليسيل لون اللهب في لوحة الشمس عند المغيب،...» (أهازيج ناي جنائزي:ص79).

إرهاب فكري تقوده خفافيش الظلام ووطاويط الظلامية .خفافيش من جنس البشر و من أبناء الوطن»...كنت أغفو على أسئلة كثيرة وجهها الصحفيون إلى المحقق الذي قال بأن الخفاش الضخم لم يأت من خارج المدينة..»: (للخفاش أثر : ص93) ، ترهب حرية التعبير بأنياب حديدية وتقضم أقلام الصدق و التنوير بأظافر التصفية وتحاول تكميم أفواه المبدعين بلغة التهديد والجمر لعلهم يتكتمون على تفاصيل واقع تفشت فيه أوبئة الأخلاق والأجساد ومغريات الحياة وتكاثرت فيه مصبات العمالة والفساد إرضاء لخنازير اللوبيات وعشاق الرأسمالية والفوضى والضبابية».... يجمعها أحد الشبان الذين يسكرون وهو عامل بمطبعة كتب وصحف ومجلات،ينقل النصوص والمقالات إلى الرجل الخفاش قبل نشرها ويتسلم منه رسائل التهديد السرية محاولا أن يمحو بها رغباتهم في الكتابة.فيطبع ما كتب فيها بحبر عصير الليمون السري ويلقيها تحت أبواب أصحاب الأقلام المهددة في المدينة.. «. (للخفاش أثر:ص91).

الواقع و أهواله والكوابيس وتعبها الذهني وإغفاءات الـــذاكرة الممزقة بين صورتين متداخلتين والحنكة الأدبية في تجميع ما لا يجمع و بعثرة ما يلتقطه العقل الظاهر من العقل الباطن أو العقل الباطن من العقل الظاهر ميزة هذه المجموعة القصصية. ويصل التداخل بين منطقة الوضوح والغموض إلى مرحلة الالتباس والإستفهام حيث يستعصي على الذاكرة أن تحدد الحد الفاصل بين الصورة وخلفيتها وتتجرّح ملامح المشهد إلى حد إختفاء تقاسيمه مما يرهق الملكة الذهنية ويجعلها تبحث عن الطريق السريع لتتحرر من لحظة غموض وارتباك الصورة «..وغادر نحو الشاطئ رفقة كلبه ليقوم بتمارين بدنية،ويحرر ذهنه من صورة المرأة التي راودته في العتمة دون أن يدرك ملامحها...» (خيال الموج: ص 09).

النار جمرا يحترق ليحرق وفي جمره إضاءة تعكس بريقها على بقايا جثث متفحمة.صورة ثنائية الأبعاد و متداخلة المفاهيم تعبث بأدغال الذهن والفهم وتضرب بسياط تشابك الصورتين مفهومي الخدعة والخديعة الذهنية «...النار لا تحرق بل تضيء.،قال السيد «تومي»عندما تجول بين أنحاء الغابة، تلتهم الشجر لتصنع منه طاقة ضوئية وحرارية،لا يكفي أن ترقص أغصانها وتنشر ظلالها كشخوص تخدع البصر،لا بد أن يلتهب شوق القلب على أنين الشموع،الشجر ينمو ليمدنا بزيت النور...». (شياطين الغابة:ص 74).

رعاة يرقصون على وقع طبول وأهازيج مهرجان يتأرجح بين ضفتي الموت والحياة. جبل مفخخ وطبول تُقرع على أبواب الفرحة وألغام تُفجر تحت نعال الأبرياء»...كان عليّ أن أواكب عروض مهرجان الرعاة في المنطقة الجبلية الملغمة،...») أهازيج ناي جنائزي:ص79: (هكـــذا يتلاقى عطر الحياة ورائحة الموت بين صورتين متضادتين تكتسحان مخيلة الكاتبة في لحظة إغفاءة ذهنية مكبلة بالكوابيس»...تطوي بنا السيارة طريق العودة ليلا حيث يطوق الظلال الطرق الملتوية...و كانت صورة الراعي الذي يعزف على ناي متآكل تلاحق إغفاءتي التي تتربص بها الكوابيس...» «(أهازيج ناي جنائزي:ص85) .

«خيال الموج»...هي رحلة ما هو واقعي وما هو خيالي يتأرجح بين الغرابة والأساطير في بعض المواقف التي تسردها الكاتبة. أحداث واقعية تتنازع مع ومضات من الأحلام والكوابيس في لحظات إغفاء الذاكرة واسترخائها بحثا عن معول يهدم صناديق الخيالات الخادعة التي تدنس صفو الذاكرة : «لقد أفاق من شريط حلم متقطع كقصة خادعة..» (خيال الموج:ص14).

هي هرب من وإلى متاهة الذات بحثا عن المجهول الساكن فينا رغم وضوح تقاسيمنا الحسية: «وكل ما كانت تعيه في تلك اللحظات أن رحلة ولوج الفج هي رحلة الهرب إلى متاهة الذات...» (غاقية على ركبة الزمن:ص33).

مجموعة قصصية فيها من الإنصهار في عمق المجتمع والتشبع بمكونات ثقافته البدائية ما يجعل الكاتبة تتحكم بكل إنسجام في كل ما تذكره من تراث أسطوري أو غنائي وتصنع منه مشهدا فنيا رائعا رغم قتامته: «يشير أحدهم إلى أم الراعي الشهيد وقد تحلقت حولها النسوة في خيمة، تترنم بصوت طاعن في الحزن:...يا عيني نوحي و يا غلالة رني، ترصف خيوط الصوف يالخلالة، وتنبعث منها آهات وهي تشتم إبنة الأبالسة التي تراءت لإبنها كجنية». (أهازيج ناي جنائزي :ص83).

وفيها من التشبع بالفنون وخاصة التشكيلية منها شذرات رائعة تضيف للأقصوصات جانبا من الكبرياء الإبداعية حيث تعود بنا الكاتبة إلى أحد مشاهير الرسامين «....لمع إسمها في ذهني كلوحة الكابوس للفنان»يوهان هنريخ فوسيلي «الذي رسمها في أواخر القرن الثامن عشر...» (رفائيل يسرد قصة قديمة ص60).

وخلف بقايا الأحلام و الكوابيس المربكة للذات الإنسانية تسكن روحا إبداعية تؤمن بأن خلف الستائر الداكنة نوافذ تفتح على أفق ممتد بين الأمل و التطلع لبناء واقع جديد يرسم تقاسيمه كل ذات مبدعة: «ولكنني سرعان ما استيقظت على بقايا حلم..أنهض من فراشي و أفتح النافذة..». (للخفاش أثر:ص93).

والذات المبدعة تستقي زخات إبداعها من عمق الطبيعة و من آلام المجتمع: «أشرقت الشمس لاسعة بينما بقيت قطرات المطر تبلل الشجر و تسترسل على بلور النافذة..أمسحها بالمنديل، وأتوه مع صور الأحلام المتلاحقة التي انبرت في غفوتي....»(كوابيس مبقعة بماء المطر: ص42) «....كنت أبحث عن فضاء لقصة جديدة. ولم آت لهذه المدينة النائمة إلا باحثة عن سر غامض....»(رافائيل يسرد قصة قديمة: ص66).

«أم النعوش» لنجوى الدوزي بين الخرافة والواقع

شفيع بالزين

عندما أطلعتنا الشاعرة نجوى الدوزي على روايتها «أم النعوش» مرقونا في طور المراجعة والتنقيح ظننا أن الأمر لا يعدو أن يكون «نزوة» شاعرة هاربة من ضرورات الشعر إلى رحابة الرواية مدفوعة بالإحساس بأن العصر هو عصر الرواية لا الشعر فلم لا تجرب حظها من السرد كما جربت حظها من الشعر؟

غير أن هذا الظن زال ما إن شرعنا في قراءة الرواية فقد استبد بنا عالمها التخييلي المدهش والمتماسك وتلاعبت بنا أفانين السرد وتقنيات القص حتى كدنا نتماهى مع شخصياتها ووقائعها ونقع في الوهم المرجعي الذي يقترن بالقارئ الساذج وننسى أنه من المفترض أن نكون من نوع القارئ «الحساس» أي الناقد المدرك لتقنيات القص والواعي بطبيعة الرواية التخييلية التي طلبت منا صاحبتها أن نكتب لها تقديما. حينئذ أدركنا صعوبة المهمة التي أوكلت إلينا فما عاد يكفي- في مواجهة عملٍ مُؤلَّفٍ بهذا الإتقان والانسجام- أن نكتفي بتلخيص المحتوى وبيان مقوماته الفنية واستخلاص دلالاته بل صار مطلوبا منا أن نبحث عن أسرار اللعبة السردية لنعثر على المدخل الأساسي الذي منه ننفذ إلى عالم الرواية ونمسك بالخيط الناظم لبنيتها ودلالتها. فما الرواية عندنا في النهاية سوى لعبة سردية يمارسها الكاتب بإتقان وتفنن ويستخدم مواهبه الفنية وأدواته السردية في ممارستها وإخفائها في آن واحد.

وإذا كان الروائي حريصا في الغالب على إخفاء هذه اللعبة وعاملا على شد انتباه القارئ إلى المحكي لا إلى الحكي بدفعه إلى الاندماج في عالم الحكاية وتناسي لعبة الحكي- وقد يصل تخفي المؤلف أو الراوي حدا يبدو فيه السرد موضوعيا وكأن الحكاية تروي نفسها بنفسها- فإن ما يزيد في أهمية هذه اللعبة وطرافتها أن الإبداع تطور في اتجاه كشف اللعبة بدل إخفائها بواسطة جملة من التقنيات السردية كحضور الراوي ومخاطبته المرويَّ له أو القارئَ وأشكال الميتا سرد التي يتحول فيها الخطاب السردي موضوعا لذاته يتأمل فيه السارد سرده بل يتواصل فيه مع القارئ والشخصيات والمؤلف محدثا بذلك ضربا من التغريب أو التبعيد الذي يبدد وهم الواقع ويحث القارئ على إيجاد مسافة بينه وبين المحكي واتخاذ موقف نقدي من المسرود ورواية «أم النعوش» وإن لم تستخدم هذه التقنية فإنها اختارت لعبة شبيهة بها وبديلا عنها لكنها أكثر إقناعا وانسجاما مع الرواية والحكاية معا وهي الحوارات الذاتية أو الباطنية التي أجرتها الكاتبة بين أنا الشخصية الواعي أو عقلها الواعي وأناها اللاواعي أو عقلها الباطن.

وإذا كانت الكاتبة قد نأت بروايتها عن لعبة الرواية

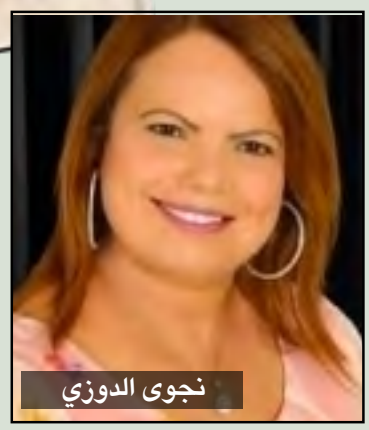
نجوى الدوزي

والميتا رواية أو «الرواية الواصفة» فلأنها اختارت أن تمارس لعبتها السردية أساسا في إطار العلاقة الملتبسة بين الواقع والتخييل أو بعبارة أدق بين الواقع والخرافة . ولئن مارست الكاتبة لعبة الخرافة والواقع بإتقان وتفنن في مستويات عديدة فإنه بالإمكان اختصارا لهذا التقديم أن نرصد هذه اللعبة أو الجدلية في المظاهر والمستويات التالية: العنوان الذي يحيل على خرافة متداولة في الموروث الحكائي الشعبي التونسي والتصدير الذي جعلت مداره على الخرافة باقتباس فقرة لمريم الناصري تتحدث فيها عن «طائر الموت أو «أم النعوش» في الموروث الشعبي التونسي»، والبدايات التي هي عتبة أخرى ابتدعتها الكاتبة وحددت فيها بعض مقومات الرواية لتساعد القارئ على قراءة الرواية وهي تقوم مثل بقية المكونات والمستويات على جدلية الخرافة والواقع عبر المزج بين الواقعية الاجتماعية والواقعية السحرية، إضافة إلى الإحالة على الحكاية العجيبة من جهة والركح داخل الركح في المسرح البريختي من جهة أخرى. وأما المتن السردي فإن كان يتحرك في إطار الواقع- واقع المجتمع التونسي المعاصر شخصيات ووقائع وأطرا فإن الخرافة، خرافة أم النعوش أساسا، تتقاطع مع هذا الإطار وتحضر في مواضع متعددة من هذا المتن وبأشكال مختلفة.

إن جدلية الخرافة والواقع ظلت تتجاذب المتن السردي من خلال تواصل حضور خرافة «أم النعوش» تتجاوزها الأحداث الواقعية وتكاد تطمرها في قاع الذاكرة أو اللاوعي وربما يتناساها «الراوي» أو الشخصية (دليلة) وينشغلان بتشابك الأحداث وتقاطع مسارات الشخصيات لكنها مع ذلك تعاود الظهور وتطفو على سطح الأحداث أو تقفز من الذاكرة أو اللاوعي إلى الوعي. وهناك ثلاثة عوامل أساسية ومتضافرة جعلت حضور الخرافة قويا ومتكررا وهي:

- العامل الثقافي المتمثل في تغلغل الخرافة داخل الموروث الشعبي التونسي وحضوره القوي في اللاوعي الجمعي. فالعمة عائشة لا تفتأ تروي قصة «أم النعوش» دون أن تستطيع التخلص منها. وقد أدركت الراوية حياة (رمز الجيل الجديد) هذا التمثل الشعبي الساذج للموروث الخرافي والحرص على المحافظة عليه وتلقينه للأجيال الجديدة. وأما الأم دليلة- الشخصية الرئيسية- فهي أكثر الشخصيات تشبعا بهذه الخرافة وتأثرا بها. فتقول:»طائر «النعوشة» أو «أمّ النّعوش» حقيقة لا جدال فيها» وتقول: «أشعر أنّ «أمّ النّعوش» هذه حقيقة حاضرة تلازمني بقوّة... تلزم الصّمت أحيانا وتنعق أحيانا أخرى». وحتى حياة التي ترمز إلى الجيل الجديد المتحرر من الثقافة التقليدية والموروث الشعبي الخرافي، ورغم أنها تنظر إلى هذه المرويات الخرافية نظرة عقلانية نقدية تراوح بين الإنكار والتهكم وتفهم عنف التربية التقليديّة، فإنها لم تكن بمنأى عن تأثير الخرافة باعتبارها مكونا ثقافيا منغرسا في تكوينها النفسي ولا وعيها الفكري.

- العامل النفسي المتمثل في تسرب هذه الحكاية وتغلغلها داخل لاوعي البطلة دليلة وتأثيرها القوي في ما عاشته طيلة الرواية من كوابيس ومعاناة ومخاوف جعلت صورة الموت مخيمة على عالمها النفسي وعلى تعاملها مع الوقائع والأشخاص. تقول: «لست أدري لماذا ترسّبت هذه الحكاية في أعماق ذاتي... أشعر أنّها تسطّر تفاصيل حياتي ماضيا و حاضرا و مستقبلا».

- العامل الواقعي: إن ما جعل خرافة «أم النعوش» تعود بقوة إلى مسرح أحداث الرواية هو كذلك تصاعد ظاهرة التطرف والإرهاب في فترة ما بعد الثورة وبالتالي عودة صورة الموت والقتل والرعب. إن الكاتبة تتخذ من خرافة «أم النعوش» معادلا رمزيا لواقع الموت والقتل الذي خيم على البلاد التونسية ما بعد الثورة بسب انتشار ظاهرة الإرهاب والتطرف والاغتيالات البشعة.

ثم إن علاقة المتن السردي بالمبنى السردي هي في نظرنا المجال الأساسي الذي تتجلى فيه لعبة الخرافة والواقع. فلم يخف عنا اشتغال الكاتبة على هذا المستوى من الرواية اشتغالا ظهرت فيه مهارة «حرفية» عجيبة رغم حداثة عهدها بالكتابة الروائية. فبينما تسخّر في مستوى المتن المحكي مختلف التقنيات السردية من أجل خلق «الوهم المرجعي» ودفع القارئ «الساذج» إلى التماهي مع العالم التخييلي شخصيات ووقائع وأطرا مكانية وزمانية كانت تعمل في الآن نفسه على نزع هذا الوهم المرجعي- خرافة الرواية الواقعية أو تمثيل الواقع- بالنسبة إلى القارئ «الحساس» وكشف أسرار اللعبة السردية وإحداث التبعيد باعتباره مسافة ضرورية لتملك إدراك مصاحب بأن العالم المرجعي

الواقعي أو التاريخي الذي تشكله الرواية ليس إلا وهما تخييليا أو لعبة سردية تمارسها الكاتبة بإتقان ومهارة. ففي مستوى الخرافة- خرافة الواقع ينشأ الوهم المرجعي بواسطة جملة من التقنيات السردية والمكونات الروائية التي يدهشنا استيعاب الكاتبة لها وتوظيفها توظيفا متقنا على قلة خبرتها بالكتابة الروائية، لعل أبرزها السرد الذاتي بضمير المتكلم الذي يجعل السرد الروائي التخييلي يأخذ شكل السرد السير ذاتي الاسترجاعي أو التذكري حيث تسرد أغلب الشخصيات (دليلة- حياة...) الأحداث من منظورها الذاتي وتسترجع عبر التذكر أو السرد اللاحق مراحل من حياتها وسيرتها ترتد غالبا إلى طور الطفولة. ولهذا المنظور السردي دور فعال في تقوية الوهم المرجعي ودفع القارئ إلى التماهي مع الشخصية التخييلية بوصفها شخصية مرجعية متناسيا أن الواقع الذي تحيل عليه والمرجع الذي تشكله والشخصيات التي تحيا وتتحدث عن حياتها ليست كلها إلا «وهما» و«خرافة» ولا حقيقة سوى حقيقة الرواية والتخييل، فكان لا بد من إخفاء خرافة الواقع (أي واقع الرواية) وتثبيت واقع الخرافة (أي رواية الواقع). وما يقوي تماهي القارئ مع خرافة الواقع السرد الوقائعي وثراء المراجع التي تحيل إليها الرواية. فبالإضافة إلى تفاصيل المعلومات المتعلقة بالشخصيات بما يمنحها ملامح وهويات هي أقرب إلى الهويات المرجعية الواقعية منها إلى الهويات السردية التخييلية، تتميز الرواية بثراء المعلومات المرجعية والتاريخية والفولكلورية وغزارة النصوص المضمنة والمادة الثقافية الموظفة بما يحوّل الرواية إلى «موسوعة» حقيقية أو نص ثقافي زاخر بالحياة ومضمخ بالتاريخ والتراث يؤرخ للمجتمع التونسي في العصر الحديث ويتتبع تعاقب أجياله والتحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي طرأت عليه بل تتحول الرواية إلى فضاء ثقافي غني بالموروث الثقافي التونسي الشعبي أو الفولكلوري من خرافات وحكايات شعبية وأساطير وعادات وتقاليد ومواسم وأعياد وأطعمة وملابس وصناعات تقليدية وأغان وأشعار وأمثال شعبية...الخ.

غير أن كل ما بيناه في هذا المستوى من الرواية- على قيمته الجمالية والمرجعية- لا يجعل وحده الرواية في نظرنا منجزا سرديا تتفرد به الكاتبة نجوى الدوزي وتتميز به عن غيرها من الروايات، فأغلب الروايات تبنى على خلق هذا الوهم المرجعي. إن ما يميز هذه الرواية هو ممارستها للعبة الخرافة والواقع بطريقة مزدوجة: طريقة مخفية فتبرز إلى الواجهة خرافة الواقع وتدفع إلى الخلفية واقع الخرافة، وطريقة مكشوفة حيث تنقلب اللعبة فتبرز إلى الواجهة واقع الخرافة وتدفع إلى الخلف خرافة الواقع، وبعبارة أخرى نستعيرها بتصرف من رينيه جيرار تنقل الكاتبة القراءة من «الكذبة» الواقعية (المرجعية) إلى «الحقيقة» الروائية (التخييلية). ويتجسم أبرز مظاهر التغريب وتعرية لعبة السرد في الحوارات بين الشخصية-الساردة دليلة وبين ذاتها وهي حوارات رمزية تجري بين وعي البطلة-الساردة ولا وعيها، أو بين عقلها الواعي وعقلها الباطن. وهو ما يعني انفصام الشخصية مرضيا إلى شخصيتين نتيجة الصدمة: الوعي الغائب /القرين واللاوعي الرافض للواقع غير المعترف به. ويعني المستوى الأول للسرد بين «الأنا» و«الأنت» كأن سرد الأحداث يتمّ في إطار التعافي التدريجي بعملية نفسيّة معقّدة يخاطب فيها وعي الشخصية المجسّد في شخصيّة القرين لا وعيها بتذكّر الواقع والوقائع. ويحدث في علم النّفس أن ترفض الشخصيّة المريضة واقعها فتتعرّض إلى نوع من الانفصام فيختلق عقلها شخصيّة أخرى لا تراها إلا هي تحادثها وتتفاعل معها وهو نوع من الهلوسة البصرية والسمعيّة. وهذا ما حدث مع دليلة بعد موت ابنيها في يوم واحد. وبالتالي فإن الرواية كلها تتنزّل في إطار حديثها مع قرينها الوهميّ (صوت وعيها المنفصم) الذي ظلّ يحاورها ويذكّرها طيلة الرواية حتى ينجح أخيرا في جعلها تعترف بالحقيقة وتواجهها وهو ما يعني الشفاء، شفاء الأمّ/الوطن أو الأم والوطن معا. ثم إن القارئ حين يجد نفسه إزاء شخصية ساردة انفصامية سيجعله ذلك قارئا حذرا يأخذ مسافة من الساردة ويعاملها على أنها ساردة «غير موثوق فيها» فيتجاوز وضع القارئ السلبي الساذج عندما يدرك أن المحكي وإن كان موهما بالطابع الواقعي والمرجعي والتاريخي فإنه يصدر في النهاية عن ساردة تعاني من اضطرابات نفسية وانشطار أو انفصام حاد بين وعيها ولا وعيها أو بين عقلها الواعي وعقلها الباطن، وسيعي بأن عالم الرواية وإن كان يبدو له عالما واقعيا حقيقيا أو تاريخيا قابلا للتصديق والتماهي فإنه قد لا يعدو أن يكون تخيلا أو نتاجا لأوهام الشخصية وخيالاتها الذاتية. ولعل تمازج الواقع والخرافة، أو السرود والحوارات أو الوعي واللاوعي أو الشخص والقرين... الخ، من هذا المنظور ليس فحسب دالا أو ناجما عن تغلغل الخرافة في المجتمع والثقافة الشعبية أو تحول الواقع لفظاعته إلى عالم خرافي وإنما هو قبل كل شيء اختيار فني يقوم على مزج الواقعية والسحرية. والكاتبة لا تكتفي بذلك بل تستخدم في بناء هذا الشكل الروائي المتفرد شكل الكتابة المسرحية الذي أرساه بريخت أي المسرح التغريبي حيث أقامت الرواية على نمط المسرح البريختي على «ركحين باعتماد تقنية التّضمين: ركح ما قبل-سرديّ أو ميتا-سرديّ : تتحادث فيه ال» أنا « مع ال « أنت»... ويمثّل هذا المستوى الأوّل من السّرد الإطار المحتوي الذي يستدعي ويتضمّن أحداث المستوى الثّاني وشخوصه وركح رئيسيّ في المنجز السّردي اعتمدت فيه شكلا بوليفونيّا بتعدّد الأصوات وتنويع الرّواة و الرّؤى سردا و فكرا وذلك من خلال جعل الشّخصيّات تتولّى فعل الحكي في أغلب الفصول [...] وهذا التّوزيع الثّنائيّ الأفقي لفضاء الرّواية إلى ركحيْن مرئيّيْن يعضده توزيع ثنائيّ عموديّ إلى ركحين غير مرئيّين وهما السّطح و العمق أي الظاهر و الباطن». وهذا المعمار الفني كله لا يمكن أن يدركه القارئ الساذج أو على الأقل لا يسهل عليه عملية التماهي مع الشخصيات التي لا تعدو أن تكون «رموزا تُقرأُ» ويهدد بتقويض الوهم المرجعي.

خلاصة القول في هذا التقديم أن «أم النعوش» رواية متقنة الصنع عجيبة السبك بقدر ما تعمل على بناء خرافة- بدلالتها الحرفية والواقعية والرمزية- وتشييد الوهم المرجعي وإرضاء القارئ الساذج المتماهي تعمل في الآن ذاته على هدم الخرافة بدلالاتها المختلفة وتبديد الوهم المرجعي وإرضاء القارئ الحساس الناقد المفكر. وبقدر ما تمعن في تقوية صلة السرد بمراجع واقعية وتاريخية وثقافية وإحكام الترابط والتداخل بين سِيَر الشخوص وتاريخ المجتمع وذاكرة الثقافة، تنزع نحو كسر السرد الخطي الوقائعي والتنويع في الرؤي والأصوات السردية والمزج بين الواقع والخرافة أو بين الواقعية والسحرية محققة بذلك تأليفا عجيبا بين الاتجاهات الروائية (الواقعية والسحرية) وبين الفنون (السرد- الشعر- الغناء- المسرح...) وبين الثقافات (العالمة والشعبية) وبين الأجيال المتعاقبة التي تمثل تاريخ البلاد التونسية وترصد من خلالها التحولات التي شهدها المجتمع الحديث والمعاصر. ولا شك أن للرواية مفاتيح قراءة أخرى، غير أنني أعتقد مع ذلك أن جدلية الخرافة والواقع في نظري مفتاح أساسي من مفاتيح الرواية لا يمكن تجاهله دون الإخلال بمعمار الرواية. وقد يذهب القراء مذاهب شتى في تأويل هذه اللعبة واستنطاق دلالاتها: فيجد فيها بعضهم ما يدل على حضور الخرافة وتغلغلها العميق في مجتمعنا وثقافتنا يكل شرائحه وبأشكال مختلفة وقد آن الأوان كما تذهب إلى ذلك الرواية أن يتحرر المجتمع من هذه الثقافة الخرافية ويبني إنسانا حديثا ذا ثقافة عقلانية تنويرية. وقد يذهب البعض الآخر إلى أن هذه اللعبة ما هي إلا تعبير عن الصراع الجدلي بين الحياة والموت بما أن الخرافة الأساسية في الرواية- وهي خرافة «أم النعوش»- ترسّخ ثقافة الموت والعنف والتشاؤم وقد آن الأوان للتخلص من ثقافة الموت وزرع ثقافة الحياة والأمل وفق خطاب الرواية نفسها. وقد يذهب البعض الآخر كذلك إلى أن تداخل الخرافة والواقع أمر طبيعي في كل مجتمع وكل زمان فلكل مجتمع وعصر خرافاته ومعتقداته، ولئن تراجع الموروث الخرافي الذي كان جزءا لا يتجزأ من المجتمع وثقافته التقليدية فإن للمجتمع المعاصر كذلك خرافاته الجديدة والمكبلة بل المدمرة ولعل من أبرزها وأخطرها غربا خرافة النظام الرأسمالي العالمي (العولمة) باعتباره نهاية التاريخ ومنتهى التطور الحضاري والإنساني (فوكومايا) وشرقا خرافة الإسلام السياسي أو أسطورة الدولة أو الخلافة الإسلامية (داعش) وما خلفته من إرهاب وتطرف ودمار شامل. للقارئ أن يذهب إلى ذلك وإلى غيره من التأويلات غير أننا لم نشأ أن نتورط في متاهات التأويل بل حرصنا على أن نقصر النظر على المعمار الفني الذي كان مدار لعبة الخرافة والواقع. فما قصدنا بيانه أن هذه اللعبة هي صورة من صور صنعة الرواية وآية من آياتها الفنية المبهرة. تطل على القراء «أم النعوش» رواية مدهشة ومربكة ومعمارا فنيا شامخا- على ما فيه من هنات مثل المراوحة بين الراوي الداخلي والراوي الغفل وتعدد الساردين بغير مبرر مقنع مع المحافظة على لغة سردية واحدة واصطناع حوار بين وعي الشخصية-الرواية ولا وعيها وغيرها من الهنات التي لا تنقص من قيمة العمل الفنية، تطل الرواية كما قلنا لتنزع عن القراء طمأنينة التماهي وتبدد فيهم الوهم المرجعي فتستجيب لانتظاراتهم بقدر ما تربك ألفتهم. وهي بذلك تعلن عن ولادة روائية واعدة ومبشرة بإبداعات سردية قادمة. وهي تثبت مجددا أن الشعراء لا يكتبون روايات عادية وأن شعرية الرواية تتحقق غالبا في روايات يبدعها الشعراء حين يتحولون إلى روائيين. ولنا في روايات أحلام مستغانمي دليل معروف ولنا في رواية نجوى الدوزي هذه دليل جديد. فهنيئا للمكتبة الروائية التونسية بل العربية بهذا المنجز السردي الجديد وهنيئا للشاعرة نجوى الدوزي بميلاد روائية من رحم الشاعرة.

في الدورة 38 لمعرض تونس لِلكتاب:

عندما يتحدّث الذّكَر؟

ربيعة ابن لطيفة - أستاذة جامعيّة

تقدّم دار علّيسة للنشر والتوزيع للكاتب توفيق الذكر تجربته الأولى في نشر القصّة القصيرة والأقصوصة...الذي رغم تخصّصه في الإنعاش والتبنيج فلم يخفي ولعه بالكتابة وقد نشر منذ سنة 2017 مجموعة من المؤلّفات قريبة من مجال تخصّصه...أمّا ولعه بالسرد فقد تجسّد من خلال مجموعة من القصص القصيرة نشرها عبر مواقع التواصل الاجتماعي ولاقت استحسان القرّاء وزاد نهمهم لقراءة كتاباته ورغم نشر مجموعة من قصصه في العديد من المجلّات إلاّ أنّ ضرورة نشر وتجميع هذه القصص في مؤلّف بات طلبا ملحّا...

يقدّم لنا توفيق الذكر مجموعته القصصيّة الموسومة ب «قال الذكر: نلتقي يوم السبت» متضمّنة لعصارة تجربته التي تفنّن خلالها في تشكيل إبداعه بطرق مختلفة، فهو يعتمد في بعض نصوصه السرد الخطّي المتعاقب فتنساب الأحداث دون تكسير النسق التصاعدي زمنيّا. وفي نصوص أخرى تجده يتلاعب بالزمن مستبقا أو مستشرفا أو مراوحا بين هذا وذاك. كما تميّز أسلوب القصّ لديه بالتصوير الاجتماعي الجاد الذي يرصد تفاصيل الواقع بعين ثاقبة وذهن ساهر على نقل التفاصيل بأسلوب وصفي مميّز، وبالتالي فإنّ أغلب القصص التي نشرها الكاتب واطّلعنا على أسلوبه فيها... تظهر دقّة في نقل تفاصيل المعيش اليومي حسب ما لاحظه وعايشه واختزنه من ذاكرة فرديّة متشبّعة بعادات وتقاليد ونمط عيش الجنوب التونسي مسقط رأس الكاتب...حتّى أنّه يختار أسماء شخوصه وأماكن تواجدهم من هذه البيئة التي تملأ كيانه رغم غربته الجسديّة بحكم عمله خارج أرض الوطن... بالإضافة إلى ولعه بالمدرسة الواقعيّة فإنّ اختيار المواضيع لدى الكاتب توفيق الذكر يفوّق ويعطي الأولويّة للراهن والآني ، فقد كانت أغلب قصصه معايشة لأحداث سياسيّة واجتماعيّة وقضايا انسانيّة وكونيّة...فتحرّكه الأحداث ليحرّك شخوص قصصه فتبدو وكأنّها حقيقيّة وتعيش معنا.

توفيق الذكر

لقد كتب بالتزامن مع تنظيم قطر لكأس العالم قصّة قصيرة، وقد تميّزت لغة السرد في هذه القصّة القصيرة بتركيز الكاتب الواضح على سرد التفاصيل الخاصّة بالمكان أو الأحداث والشخصيّات تركيز الرّاوي العارف بالمكان والمعايش للأحداث بحكم إقامته بقطر، ورغم أنّ أسلوب السرد في هذه القصّة القصيرة كما في العديد من القصص الأخرى يبدو في ظاهره محاكيا لأسلوب القصّة الواقعية التقليديّة، فقد طعّم الكاتب أسلوبه بالسرد الخطّي التعاقبي والتصاعدي وبعنصر المباغتة فيقفز من خلاله بزمن السرد... تنتقل هذه القصّة القصيرة في سردها بين مستويات مختلفة من العلاقات والتحوّلات الغريبة التي تعيشها الشخوص أثناء كأس العالم ، فقد نقل لنا بعين الموثّق والمؤرّخ ما تقوم به حشود المشجّعين على اختلاف جنسيّاتهم في شوارع قطر. ولكنّ القصّة لم تخلو من الخيال الذي اعتمده الكاتب لبناء قصّة الحب بين سائق سيارة الإسعاف و صحفية شابّة جاءت لتغطية أجواء الملاعب، كانت جلّ الأحداث منقولة على لسان الرّاوي ولكنّه يجد ضالّته في ألسنة شخوصه لينتقل بنا بين المواضيع العاطفيّة والاجتماعيّة والسياسيّة ...حيث مثّل الحوار الباطني للصحفيّة الشابّة «فاتن» مرآة عاكسة للبون الشاسع بين البنية التحتيّة في قطر والبنية التحتيّة في

بلدها...كما أنّ هذه القصّة كأغلب قصص توفيق الذكر، يشتدّ فيها الصراع بين صورة الغربي المهيمن و صورة الشرقي المسحوق، بين رأسمال الامبريالي و العامل المتملّق...

وكتب توفيق الذكر أيضا عن أحداث كثيرة أخرى منها ما هو أقرب للسيرة الذاتيّة عن طفولته ومنشئه وعلاقته بعائلته ومنها ما هو حامل لشواغل الشعب التونسي وقضاياه مثل: الحرقة... ومنها ما هو سياسي أو اجتماعي أو تاريخي بل يبدو لنا هذا الكاتب أحيانا مقاوما لتبنّيه للقضيّة الفلسطينية في أكثر من مناسبة كما أنّه جعل من صورة القدس جزءا من غلاف مجموعته القصصيّة الأولى... وقد تضمّنت هذه المجموعة قصّة قصيرة كتبها بالتزامن مع أحداث حيّ الشيخ جرّاح بفلسطين...ولابدّ انّ مجموعته الجديدة تخفي في طيّاتها شخوصا جديدة صنعها من خياله لتعايش أحداثا راهنة وآنيّة...بأسلوب قصّ وحوار لا يفقه أسراره إلاّ هو...

يتلاعب الكاتب بالشخوص فيجعلها تكلّمنا طورا ويتكلّم هو بدلا عنها تارّة، كما يمكنه أيضا أن ينوّع الحوار بين الثنائي أو الجماعي في أكثر من أقصوصة ويمكن أيضا أن يعتمد الحوار الباطني، فهو العليم بباطن شخوصه، فكلّ أقصوصة من أقاصيص توفيق الذكر هي تجربة مستقلة بأدواتها وأحداثها وأسلوبها الجمالي. فهو الكاتب المجدّد والمتجدّد في أفكاره والمتحرّر من القيود الأكاديميّة في سرد رواياته ...ولعلّ هذا ما يحفّز القارئ ويجعله متعطّشا للاطّلاع على هذه المغامرة الابداعيّة...» قال الذكر: نلتقي يوم السبت» هو عنوان يدعونا لأن نلتقي معه في معرض الكتاب لنستمتع بحديث الذكر وسبر أغواره وكنه خياراته الجماليّة...

لقد استبق الذّكر علاقة القارئ بكتاباته من خلال نشر بعض قصصه على مواقع التواصل الاجتماعي، ولكن هذه الصلة تبقى رهينة الإقبال على قراءة النسخة الورقيّة المعروضة حاليّا بمعرض تونس للكتاب... حيث أنّ جوهر العمليّة الأدبيّة يقوم على خصوصيّة التواصل مع المتلقّي ويضمن الاستمرار التاريخي للعمل الأدبي، كما أنّ العلاقة بين المنجز الأدبي والقارئ تشتمل على دلالة جماليّة وتاريخيّة تعتمد أوّلا على المقارنة بين قيم العمل الجماليّة التي يقرأها مع أعمال أدبيّة مقروءة من قبل لنفس الكاتب أو لكتّاب آخرين. ولكنّ توفيق الذكر ربّما يجد في قاعدة القرّاء التي اكتسبها عبر مواقع التواصل الاجتماعي ردودا متباينة...بين من يكون باحثا على نفس الأسلوب الذي ألفه على مواقع التواصل الاجتماعي وبين من يبحث عن جديد توفيق الذكر ويقيّم تطوّر كتاباته بمقياس تغيّر المحمل...ولكنّ هذا التقييم في الغالب يرتبط بأفق توقّعات المتلقّي وباستعداداته وبثقافته وكذلك بمكتسباته الاجتماعيّة ...ومن هذا المنطلق يبدو أفق التوقعات آداة أو معيار يستخدمه المتلقّي ليستقبل المنجز الأدبي ويحدّد طبيعة العلاقة به...في هذا السياق يقول المفكر الألماني هانس روبار ياوس في كتابة في جماليات التلقي:» إنّ علاقة النصّ الفردي بسلسلة النصوص المشكّلة للجنس الأدبي تظهر بمثابة مسلك إبداع وتحرير مستمرّ لأفق ما، إنّ النصّ الجديد يستدعي إلى ذهن القارئ أفق انتظار وقواعد يعرفها بفضل النصوص السابقة، قواعد تكون عرضة لتغيّرات وتعديلات وتحويرات أو أنّها ببساطة يعاد إنتاجها كما هي، إنّ التنويع والتعديل يحدّدان المجال، بينما يحدّد التحوير وإعادة الإنتاج حدود بنية الجنس»

وبالتالي يمكننا القول أنّ التواصل مع القارئ عبر المواقع الالكترونيّة سلاح ذو حدّين للكاتب فهو يبني حوله قاعدة من القرّاء يمكن أن تألف النسخة الورقيّة وتستسيغها بحكم التعوّد على جنس الكتابة أو أن تبحث عن مسالك إبداعيّة متجدّدة ومختلفة وتكون أكثر تطلّبا وصرامة في التقييم كما أنّ هناك صنفا آخر تعوّد الاستلاب الفكري والاغتراب في عالم الميديا الاجتماعيّة ولا يأبه للكتاب ولم تكن علاقته بالكاتب من خلال المجاملات عبر صفحات مواقع التواصل علاقة القارئ المتفحّص أبدا ...

وبالتالي يمكننا القول أنّ عرض العمل الفنّي في فضاءات بديلة ونتحدّث أساسا على وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن يشوّهه ويحيد به عن الأهداف التواصلية والأبعاد الجمالية التي أنشأ من أجلها. فيمكننا في هذا المستوى الاستناد إلى رؤية فلاسفة مدرسة فرنكفورت إلى وسائل الاتصال الحديثة كوسيلة للتلاعب والأدلجة تقوم على العقل الآداتي و المصلحة الذاتيّة حيث يعتبر الفيلسوف المعاصر يورغن هابرماس أنّ هذه الوسائل يمكن أن تؤدّي إلى علاقات بينذاتيّة مغلقة وربّما للاغتراب و إذا ما استعملت للاتّصال و ليس للتواصل وقد دعا في كتابه «الخطاب الفلسفي للحداثة» الذي صدر عام 1985 إلى «رؤية سوسيولوجية لوسائل الاتصال التي جلبتها الحداثة...لا تنظر إلى الاختلاف بحساسية شديدة وإنما تنظر إلى الآخر من موقع الاحترام المتبادل، الذي لا يعني بالضرورة التشابه معه، وإنما احتواء الآخر في اختلافه، وهو ما يضمن تكافؤ الفرص أمام الآخر المختلف وإمكانية تجاوز أي كراهية وحساسية». وخير مثال عن ذلك ما ذكرناه آنفا عن أنّ المجاملات التي أغدقها القرّاء على الكاتب توفيق الذكر عند نشر قصصه على مواقع التواصل الاجتماعي لا تفسّر بالضرورة كنه القيمة الجماليّة للعمل الفنّي. في المقابل نذكر يمكن أن نستشهد بردود العديد من الأفعال المتهكّمة والرافضة للعديد من الممارسات الابداعيّة الأخرى التي تتداول على صفحات التواصل الاجتماعي مرفوقة بألفاظ وآراء بعيدة كلّ البعد عن خصوصيّاته الفنيّة.

الإحساس وتأويل الصّورة في الفنّ
أو في « أسس مشروعية تأويليّة للصّورة في الفنّ»

(الجزء ا)

جوهان ميشيل*

ترجمة :عبد الوهاب البراهمي
متفقد عام للتربية سابقا (فلسفة)

« إذا لم يكن من طبيعة صورة مرسومة أو مصوّرة أن تدل على معنى (منطق المعنى)، بل أن تثير انفعالا (منطق الإحساس) ، وإذا ما فضلنا الشكل الجمالي على المضمون الدلالي ، وإذا ما رفضنا قراءة صورة بمثل نص(أفلا يجعل هذا)، قيام تأويلية للصورة في الفن موضوع اعتراض في أساسها بالذات، في ادعاءها إدخال قوّة التصويري في حضن الخطاب، وفي إرادة انصهار المحسوس في العقلي، وتعنيف الصورة بجعلها تتكلّم بدل النظر إليها والإحساس بها؟»

«إن سطح المرئيّ مضاعف ، على كلّ امتداده، بمخزون لامرئيّ»

(م.بونتي)

«إنّ اللوحة بالنسبة إلى الهرمونيطيقي (المؤوّل) مثلما هو الحال بالنسبة إلى المصوّر، هي صورة - أحجية يكبت صمُتها خطابا ضمنيا؛ ولابدّ كي نعرف المعنى ، من إعطاءها الكلمة ، وجعلها تتكلّم أو، بتعبير آخر ، جعلها تعترف. فالأثر الفنّي بالنسبة إلى الفينومينولوجي هو حضور صامت (الرسم شعر صامت) مكتف بذاته، روعة ظهورها يحبس أنفاسنا ، ويجعلنا «صامتين من فرط إعجابنا».

(ج. ميشيل)

« يفترض تأويل صورة في الفنّ على الأقلّ ثلاثة أشياء. الأوّل هو أنّ الصورة حاملة لمعنى أو عدّة معاني ، وأنه يوجد فيها معنى بدل لا شيء ، وأنه يوجد فيما وراء أو عبر المادية أو التشكيل الفني للعمل، أفق لمعقولية . والثاني ، أنه ، إذا ما وجد معنى ، فإنّه يتعذّر الوصول إليه مباشرة، وأنه في جانب منه أو في كليته مخفيّ، غير شفّاف، معتّم وغامض وأنه يحتاج بالتالي عملا تأمليا وبحثا عن المعنى تسمّيه نتالي هاينيش Nathalie Heinich « عملية ألغزة» mise en énigme ، « كما لو كان من المنطقي أن يطرح العمل الفني سؤالا، ويشكّل لغزا، ويخفي معنى خارجا و حتّى قبل أن نبحث عنه « (1). والشيء الثالث هو أنه يمكن التعبير عن معنى الصورة في خطاب ، وأنه يمكن أن نجعل الصّور تتكلّم.

إنّ هذه الأشياء الثلاث ليست بالمرّة بَدَهِّية ، إلى حدّ إرباك إمكانية قيام تأويلية أو هارمونيطيقا للصورة. وهي ليست بدهية إذا ما اعتبرنا أنّه ليس من طبيعة صورة مرسومة أو مصوّرة أن تعني signifier(منطق المعنى)، بل أن تثير انفعالا d'affecter (منطق الإحساس) ، وإذا ما فضلنا الشكل الجمالي على المضمون الدلالي ، وإذا ما رفضنا قراءة صورة بمثل نص . إنّ تأويلية للصورة في الفن ستكون إذن موضوع اعتراض في أساسها بالذات، في ادعاءها إدخال قوّة التصويري في حضن الخطاب، وفي إرادة انصهار المحسوس في العقلي، وتعنيف الصورة بجعلها تتكلّم بدل النظر إليها والإحساس بها.

إنّ رهان هذه المساهمة هو تبرير إسهام تأويلية للصورة ، مع الأخذ بعين الاعتبار الاعتراضات الكثيرة التي واجهتها. إنّ رهان هذه المساهمة هو البحث، لا الاعتراض، بل تجديل الانفعال والتأويل ، المحسوس والذهني، الإحساس والكلام. إنّ رهان هذه المساهمة هو اللعب على تعدّد معاني « sens» في اللغة الفرنسية التي تحيل إلى ما يولّد الإحساسات (soma) بقدر ما تحيل إلى تأثيث المعنى (le sens– sèma) ، حتى نستعيد التمييز الذي قوم به ديدي - هيبارمان .

إنّ هكذا جدلية لا يمكنها أن تظهر إلاّ بشرط تفادي مزلقين ، توجّهين متضادين ، من جهة هرمونيطيقا تذهنّية خالصة وجافّة ، تجعل من الصورة مجرّد تعلّة للخطاب ، ومن جهة أخرى استيتيقا ما يتعذّر التعبير ، والذي يجعل كلّ تأويل غير مسموع ، باسم أولوية الانفعال على المفهوم. إنّ الرهان هذه الجدلية هو إذن معرفة وفق أي طريقة يمكن لتأويل الصّور أن يساهم في الآن نفسه في إثراء ميلها إلى التأثير فينا. وفق أية شروط يمكن لتأويلية أن تجعل الصور تتكلّم دون أن تسكت قوّتها الانفعالية؟

الفينومينولوجيا وتأويليّة الصورة

تُطرح الصورة المرسومة لأول وهلة بوصفها ظاهرة محسوسة. وتقدّم الصورة للناظر صامتة.و يبدو أن فينومينولوجيا الإدراك ، وبدل أن تكون تأويلية ، هي معدّة أكثر لجعل الصورة تُرى في ظاهريتها بالذات. إن الفينومينولوجيا، بالرغم من هيمنة المنهج الوصفيّ فيها، لا تعترض بالضرورة وفق جاك دارّيلا Darriulat ، على فكرة التأويل ذاتها، لكن في نمط هارمونيطيقا تأويل شبيهة ، في نظره، بمنهج تفكيك رموز أو أمثولة حيث يتعلّق الأمر بالبحث عن معنى خفيّ، مستتر ومشخّص، من خلال إظهار معنى أوليا أو حرفيّا. تؤوّل الهارمونيطيقا الصورة- اللوحة مثلما نفعل لنص استعاري allégorique . ولأنّ الصورة لا تفصح لأول وهلة عن امتلاءها الدلالي ، فهي تتطلّب عملا حقيقيّا لتفكيك الشفرات حتى نكشف فيها عن اللغز الحقيقيّ. وسيكون الخطاب الفينومينولوجي شيئا آخر وهو الذي لن يطمح إلى كشف معنى خفيّ، بل إظهار معنى الصورة في حركة تجلّيها و ظهورها ، وفي « حضورها الخالص» ، في « مرئيّتها» الخالصة.

لا قيمة للصورة بالنسبة إلى شيء آخر، مثل ظهور حسيّ لحقيقة ذهنية ، ذلك أن لها قوّتها التشكيلية والتصويرية الخاصّة ، بوصفها حضورا خالصا. سوف يحضر العَوْدُ إلى الصورة ذاتها ، المماثل للعود إلى الأشياء ذاتها الذي تدعو إليه الفينومينولوجيا، التأويل الهرمونيطيقي للمعنى الخفيّ. إنّ « اللوحة بالنسبة إلى الهرمونيطيقي مثلما هو الحال بالنسبة إلى المصوّر، هي صورة - أحجية يكبت صمتها خطابا ضمنيا؛ ولابدّ كي نعرف المعنى ، من إعطاءها الكلمة ، وجعلها تتكلّم أو، بتعبير آخر ، جعلها تعترف. فالأثر بالنسبة إلى الفينومينولوجي هو حضور صامت (الرسم شعر صامت) مكتف بذاته، روعة ظهورها يحبس أنفاسنا ، ويجعلنا «صامتين من فرط إعجابنا». (3)

يستحقّ التعارض الذي أقامه داريولا بين هرمونيطيقا وفينومينولوجيا الصورة ، عناء التوضيح. مع ذلك فهو يخطأ بطابعه الجدّ تبسيطي. دون حتى أن تثير المنعرج الذي أحدثه هيدجر الذي يفتح إذن الطريق إلى فينومينولوجيا تأويلية للكائن بوصفها حجب - انكشاف، والفينومينولوجيا الهوسرلية ذاتها، إذا ما تحمّست لوصف ظاهرية كلّ ظاهرة في مرئيتها، فهي لا تستبعد قطّ إمكانية تأويل ما لا يفصح عن ذاته مباشرة في الحضور المحض للشيء.

وما هو حقيقيّ بالنسبة إلى كلّ شيء هو كذلك بالنسبة إلى صورة- لوحة. فلا تظهر الصورة المرسومة إلاّ من مقطع جانبي معيّن بالنسبة إلى مُشَاهد يتموقع هو ذاته في وضعية معينة بالنسبة إلى اللوحة. وينفصل المشاهد ، بحسب هذا المقطع الجانبي ، وبحسب تغيّر الوضعية التي يمكن أن نتبنّاها ، وبحسب الإضاءة والوسط الخارجي الذي ينفصل عنه، فلا يرى الشيء نفسه فحسب بل لن يستطيع الإحاطة بالصورة بنظرة واحدة كي يُطلق الظاهرية الخالصة. فهو ملزم ، ودون حتى أن يكون له افتراض معنى مجازي بالمعنى الرمزي للكلمة، بالاعتراف بأنّ الجوانب البارزة لصورة تظلّل (تقلي بظلالها) على جوانب خفيّة تتطلّب تأويلا. لا يمكن لمعنى صورة أن يتجلّى تماما بواسطة مقطع جانبي واحد ، بل بفضل جهد تأليفيّي لرسومات ليست هي ذاتها قابلة للتشميل. وحتى نقول ذلك مع مارلوبونتي ,» إن سطح المرئيّ هو مضاعف ، على كلّ امتداده، بمخزون لامرئيّ».(4) . إنّه « المخزون اللامرئيّ الذي يجعل من الضروريّ، وهذا منذ مرحلة الإدراكيّ ، وجود عمل تأويلي لمعنى الصورة(فيما يمكن أن نسمّيه مع مارلوبونتي « تفسيرا مُلهم»« exégèse inspirée ») لا يَمْثُلُ في الشفافية المباشرة لوجودها (الصورة) الحسيّ. لأجل هذا تسمّى الفينومينولوجيا بعدُ تأويلية أو هارمونوطيقا، دون أن تتطابق معها. ليست المعاني الخفيّة لصورة قابلة للاختزال بالمرّة في وظيفتها الرمزية أو المجازية، لكنها مكوّنة لنمط ظهورها بوصفها كائنا تشكيليا. إنّ التغيّرات التخيّلية حول الصورة ، وحول وجوهها اللامرئية أو التي ليست بعدُ مرئية ، والتغيرات الموضعية للذات لإبراز الجانبية أو البروفايل الجديد، هي كثير من التغيّرات التأويلية.

إنّ خداع المرئيّة الخالصة للصورة ، وللأثر بوجه عام ، دون ملحق تأويلي، موجود في بعض التيارات المعاصرة، مثل الحدنوية (أو التبسيطية) minimalisme. من الواضح أنّ الطموح هو تنقية كل وظيفة رمزية في أثر فني ما: فلا يوجد ما نراه غير ما نراه (what you see is what you see) حتى نستعيد تعبيرا لأحد رواد هذا التوجّه (فرانك ستيلاّ (Franck Stella. ما من معنى خفيّ ، ولا شيء للتأويل من وراء ما يمكننا ببساطة رؤيته في إدراك مباشر. إنّ الأثر الفنّي الحدنويّ (مثل مكعب بلوري شفّاف) ليس له أيّ إلغاز. فهذا الأثر صغير الحجم يطمح إلى أن يهب نفسه في حضور ماديّ خالص وأن يعرقل عملية التلغيز، أي أن نقول أكثر ممّا نراه. إنّ الطابع الطوطولوجي أو الحشوي للأثر الحدنويّ، مثلما يلاحظ ديدي - هيبرمان Didi-Hubermann يقوّي طوطولوجيا كلمة السرّ (« what you see is what you see ») ما تراه هو ما تراه» : ما من جوّانية intériorité إذن. وما من كُمون. لا شيء من هذا « الاستعادة»retrait أو هذا « المخزون» réserve الذي يتحدّث عنه هيدجر مساءلا معنى العمل الفنيّ. لا وقت ، إذن لا وجود

لموضوع فحسب، موضوع « خصوصيّ». لا تراجع، إذن ما من لغز. ما من هالة. ولاشيء هنا «لا يعبّر عن نفسه» ، بما أنه لا شيء يخرج وبما أنه لا يوجد حيّز أو كمون - مستودع مفترض للمعنى - حيث يمكن لشيء ما أن يختفي كي يخرج من جديد، لينبثق من جديد في أيّ لحظة.(5).

ودون أن يكون لنا أن نفترض حتّى وجود « مستودع للمعنى» ، يجعل الأثر الفني يتكلّم، وأيّ كانت «حدنوية» المعنى ، فهو لا يمنح نفسه في ظهوره حضورا خالصا. لنشاهد إذن المكعبات الشفافة لروبار موريس. فهي لا تظهر للمتفرّج إلاّ من جانبية (بروفايل) خاصّة ولا قطّ في كليّتها (totalité) ؛ فليست وجوه كلّ مكعّب قابلة للإدراك في نفس الوقت. فترتيب المكعبات يحمل المتفرّج على التجوّل بينها، محوّرا إذن إدراك كلّ مكعّب. إنّ نمط الظهور له قابلية التحوّل أيضا في علاقة بالضوء، وفي علاقة بالألوان و مكوّنات الأرض وجدران وسقف قاعة العرض ، وأجزاء أجسام المتفرّجين المنعكسة على المكعبات. يشفط انعكاس المكعبات خارجا متعدّدا يمنح نفسه في المرآة. كل شيء يحدث كما لو أن المكعبات تمتصّ قطع محطّمة من الواقع: هنا وجه ، وهناك كعب ، وهنالك يد...تصبح المكعبات مرايا لعالم محيط بـ ومتحوّل ، مانحة الفرصة لتطواف شعريّ وتيهيّ لصور متلاشية. ويُحمل المتفرّج ذاته ، بفعل انعكاسه على المكعبات، على متابعة أثر الإبداع، وإعادة تشكيل معنى الصورة، وحتى لو كان ذلك من أجل أن يرى نفسه ، على الأقلّ مجزأ . ما من حاجة للجوء هنا إلى استعارة أو مجاز لفهم أنّه يوجد شيء ما للرؤية ، من وراء مجرّد مكعبات شفّافة، لكن من خلالها بعدُ . ولو تحدّثنا تداوليا ، فإنّ التجربة الكلبية للمكعبات تنقض كلمة السرّ للحدنويين minimalistes. وإذا ما وجدت معاني خفيّة ، فهي ليست رمزية أو مجازية ؛ إنما تستخدم في تجربة جمالية ذاتها للموضوعات التي يترك ظهورها مخزونا للامرئيات invisibilités، وأفاقا متحوّلة للإدراك تستدعي مسارا تأويليا للمعنى.

التأويلية الحَرْفِية والتأويلية المجازية للصورة

ليست التأويلية منحصرة، في مقابل ما يقترحه داريلا Darriulat، في المجازية l'allégorèse وبوجه عام في تأويل معنى خفيّ، مقابل لرؤية جدّ عنيدة. يتعلّق الأمر دون شكّ بإحدى التشعّبات التي تعود إلى الإغريق ... إنّ هذا المتحوّل للهارمونيطيقا الذي جعله الحديثيون دنيويّا sécularisée أو مُعَلْمَنًا ، هو بالخصوص مسلّح وملائم لتأويل كلّ جزء من تاريخ الفنّ التصويري الذي يستقي مباشرة منابعه الأدبية من الأساطير والرموز والاستعارات أو المجازات allégories المتأتّية من التقاليد اليهودية المسيحية من جهة ، والإغريقية اللاتينية من جهة أخرى. هو صحيح لاسيما بالنسبة لفن رسم تاريخ النهضة الإيطالية (وأقلّ صحّة عن فن رسم منظر النهضة الهولندية) حيث قد يكون نقل المناهج الموروثة للتأويلية النصية في خدمة تأويل اللوحات الفنية. يسلك المؤرخ وناقد الفنّ إذن طريقة ليست بعيدة عن طريقة الفيلولوجي أو المفسّر . فتكون مهمته ، بوصفه مالكا لرسوخ في العلم متين، ردّ المعنى الظاهر للصورة إلى معاني ثانوية أو مجازية ، ورسم جينيالوجيا العمل الفني وإعادة وضعه في سياقه التاريخي، واستنباط المصادر الأدبية التي أثّرت فيه. والمدرسة السجليّة في تاريخ الفنّ لهذا المنهج في التأويل هو البراديغم الايقونولوجي الذي وضعه في البداية واربورغ Warburg وتابعه فيما بعد بانوفسكي Panofsky خاصّة . ومن دون هذا الإسهام الإيقونولوجي سنمرّ بالتأكيد بجانب ناحية جوهرية لمعنى أثر فنّي. يغنم المتفرّج بفضل التقنيات المتينة للتأويل في فهمه الصورة:» هكذا يوضّح المعنى الإيقونولوجي البعد التخيّلي للأثر الفني ويرجعه إلى سياق ثقافيّ وليس تاريخيا فحسب. نفهم إذن بشكل أفضل طموح التأويل الإيقونولوجي : فهم العمل الفني ، هو العثور على النظرة التي ولّدته، هو اعتبارها بالعينين التي وقع تصوّره من أجلهما. تباشر الإيقونولوجيا بهذا المعنى أريكيولوجيا حقيقية للنظرة». (6)(جاك داريلا 2007) « تأملات في المنهج الإيقونولوجي لتأويل العمل الفني»).

تصلح هذه الإركيولوجيا للنظرة بالخصوص، لرفع الالتباس أو التأكيد على تناقضات المشاهد والشخصيات والأشكال. يقوم بانوفسكي بالبرهنة البارعة على هذا في محاولته عن « مشكل وصف الأعمال»، فيما يخصّ تأويل لوحة رسام البندقية فراشسكو مافاي Francesco Maffei (انظر اللوحة)

المرايا المكعبة روبار مورّيس(1965/1971)

حيث يظلّ الشكّ قائما حول معرفة هل الشخصية المحورية هي، إمّا سالومي Salomé (براس بابتيست ، Baptiste)، أويوديث Judith (برأس هولوفارنو d'Holopherne). وبانتباه شديد لتفاصيل العمل ولمصادره من الكتاب المقدّس التي أمكن لها أن تلهمه، يشير بانوفسكي إلى قرائن متباينة يمكن لها أن تميل بالتأويل صوب جهة أو أخرى . فالقرائن التي تميل نحو سالومي بالفعل، في تطابق مع إنجيل متّى ، هي كون الرأس المقطوع لإنسان يوجد في طبق (يتعلق الأمر إذن بباتيست Baptiste). يمكن لهذا التأويل مع ذلك أن يوضع موضع التساؤل بموجب أنّ المرأة تمسك في يدها بسيف (منبهة إلى أنها صاحبة التنكيل)، بينما لم تكن هي ، في رواية متّى ، من نفّذ بيديه القتل. من هنا كان افتراض أن الأمر يتعلّق إذن لا بسالومي ، بل بيوديث التي ، في رواية الكتاب المقدّس، هي من قامت فعلا بقتل هولوفارنو. Holopherne .غير أنّ هذا التأويل الجديد يصطدم بواقع أنّه لم يكن يتعلّق الأمر قطّ في هذه القصّة بطبق حيث وضع فيه رأس هولوفارنو، بما أنّ يوديث يقدّمه مباشرة إلى خادمته: « إنه لأمر غريب إذن ، لنا للوحة واحدة ، مقطعين من الكتاب المقدّس مختلفين كليا وكلاهما مناسب أيضا، وعلى نحو سيء أيضا ، بما أنّ الطبق ولا السيف يناسب سالومي، بينما يناسب يوديث السيف لا الطبق. إلاّ أنّ نقص القرائن الإضافية يمنعنا عن الحسم لصالح أحدهما دون الآخر.» (7).

إذا كانت الإيقونولوجيا لا تسمح بالحكم القاطع في شأن هذه التأويلات ، فإن لها في المقابل فضل الزيادة في فهم الأثر ، والشهادة فيم لا يمكننا أن نبقى في مستوى الحضور المباشر الخالص للصورة لإدراك تامّ للمعاني، وبيان بواسطة تاريخ»الأنماط» ، مثلما يقترح بانوفسكي، بأنّ ازدواجية الصورة في لوحة مافاي ليست سوى حالة معزولة في الفنّ الناشئ لإيطاليا الشمالية حيث يمكن ملاحظة نقلة رأت في طبق جان باتيست وقد صار أحد لوازم تمثّل يوديث. سينبثق من جديد إذن الاعتراض الفينومينولوجي الذي وفقه تمرّ المقاربة الهارمونيطيقة، في صيغتها الإيقونولوجية (صيغة لا تغطّي كل التوجهات الهارمونيطيقية ، خاصّة توجه هيدجر وغادامير)، تمرّ بجانب الظهور الحسّي للعمل الفنّي ، وميله إلى التأثير فينا بحضوره الخالص. إنّ الصورة باختزالها في منزلة وثيقة تاريخية ، لن تكون لها قيمة في ذاتها ، بل بوصفها توحي بموضوع ، بنمط وبأسلوب ، أي بوصفها « رؤية للعالم» ، بوصفها « شكلا رمزيا» :» إنّ الأثر الفني إذن هو « عارض» symptôme» لنسق كامل من القيم ، لعالم ثقافي يتعلق الأمر بإحيائه ، إذ في لعبة الجمع هذه تأخذ الصورة كامل معناها. (8) وستكون الصورة ، بموجب جعلها تتكلّم ودفعها إلى الاعتراف ، وإرجاعها إلى منابعها الأدبية، إلى شكلها الرمزي، في نهاية الأمر مختفية عن الأنظار أو فاقدة للأثر. وسيتفوّق الكلام على النظر..وسيلوّث

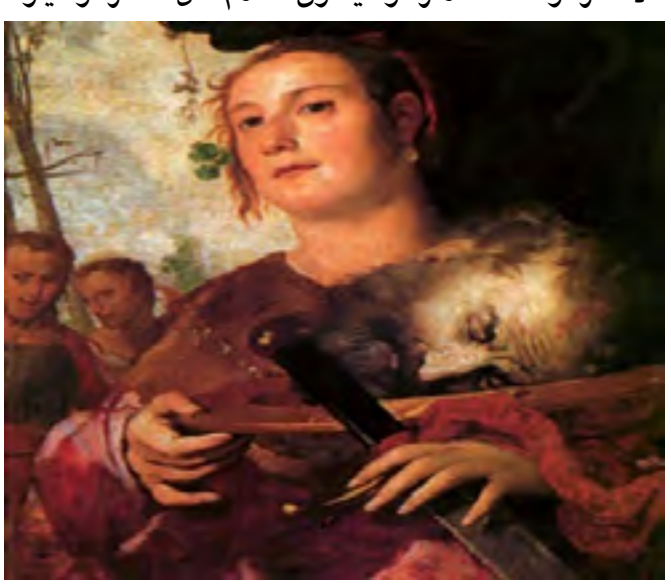
«أيوديث» أو «سالومي» فرانشسكو مافاّي1650

الخطابُ الإدراكَ الحسّي للأشكال ، والألوان والرسوم.

هل هذا هو الحال حقّا؟ ألا يمكن، على العكس ، أن ننتصر لكون الهارمونيطيقا الإيقونولوجية تسمح بالنظر إلى الصورة على نحو آخر، بالنظر بشكل أفضل، على الصعيد القيمي أو الأكسيولوجي، والإحساس بأكثر قوّة ، على الصعيد الوجداني؛ نظرا وإحساسا لا يكون ممكنا إلاّ إذا وثقنا فحسب بالحضور الحسّي لتمظهر الصورة؟ ألا يمكننا أن نسند القول بأنّ الخطاب التأويلي لا يأتي ليعتّم obscurcir بل على العكس ليكشف révéler القوّة العاطفية التي تثيرها اللوحة؟ هل يمكن حقّا أن نُتَّهم بالفكرانية أو بنزعة تعقلّية، إيقونولوجيا سعت إلى إزالة الانتشار المؤقّت لـ» أشكال الباتوس» (التفخيم الدرامي) في تاريخ الفنّ، من حيث أن الصورة تحمل بصورة متينة شحنة عاطفية وتمثّلا إيقونولوجيا؟ يمكن أن نعترض عليها بالاستناد إلى الدراسة التي أضحت نموذجا من نوع واربورغ بخصوص لوحة الربيع Printemps لبوتشللي ، واستعادتها المتميّزة من ديدي هيبرمان. Didi-Huberman .

فيم يتمثّل المنهج التأويلي هنا؟

يفترض الوصف الذي يقترحه واربورغ للشخصيات وللمشهد والحركات معرفة بالخلفية التي تغوص بنا في العالم القديم ، لا بل المسيحي (بحكم غموض الشخصية المركزية ، تحت بعض سمات العذراء) . تمسح إذن المصادر الأدبية للعصر القديم والمصادر التاريخية أربعة قرون، بتعيين الديكور (حديقة فينوس بما فيها من أشجار البرتقال). وفي أقصى اليسار ، يمدّ عُطارد (مبعوث الإله، صائد النجوم التي قد تُخفي الحقيقة) نحو برتقالة ، النعم الثلاث المُغطّاة كليا (الجمال والفضيلة والوفاء) تشكّل دائرة وترمز إلى الانسجام في الحبّ. وفي المركز ، فينوس ، بطنها مكوّرة ، في وضع الولادة ، تقوم بحركة باليد في اتجاه النّعم ، رأسها مائلة قليلا نحو اليمين ، فوقها كيوبيد مُجانبا إياها (رمز الحبّ الأعمى)، وسهم متجه صوب النِّعم . وعلى اليمين ، آلهة الربيع ، التي تحمل فرعا من شجيرة الورد كحزام لفستانها وإكليل من أوراق الشجر على رقبتها، تزرع الزهور وهي تمشي في اتجاه المشاهد.. وفي أقصى اليمين ، يطلق زفير نفخة صوب كلوريس ، قابضا في ذات الوقت على جزء من جسده. وكلوريس ، بنظرة حائرة متوسّلا إله الريح ، وبحركة دفاع عن النفس ضدّ من يتبعه، يتقيأ زهورا ، رمزا لوحدتهما الجسدية وإعلانا بقدوم الربيع.

يلجأ واربورغ، قبالة صورة مكثفة بالرموز وشخصيات أسطورية ، إلى مجاز حقيقيّ، بالكشف خلف المعنى الحرفي للصورة عن معنى مخفيّ مجازي للربيع تحديدا . وللتأكيد على ذلك قام مؤرخ عصر النهضة بتقصيّ حقيقيّ عن المصادر الأدبية ، والتأثيرات والدوائر الثقافية التي حامت حول بوتشللي. تصوّر لوحة الربيع إذن الأحداث والتوصيفات والشخصيات الآتية بالخصوص من قصيدة لبوليتيا («مستشار خبير لبوتشللي»، مثلما يصفه واربورغ)، والمستوحاة بدورها من» الأبهة» لأوفيدوس Ovide وكتاب «في الطبيعة « للوكريتس Lucrèce . هكذا يلحظ واربورغ في «أورفيو»l'Orféo فقرة من الروزنامة Fastes يروي فيها «فلور Flore كيف لاحقها « زفير «؛ وأنها حصلت إذن كهدية زواج، القدرة على تحويل كلّ ما تلمسه إلى زهور»(10). إلاّ أنّه توصيف مثيل لما نجده ، في يمين لوحة بوتشللي ، بين كلوريس وزفير والتي يصفها واربورغ بـ» مشهد ملاحقة إيروسية» . هل أن هذا التأويل العَالِمَ savante للربيع الذي اختزلناه في سمات كبرى، يُلحق ضررا بإدراك الصورة في ظهورها الخالص؟ هل يتعلّق الأمر بإفراط تأويل surinterprétation ، لا بل بـ» إسراف تأويلي» حتى نتحدّث مثل إيكو، الذي يطبق اصطناعيا الخطاب على الصورة، إلى حدّ جعلنا لا نبصر حضورها الحسّي؟ إنّ الوفرة المفصّلة للتحليلات الإيقونوغرافية يمكن بالتأكيد أن تُتَوِّه المشاهد، إلى حدّ صرفه في النهاية عن الصورة ذاتها. لكن يسمح هذا التَّتْبِيه الثمين في المقابل بالرفع إلى حدّ كبير من فهم الأثر. ودون هذا التيه، سيظهر التقبّل العفوي للصورة مفقّرا كثيرا، لا من حيث المعاني فحسب ، بل أيضا من حيث الأحاسيس. يساهم التيه الإيقونغرافي إلى النظر على نحو آخر، بعمق أكثر، وبكثافة أكثر فيما يجري في هذه الملاحقة الإيروسية . ولا يعني هذا إذن أن نقول بأنّ « الحسيّ» سيكون مجرّد تعلّة لكشف «الذهني» « l'intelligible » في الصورة (حقيقته المجازية). بل هو القول ، بطريقة جدلية ، بأنّ الانعطاف détour بالذهني (التأويل الإيقونغرافي والإيقوني) يسمح بجعل الحسيّ المباشر وسيطا بفعل العودة نحوه

لإثرائه، ولتغييره إلى « حسيّ» وسيط. إنّ النظرة الإيقونغرافية لا تجعلنا نفهم بشكل أفضل فحسب، بل تجعلنا نحسّ بصورة أفضل أيضا بالمشاعر التي تتناقل بين الشخصيات وأفعالها. رغبة بالتأكيد ولكن عنف أيضا يرتدّ صداه إلى عالم الطبيعة مثلما فكّر فيه لوكريتس. يبيّن ديدي- هيبرمان بوضوح فيما توسّع هذه الهارمونيطيقا الإيقونولوجية في الجملة، والتي هي أبعد من أن تكون مفقّرة ، كلّ طيف الانفعالات والمشاعر على الأثر في « الربيع»:

« ماذا نرى فعلا في هذا المشهد الذي لا يصدّق ، غير كونه لعبة معقّدة ونزاع تجاذبات و تدافع، وجمال وعنف ، ورأفة ووحشية؟ أليس من الوحشية مثلا، أن تبصق فتاة مِسْبَحَة من الأزهار أو يكون محبّ شبه معلّق في الهواء بلونه الخاص المخضرّ؟ أليس من الغريب أن تمثل صورة أمام نظرنا، على نفس مستوى، ملاحقة تؤدّي إلى الممارسة الجنسية ونتيجتها، (ولادة الزهور، أي الربيع)؟ أليس من الفريد أن نلاحظ بأنّ هذه الصورة ، وهي أبعد من أن تمثّل الكائنات» الواقعيةّ «والقابلة للمشاهدة، تتمسّك بالأحرى بتمثيل شيء ما مثل فوضى الكائن ، أي اختراقا للحدود- الجدّ منحرفة في الظاهر، مثلما هو الحال غالبا لدى بوتشللي - بين اللذة والرعب ، بين هبة الحبّ والعذاب المنزّل؟» (11).

لا تردّ الهارمونيطيقا بالمرّة إلى الاستعارة وبوجه أعمّ إلى مجرّد البحث عن معنى خفيّ، ثانوي وكامن، وإلى البحث عن « منجم للمعنى». لقد قلنا ذلك، إنّ هذا المنهج التأويلي ليس إلاّ تشعّبا ، مهما كان جدّ مهمّ ، فإنه يجد أصداء قويّة مع المنهج الإيقونولوجي والإيقونغرافي الذي روّجت له مدرسة واربورغ وبانوفسكي، إلى حدّ يمكننا أن نأخذ فيه الإيقونولوجي على كونه فيلولوجيا للصورة L'ICONOLOGUE COMME UN PHILOLOGUE DE L'IMAGE . يوجد مع ذلك تاريخ للهارمونيطيقا يركّز على المعنى الحرفي، دون أن يحيل بالضرورة إلى معنى خفيّ؛ تاريخ يعود إلى النحويين الإغريق، إلى تفسير الكتاب المقدّس لآباء الكنيسة، إلى فيلولوجيا الإسكندرية، كي يتجدّد عصر النهضة ، ثم في عصر الأنوار. يمكن للمعنى الحرفي أن يطبّق على كلمة ، على جملة أو على خطاب ويشير إلى « المعنى الأولي لعلامة أو علامات، من حيث أن هذا المعنى تتقاسمه جماعة ألسنية». (12) إنّ المعنى الحرفيّ (SENSUS LITTERALIS) يمكن أن ينزاح بذاته إلى معنى نحوي SENSUS GRAMMATICUS ومعنى تاريخيّ SENSUS HISTORIALIS حينما يروي النصّ أحداثا متضمنة في حكاية (السرد في الكتاب المقدس).

فيم يمكن أن يطرح المعنى الحرفيّ لكلمة أو لخطاب مشكلاتِ تأويل ويستلزم بالتالي هارمونيطيقا؟

أن نقول بأنّ المعنى الحرفي يشير إلى المعنى الأوّلي فذاك لا يعني بأنّ فهمه سيكون مباشرا. هذه النقطة مركزيّة تماما. وبعبارة أخرى، يمكن للمعنى الحرفيّ أن يتأثّر بما نسمّيه البعد الإشكالي للمعنى PROBLÉMATICITÉS DU SENS. هو الحال مثلا بالنسبة لـغموض L'OBSCURITÉ كلمة ، (لغريب الكلام) لمعجمية جعلها تطوّر اللغة قديمة ومعانيها تغيّرت بحكم الاستعمال. يصبح التفسير، كالذي تمارسه مدرسة الإسكندرية، ضروريا إذن لمعرفة أيّ معنى كان في الأصل، لتلك الكلمة أو ذاك التعبير. يمكن للمعنى الحرفي أن يتأثّر أيضا بـلُبس AMBIGUÏTÉ حينما يُنسب مؤلّف خطاب معنىً لا يناسب المعنى المعتاد للعلامة، بالخلط بينها وعلامة أخرى(يمكن أن يعني هذا الخلط نفسه القارئ أيضا). يمكن للمعنى الحرفيّ أن يربكه لَبْسُ عندما يمنع غياب النظائر D'ISOTOPES من تحديد المعنى الحقيقيّ للفظ متعدّد الدلالات POLYSÉMIQUE . وهذا حقيقيّ أيضا بالنسبة إلى الضمنيات IMPLICITES واللّميات SOUS-TENDUS عندما لا يسمح سياق الجملة كفاية بتثبيت المعنى. يمكن أن نعدّد إذن قائمة مشكليات المعنى المتعلق بالمعنى الحرفي: تناقض ، معاني مضادّة...(13). والمهمّ أنها تستدعي تقنيات تأويل (نسمّيها تأويلات (تخوّل لنا ، في حدود الإمكان، بناء معقولية : توضيح، تفسير ، التأطير السياقي (التسييق) CONTEXTUALISATION...

يكمن السؤال منذئذ في معرفة إذا ما كان بإمكاننا نقل نُظم مُشكليّة المعنى وتأويلاته إلى الصور أو العثور إذن على تقنيات مماثلة. ألا يمكن أيضا اعتبار صورة على كونها غامضة ، قياسا بالنصّ ، حينما لا يظهر معنى تصوّر شخصية أو فعل بوضوح أكثر، حينما لا يتوافق معنى رسم أو مشهد مع دلالته المعاصرة؟ إنّ عمل تأويل مؤرّخ الفنّ هو تماثليا ذا قرابة بعمل الفيلولوجي أو المفسّر الذي يبحث عن إيجاد المعنى الأصلي لكلمة ، وإلى تحيين مرجعيات الماضي لصالح توضيح أو تأطير سياقي تاريخي.

ويمكن تعبئة التأويلات INTERPRETATIO أيضا عندما تتعلّق مُشْكِلية المعنى بالالتباس. ويمكن أن تتعلّق بنسبة لوحة حتّى ، قياسيا مع نسبة نصّ حينما يوجد شكّ(والتباس ممكن) حول المؤلف أو الفنان الذي أبدعه(في حالة النسخة مثلا).إنّ تأصيل L'AUTHENTIFICATION الأثر تقنية نجدها في التأويلية النصية يقدر ما نجدها في تاريخ الفنّ، مثلا ، عندما يعمل مورللي MORELLI على الفصل فيما بين لوحات بالاستقصاء حول الجزئيات الخاصّة بأسلوب فنّان (بطريقة مماثلة لسبينوزا حينما يعمل على رفع الالتباس عن مؤلفي أسفار موسى الخمسة). يمكن للتناقض أن يعاكس، قياسيا بالخطاب، معنى صورة. رأينا ذلك مع لوحة مافي MAFFEI الذي قد يؤوّل « نمطها» إمّا بوصفها جوديث JUDITH أو بوصفها صالومي SALOMÉ. إنّ المماثلة بين الخطاب والصورة من وجهة نظر مُشكلية PROBLÉMATICITÉS المعنى (مثل التماثل البنيوي بين الهارمونيطيقا وتاريخ الفن من وجهة نظر التأويل INTERPRETATIO) تجد سندا خاصا إذا ما توجّهنا من جديد إلى بانوفسكي . يؤكّد داريلا في تعليقه بكل تناسق على القرابة بين الهارمونيطيقا (منظورا إليها بوصفها استعارية) والمنهج الإيقونغرافي والإيقونولوجي على نحو ما هو مستخدم لدى منظرّ الفنّ. قليل من الأشياء قيلت

« الربيع » لساندرو بوتشللي.

في المقابل فيما يتعلّق بما يسمّيه بانوفسكي الماقبل إيقونغرافي LE PRÉ-ICONOGRAPHIQUE.. لكن، مثلُ هذا المنهج هو الذي تردّد صداه القويّ في هارمونيطيقا المعنى الحرفي. يتعلّق التأويل الماقبل- إيقونغرافي تحديدا بما يسمّى « المعنى الأوّلي» لصورة يقسّمها هو ذاته إلى « معنى فعلي»« SIGNIFICATION DE FAIT » و « معنى تعبيريّ»« SIGNIFICATION EXPRESSIVE » : « ندركها بتعيين صور خالصة (أي : تكوينات معينة للخطّ واللون ، أو كتل برنز أو حجر معينة ، مشكّلة على نحو خاص) بمثل تصوّرات لموضوعات طبيعية (مثل الكائنات البشرية وحيوانات ونباتات ومنازل وأدوات الخ .)؛ وبتعيين علاقاتها المتبادلة بوصفها إحداثا ؛وبإدراك خصائص تعبيريّة معينة ، مثلا ، سمة الحِداد التي تنطوي على سلوك أو حركة ، ومناخ حميميّ ومريح لمحيط داخلي» (15). إنّ تعيين هذه الأشكال وهذه التعبيرات (التي تمثّل عالم «الأنماط» MOTIFS في تاريخ الفن وفق معجمية بافنوفسكي) يمكن أن يحدث بطريقة سَلِسَة ، دون جهد تأويلي ذي دلالة. إنه حينما يصبح التعيين في المقابل إشكاليا (التباس ممكن بين الكائنات؛ تعارض حول معنى فعل...) وحينما يصبح الاشتغال على المعنى ضروريا ويتحرّك الماقبل - إيقونغرافي حقيقة بما هو هارمونيطيقا.

أن تتعلّق بالمعنى الحرفيّ أو بالمعنى المجازي أو الرمزي ، فإنّ الاعتراض الرئيسيّ الذي يمكن أن نقوم به تجاه التقارب بين الهارمونيطيقا والايقونولوجيا والذي يبدو أن جزءا فقط من تاريخ الفن يتبنّاه، خاصة رسم تاريخ النهضة، الذي ولع به واربورغ وبانوفسكي ، أو أيضا الكلاسيكية التصويرية التي كان بوسان POUSSIN أحد روّادها. كان التطابق هو أقلّ صدفة بقدر لم تلعب فيه النصوص الكلاسيكية للعصر القديم أو للكلاسيكية وظيفة الإلهام فحسب بالنسبة إلى رسامي عصر النهضة أو للمدرسة الكلاسيكية، بل أيضا وظيفة نفوذ أخلاقي حقيقي ووظيفة تشريع للفن التصويري الناشئ ، في اللحظة ذاتها التي نشهد فيها « تحرّرا» لمنزلة الفنّان وتقاربا مع عالم الأدباء الذي تمّ الترفيع من شأنه اجتماعيا. حقيقيّ أنه أثناء النهضة الايطالية حيث كان الرهان « وضع الرسام- الذي هو إلى وقتئذ مجرد صانع مرتبط بالنماذج التقليدية لـفقه الممارسة ومطالب المُشْرِفين - في منزلة شاعر كبير، أي منزلة معرفة فكرية أصيلة مضاعفة بحريّة و»بسيادة» فنيّة».(16) وهو حقيقيّ أيضا في عصر الكلاسيكية الفرنسية : « إنّ دور تراتبية الأنماط ، التي تضع في القمّة الرسم المسمّى « للتاريخ» - أي تحويل نص إلى صورة، سواء كان دينيا أو مدنّسا- كان جوهريا في تلك الأولوية للعقلي على الحسّي ، ومرتبطا بشكل واسع بالبحث عن معنى أو تقدير دلالةُأولى. ومنذ الجيل الأوّل الأكاديميّ ، تشهد المحاضرات التي التحق بها نخبة الرسامين في حلقة واسعة من العارفين الأدباء للمطالبة بهذا الخضوع للصورة للنص ، والإحساس للمعنى». (17).

وبعبارة أخرى، فإنّ فليلوجية هارمونيطيقا (تأويلية) نظرية الفنّ ، مثلما يمكن ترجمتها في مشروع إيقونولجي، سيضمن ويولّد من جديد في نفس الوقت إبستيمية خاصة لتاريخ الفنّ تتطابق مع أوج نَصْنَصَة TEXTUALISATION الرسم التصويري، حيث تستمدّ الصورة معناها ومشروعية النصوص الكلاسيكية للعصر القديم والوصايا اليهودية - المسيحية.

يمكننا الاعتراض على هذا الاعتراض بأنّ المنهج الماقبل- إيقونوغرافي يمكنه أن يطبّق تماما على عصور لاحقة للنهضة، وأيضا على المرحلة المعاصرة، بشرط أن نقدر على أن نستنبط منها معنى حرفيا أو معنى ثانويا ، دون الإحالة مع ذلك إلى نصوص كلاسيكية. وهو أمر حقيقيّ ويسمح في نفس الوقت بتوسيع التأويلية الإيقونولوجية إلى ما بعد النهضة والمدرسة الكلاسيكية .

بيد أنه ينبغي الاعتراف، بأنّ عصورا أخرى وتيارات فنية أخرى تقاوم بوضوح المنهج الماقبل- إيقونوغرافي والإيقونولوجي، عندما لا يوجد تاريخ ولا شخصيات ولا معنى مخفي، حتى قبل الفنّ المجرّد أو المفهومي CONCEPTUEL، بدءا ببعض رسوم المناظر الهولندية. هل يؤدّي مع ذلك ، وضع الإيقونولجيا خارج الدائرة، من طبقات كاملة من تاريخ الفنّ ، بالتأويلية إلى الفشل؟ هل للتأويلية ، بما هي في البدء وليدة النصوص، منابعَ لتأويل صورة متمرّدة على كلّ تاريخ، لا بل على كلّ مجاز ، صورة لا يمكن أن تكون منصّة TEXTUALISÉE ؟ هل يمكن في نفس الوقت ، لتأويلية ، مُبرّرُ وجودها، البحث عن المعنى ، وأن تساهم في التقاط القوى الحسيّة للصورة ، دون أن تتعرّض لذمّ الفكرانية L'INTELLECTUALISME؟ (يتبع)

المصدر: HTTPS://DOI.ORG/10.4000/METHODOS.10421

- هوامش:

* - جوهان ميشيل (1972): أستاذ في جامعة بواتييه وباحث في مركز دراسة الحركات الاجتماعية للمدرسة العليا للدراسات في العلوم الاجتماعية وعضو شرفي فيالمؤسسة الجامعية الفرنسية.

-1 ناتالي هاينش (2008)»ما يحدثه التأويل. ثلاث وظائف للنشاط التاويلي». سوسيولوجيا الفن اوبيس 13، ص 20.

-2 جورج ديدي هيبرمان (2008) التشابه بالاتصال, اركيولوجيا ، اللاتزامنية وحداثة البصمة . باريس نشر مينوي ص 254.

-3 جاك داريللا 2007 « تأملات حول المنهج الإيقونولوجي لتأويل الأثر الفنّي»

-4 موريس مارلو بونتي « المرئي واللامرئي» باريس غاليمار ص 197.

-5 جورج ديدي-هيبرمان 1992ما نراه ما يرنا ، باريس نشر مينوي. ص 35.

-6 .جاك داريللا 2007, «» تأملات حول المنهج الإيقونولوجي لتأويل الأثر الفنّي»

-7 إيروين بانوفسكي 1976، « مشكلة وصف الأعمال». نشر إيروين بانوفسكي , المنظورية بوصفها شكلا رمزيا ، باريس نشر مينوي ص 244.

-8 جاك داريللا 2007، «» تأملات حول المنهج الإيقونولوجي لتأويل الأثر الفنّي»

-9حيلة فونوس يمكن ان تذكرنا إما بتماثيل الرومانية او مثلما يرحظ ذلك واربورغ سلوك العذراء في الجمة .

-10 واربورغ 2015 محاولات فلوزرنسية باريس هازان ص 73.

-11جورج ديدي هيبرمان 2015 محاولة حول الرغبة- الغطاء باريس غاليمار ص84.

-12 آدا ناشكوهانتشوكو 2015 ADA NESCHKE-HENTSCHKE» المعنى الحرفي» ، التاويل ن معجم الفلسفة باريس فران ص432.

-13 جان ميشيل 2017 ، اومو تأويل باريس ، هارمان

-14 جاك داريللا 2007, «» تأملات حول المنهج الإيقونولوجي لتأويل الأثر الفنّي»

-15 إريوين بانوفسكي 2021، ماحولات في الإيكونولوجيا باريس غاليمار ص23.

-16 جورج ديدي هيبرمان (2008) التشابه بالاتصال ص93.

ناتالي هانيش، سوسيولوجيا الفن 2008 ص 13

«الصحراء تحتفي بفلسطين» في الدورة الرابعة من المهرجان الدولي للمسرح في الصحراء

صالح سويسي

تستقبل قرية الجرسين من ولاية قبلّي في الجنوب التونسي دورة جديدة من المهرجان الدولي للمسرح في الصحراء.

قد يبدو الخبر عاديا جدا، قرية في الجنوب تحتضن مهرجانا للمسرح، ولكن كيف لقرية تكاد تكون مجهولة حتى عند التونسيين أن تفتح أبوابها لاستقبال مسرحيين من كل أرجاء العالم ليجعلوا من صحرائها ركحا على مدى خمسة أيام بلياليها من 1 إلى 5 ماي 2024؟

هنا يتوجّب علينا العودة إلى البدايات، فهي بوصلتنا لفهم أصل الفكرة/الحلم، والبدايات هنا حكاية عشق للصحراء بطلها المبدع التونسي حافظ خليفة صاحب التجارب المتنوعة في الإنتاج والإخراج المسرحي.

من كثبان الرمال ينبثق الحلم

«اعتبارا لانتمائه الفطري والجغرافي والعائلي لولاية قبلّي عشق الصحراء وامتدادها، وآمن بأنّ هذا الفضاء الشاسع والرحب والساكن ليلا نهار قادر على أن تُبعث فيه الروح من جديد وإن يكون فضاء لفرجة مشهدية ملحمية ناطقة بفنّ جديد يحيي النفوس المتعطشة للإبداع في هذه الولاية».

من هذا المنطلق بدأت تجربة المخرج المسرحي التونسي في إخراج «الملاحم الفرجوية» في إطار المهرجان الدولي للتمور بقبلي، حيث قدم عديد الملاحم مثل «الأولاف» و«باب الوطن» و«حرية وطن» و«ثورة الصحراء» و«خضراء» و«صحاري الحب» و«ضفائر وطن»...

ومن خلال هذه الملاحم الفرجوية استطاع خليفة «إحياء منطقة قبلّي القديمة وأعطى للشباب فرصة الظهور والبروز والحلم بأعمال راقية مستقبلية، وأعاد أجواء ملاحم الإغريق المعتمدة على الديكورات والأزمنة الواقعية وسخر كل شيء في سبيل تقديم عمل فرجوي ملحمي أشبه بالمشاهد السينمائية على شاشة الواقع باعتماده الفرسان والجِمال والسيارات وصنع نماذج من الدبابات والطائرات وصمّم المعارك بالسيوف والمدافع والرشاشات».

بنجاح هذه الملاحم الفرجوية ازداد يقين المخرج التونسي، أن «هذه المناطق المهمشة جديرة بالفرح الدائم، ولها كل المقومات، مع هذا الشباب الفاقد لأبسط مظاهر التسلية والترفيه والتكوين وهو الأقرب إلى التعليم والاحتكاك بالآخرين والنهل من تجارب الكبار، لهذا كانت قبلّي وكل المناطق المتاخمة والمحرومة قادرة على احتضان العروض بما فيها المناطق والفضاءات غير المهيأة للعروض».

ما الصحراء إلا مسرح كبير

وبما أنه يعلم جيّدا أن «الجنوب التونسي والريف عموما، يفتقر إلى البنية التحتية لبناء المسارح، سواء مسارح الهواء الطلق أو المسارح المغلقة، وبحكم إقامته بين إيطاليا وتونس، أدرك جيدا معنى مركزية العمل الثقافي والانتاجات والإعلام، حتى في الجهات، إذ نجد في مركز الولاية كل المرافق المسرحية والفرجوية، مثل مراكز الفنون الدرامية، دور الثقافة أو المركبات الثقافية، و دور شباب، ولكن إذا ما ابتعدنا عن مركز الولاية ببضع كيلومترات، في أي جهة من جهات الجنوب يختفي كل مظهر من مظاهر الحياة الثقافية وتصبح المقاهي هي الملاذ الوحيد...

و«انطلاقا من إيمانه وقناعته بلامركزية العمل الثقافي وحلمه الكبير في تحقيقها في منطقته بالإمكانيات المتاحة، جاءت فكرة القافلة الثقافية للفنون الفرجوية والمسرحية، لتجوب الربوع حاملة معها ثقافات العالم ونجوم المسرح والدراما العربية والعالمية فكان المهرجان الدولي للمسرح في الصحراء حلما ثم فكرة ثم مشروعا ثم تنفيذا».

كان مشروعا لا يعتمد على أي فضاء مغلق، وإنما يعتمد أساسا على المساحات الواسعة لكثبان الرمال ويمكن تقسيمها إلى ساحات للعروض ومدارج للجمهور.

وكانت التجربة الأولى في قرية الصابرية وهي تجربة تأسيسية خلقت معنى الصدمة الفرجوية للهيأة والفنانين والجمهور الغفير من جميع الأعمار، كانوا كمن يكتشف معنى المسرح والفرجة لأول مرة.

الصحراء حضن المسرح

بعد نجاح دورته الأولى التأسيسية في قرية الصابرية ثم دورته الثانية (دورة التأكيد) في قرية بشني ودورة الامتياز الثالثة في قرية النويل، تتواصل القافلة الثقافية في ولاية قبلي لتحط الرحال هذه السنة في قرية الجرسين الحالمة من 1 إلى 5 ماي 2024 ويواصل المخرج ومدير المهرجان حافظ خليفة قيادته لهذه الرحلة حاملا معه تاريخه ونجاحاته وأحلامه و برامجه وضيوفه ليسعد أهالي الجرسين والكليبية وسوق الاحد ودوز وجمنة والقلعة وكل أهاليه وأهالي ولاية قبلي واضعا كل ثقله مؤمنا بانها ستكون دورة مميزة على جميع الأصعدة من حيث البرامج والعروض والورشات والضيوف والشراكات الهامة والداعمين له.

و«إيمانا منه بخلق شكل فرجوي جديد في قلب الصحراء وبأن هذه الدورة ستكون فرصة لتعزيز مفهوم أدب الصّحراء كفضاء للإبداع، وكمسرح صالح لكلّ التّعابير المسرحيّة المعاصرة، فإن مؤسس المهرجان المخرج المتمرد والمتمرس حافظ خليفة يؤكد أنّ هذا المهرجان هو قافلة ثقافية متنقلة بأتم معنى الكلمة، إذ هي تغوص في عمق الصحراء حاملة معها شكلا فرجويا جديدا لفك العزلة الثقافية عنها معتمدا على «عروق الرمل»

والمساحات الصحراوية الممتدة كسينوغرافيا طبيعية لخلق جمالية مشهدية الفيافي في كل ربوع الجنوب».

وحول جديد المهرجان في دورته الرابعة يقول خليفة «ستأخذ العروض والورشات والندوة العلمية منحًى أكثر شمولية واتساعا، إذ سيتم تشريك المناطق المحاذية مثل «الكيلبية» و«واحة سكوليو»، كما تتعدد فضاءات العروض مثل مدرسة الجرسين والمعهد العالي للدراسات التكنولوجية بقبلي و«غابة شينيليا» ودار الشباب بقبلي والمدرسة العدادية بالجرسين ومركز الدفاع والإندماج الاجتماعي ودار صالح الصويعي للفنون بدوز والمخيم الصحراوي بقبلي القديمة و«واحة الشكرية» بالجرسين والنادي الثقافي الجرسين ودار الثقافة ابن خلدون بسوق الأحد بقبلي.

عروض دولية وندوة وضيوف من القارات الخمس

منذ دروته التأسيسية، اعتادت هيأة التنظيم الرفع من سقف التوقعات، لتكون كل دورة لها توهجها وخصوصيتها، ولإثراء فعاليات الدورة الرابعة المهرجان تم تأثيث البرنامج على امتداد خمسة أيام بعروض وطنية ودولية للأطفال والكهول وللكهول من تونس ومن إيطاليا والمغرب وموريتانيا ولبنان والجزائر وايران والعراق والهند ورومانيا والبرتغال وسويسرا وبلجيكا وكندا وإسبانيا وألمانيا، وبالإضافة إلى العروض، سيتم تكريم عدد من الأسماء الفاعلة على المستوى الوطني والعالمي من تونس ولبنان وإيران وكوريا الجنوبية وسيكون محور الندوة العلمية «الحكاية الشعبية « ويشارك فيها أقطاب فن الحكاية.

وتعتبر الورشات العلمية والتكوينية أحد أبرز ركائز وأهداف المهرجان، حيث حققت الورشات في كل دورة نجاحا متميزا على مستوى الحضور والمخرجات الفنية والتكوين البيداغوجي والأكاديمي، وتتميز ورشات الدورة الجديدة بالثراء والشمولية ويشرف عليها أساتذة ومؤطرون من تونس والسويد وبولونيا ورومانيا وإيطاليا.

وتتوزع محاورها حول «مسرح الفوروم» و«الرقص المسرحي» و«فن صناعة الأقنعة»

«مسرح الارتجال» و«مسرح الادماج» و«فن الفروسية» وبرنامج المسعف الصغير.

كذلك سيتم تنظيم يوم بيداغوجي للأساتذة والمعلمين ومتفقدي التربية حول فن الحكاية والبداغوجيا المسرحية والحكاية الشعبية والتحولات المسرحية من تونس هذا بالإضافة إلى تقديم كتاب الحكاية التاريخية للدكتور زهير بن تاردیت.

الصحراء التونسية تحتفي بفلسطين

دعما من المهرجان للقضية الفلسطينية، تستضيف هذه الدورة فلسطين لتكون ضيفة شرف، كما قررت هيأة المهرجان أن يصبح شعار الدورة الرابعة «الصحراء تحتفي بفلسطين» من خلال مسرحية «بأم عيني – نكبة 1948» للفنان الفلسطيني غنام غنام.

وتسلط مسرحية «بأم عيني 1948»الضوء على يوميات الفلسطينيين وتمسكهم بكل معاني الوطنية والحق والهوية وهي الحلقة الثالثة بعد عرضين قدمهما الفنان غنام غنام وهما «عائد إلى حيفا» و«سأموت في المنفى» والعروض الثلاثة لها منهجية واحدة حيث يقدمها صاحبها في فضاء قاعة مفتوحة وليس على خشبة مسرح.

الحكواتي في الصحراء

ارتأت الهيأة المديرة للدورة الرابعة من المهرجان الدولي للمسرح في الصحراء، أن يكون فن الحكاية من أبرز فقراته، إذا تمت دعوة نجوم الحكاية في تونس والعالم على غرار النجمة اللبنانية سارة قصيرة والفنان القدير صالح الصويعي ونجم الحكاية الشعبية في السنوات الأخيرة صاحب «حكايات دوريش» الفنان هشام درويش والفنان العروسي الزبيدي والفنان البغدادي عون ونجم الحكاية الفلسطينية الفنان غنام غنام.

وبالتوازي مع مختلف الفقرات المبرمجة في الدورة الرابعة أعدت الهيئة المديرة برنامجا ترفيها للضيوف ولرواد المهرجان يتمثل في زيارات فنية وترفيهية وبرنامج شبابي في إطار مخيمات في الصحراء.

الشاعرة سوسن العجمي تدرس حضور الماء في روايات تونسية

هيام الفرشيشي

سوسن العجمي هي كاتبة وشاعرة صدرت لها العديد من الدواوين، وهي: «رشفة من ثغر أبي» التي ترجمتها الأكاديمية ابتسام ساسي إلى الفرنسية، «حروف الشر» الصادرة في لندن، و»كتاب الليل». سوسن العجمي المجبولة بحب الإبداع كتابة ونقدا، لم تمنعها التزاماتها العائلية من مواصلة دراستها، فبعد سبعة عشرة سنة من الانقطاع عادت لمقاعد الدراسة ونجحت في مناظرة الباكالوريا لتلتحق بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، حيث حققت حلمها بدراسة الأدب، وتمكنت من أدوات ومناهج النقد والتحليل والتأويل عبر الدراسة عند أساتذة الجامعة الأكفاء. ومنذ التحاقها بجامعة منوبة واصلت سوسن العجمي دراستها بنجاح، توجته بحصولها على شهادة الماجستير منذ أيام بملاحظة حسن جدا، وذلك عن رسالة بحثها بعنوان: «كونية الماء وتجليات وجوده بين الحسي والجوهري في نماذج من الروايات التونسية». تأطير الأستاذ نورالدين بن خود رئيس مخبر السرديات. وتكونت اللجنة العلمية التي ناقشت العمل من الأساتذة الأجلاء سمير السحيمي ونورالدين بن خود ووناسة النصراوي.

اختارت سوسن العجمي تيمة الماء في دلالته الدينامية، وتنوع الكتب الشعرية والسردية التي اهتمت بالماء. وقد انطلقت الباحثة من البحوث الاستكشافية لجغرافيا الماء انطلاقا من آراء العديد من الفلاسفة. كما اعتمدت على النصوص المقدسة، فهي من أهم الكتب التي عالجت مسألة الماء وطرائق خلقه وفوائده ومساحاته في القرآن وفي الإنجيل. كمطلب ضروري لنيل رضا الله، كما عادت الى تراكم التجارب الابداعية والشعرية في السجل العربي الشعري القديم. تطرقت كذلك الى اهتمام نقاد الشعر الأولين والمحدثين المخصوص بعنصر الماء من خلال صور الماء البديعة واستعاراته ومجازه. وتمر إلى حفر واستدلال عميق في بواطن نماذج من الروايات التونسية حتى تبين مواطن ذكر الماء، وطرائق توظيف معجمه بمختلف مفرداته في مستوى الحكاية ومستوى الخطاب الروائي. وهذه التوليفة جعلتها أمام مغامرة بحثية لا تخلو من صعوبات عدة، أهمها الانطلاق من ظاهر السرد نحو الحفر في أعماقه وبواطنه للكشف عن الأبعاد والدلالات والرموز.

وقد اختارت الباحثة أن تدرس مدونة سردية تونسية من جنس الرواية، تضمنت نصوصا لأربعة كتاب من أجيال مختلفة:

«عبد القادر بن الشيخ» مؤلف رواية «ونصيبي من الأفق «الصادرة في 1971. التي وقع عليها الاختيار كواحدة من أفضل مائة رواية عربية، وقد عالج فيها قضية الأرض المفقودة وخيبة النزوح إلى سراب العاصمة، وقد حولها المخرج إبراهيم باباي سنة 1971 إلى فيلم سينمائي بعنوان "وغدا" توج في نفس

السنة بجائزة منظمة الوحدة الأفريقية. كما أصدر للأطفال مجموعة «حيوانات تتكلم».

الروائية آمنة الرميلي في مصنفها «توجان» الصادرة في 2016. وآمنة الرميلي هي قاصة وروائية كان لها نصيب وافر من الجوائز التونسية عن أعمالها القصصية والروائية. ففي الرواية أصدرت «جمر وماء» ، « الباقي»، «توجان»، «شاطئ الأرواح» ولها العديد من المجاميع القصصية آخرها « الجيعان»، وأصدرت عددا لا بأس به من الكتب الفكرية.

رواية راضية الشهايبي « شنقرارا » الصادرة في 2016. وقد نشرت الشهايبي العديد من الدواوين: «ما تبقى من صمتي»، «تراتيل الترحال» مترجمة إلى الفرنسية والإيطالية صدرت بنفس العنوان بإيطاليا. «المسار الرقمي للروح»، «ديوان القهوة» ، «ارواح تائهة»، و»جسد قديم».

LÀ OÙ SE RÉTRÉCIT LE FLEUVE. مجموعة شعرية بالمشاركة صدرت بالكيباك بكندا.

وتناولت رواية « أطياف ماء قديم» لهيام الفرشيشي الصادرة في 2021 والتي عرفت قاصة أصدرت ثلاث مجاميع قصصية وهي: «المشهد والظل» الفائزة بجائزة الكريديف و»درع المثقف للثقافة والفنون» بأستراليا، «أوشام سرية» التي ترجمت بعض نصوصها للانجليزية في مجلات عالمية بامريكا واستراليا وبريطانيا، و»خيال الموج» التي كتب عنها عشرات الدراسات النقدية.

ويعود اختيار الباحثة سوسن العجمي لهذه الروايات إلى كونها قد جعلت للماء في المتخيل الحكائي وفي الخطاب حضورا هاما يسمح بتدبر دلالات الماء وأبعاده الرمزية من خلال تنوع التجليات السردية والنصية واختلاف الوظائف. وقد قسمت بحثها إلى قسمين. الفصل الأول عنونته «تجليات الماء في النص الروائي» ويضم ثلاثة مباحث: أولها البحث في تجليات الماء في عتبات النصوص مرورا إلى تقنيات السرد في المدونة الإبداعية. وصولا إلى الماء وعلاقته بالشخصيات الروائية. في الفصل الثاني فقد نظرت إلى أبعاد ودلالات الماء. وبذلك تقصى بحثها كونية الماء وأولويات حضوره أو وجوده بين الحسي والجوهري من خلال نماذج من الرواية التونسية. والسؤال الذي طرحته الباحثة: هل في اختلاف النماذج الروائية ثمة نقاط اختلاف أم ثمة مشترك يجمع بين الروائيين؟

وفي هذا السياق اندرج بحثها وفق منهج البحث والتقصي والتحليل معتمدة في ذلك منهجا وصفيا تحليليا تأويليا، ركزت فيه على البنية السردية ثم معالجة الماء والشخصيات الروائية لتتبين أن العلاقة بما هو كوني طبيعي بما هو بشري وفق سمات الشخصية وصفاتها الداخلية النفسية والخارجية حيث وقفت على جدلية التأثر والتأثير لإثراء الحكاية في بعديها الوصفي والتأملي المجازي.

وحاولت الإجابة على سؤال محوري: كيف صاغ الرواة علاقة الشخصيات بالماء؟وماهي مرجعياتهم المعتمدة في ذلك؟، كما بحثت عن وظيفة هذا الخطاب الروائي المتصل بالماء، هل هو إشادة بهذا العنصر الكوني الحيوي في حياة الإنسان الخاصة من طهارة وإخصاب وتزكية وشفاء أم للماء

وظائفه الأخرى الاقتصادية والتجارية؟ ، وحاولت الإجابة عن أسئلة أخرى كونية منها ما يتصل بالفرق بين ما هو حسي و جوهري، علاقة وصل أو فصل بين ما هو كوني طبيعي وبين ما هو بشري أم أنهما مفهومان متعاضدان تعاضد النفس والجسد؟

في الخاتمة بينت الباحثة سوسن العجمي سعي هذا البحث الموسوم بالماء في محاولة تفكيكية وتحليلية للسرد الروائي، ورغم غياب المراجع التي تهتم بالماء في السرد فكان الاشتغال على آليات قديمة وحديثة من نثر وشعر ونقد، وقد ساعدتها النصوص الدينية في الإحاطة بمادة الماء وفهم كونيتها.

الماء ليس حكرا على الشعر وقصائده بل إن طرحه في السرد الروائي جعله ثريا بخصوصيته الكونية فتتابعه في الخطاب السردي شهد مركزية طاغية في أغلب المدونة وذلك الاستعمال المادي والمحاكاة والمجاز.

وخلصت الباحثة سوسن العجمي إلى العديد من النتائج، منها:

ـ عنصر الماء في السرد يثري المدونة النقدية.

ـ الشخصيات في الروايات مائية واتصفت بصفته.

ـ اللغة تعبر عن بواطن الشخصيات بسمات مائية مثلما تعبر عن الطبيعة.

ـ الذاكرة الشعبية والمعتقدات القديمة في مجملها تعتني بالماء وتسيطر على الرواة وتبرمج خطهم السردي.

ـ الماء رغم سلطته إلا أنه فاشل في تطهير الجروح الداخلية والخارجية.

جولة في معرض تونس الدولي للكتاب

مواكبة / محمد رضا البقلوطي

التضامن مع الشعب الفلسطيني محور الدورة الثامنة والثلاثين لمعرض تونس الدولي للكتاب التي تنظم من 19 إلى 28 أفريل الجاري بقصر المعارض بالكرم تحت شعار "امضي أبعد ممّا ترى عيناك وفي يدك كتاب" بمشاركة 25 دولة وتتضمن 314 جناح عرض منها 154 من تونس و160 لعارضين من الخارج. في حين ضيفة شرف الدورة إيطاليا؛ بجناح يمتد على 200 متر مربع وتتضمن البرمجة ورشات للأطفال وعروض أفلام وقراءات شعرية ولقاءات مع كتاب وفنانين ومبدعين من مختلف المشارب الفنية والأدبية من بينهم ألفونسو كامبيسي وروزي كانديانى وايفيليا سانتانجيلو وعزة الفيلالي وعبد العزيز قاسم وجوزيبي كونتي ومريم ذويب وسيلفيا فينزي وكلاوديو بوزاني وبيار فرنكو بروني وروبرتو مركاديني وغيرهم.

وفي فضاء المعرض يقدم الناشرون ما لا يقل عن 109300 عنوان كما يتضمن المعرض 20 جناحا رسميا للوزارات والمؤسسات والهياكل الوطنية والإقليمية والدولية فضلا عن الصناديق الأممية وغيرها. كما برمج منظمو الدورة 280 ورشة للأطفال تتوزع على 7 أجنحة سعيا لتقريب الكتاب بشتى أنواعه ومحامله، للأطفال بمختلف الأشكال الإبداعية تم إعداد برنامج ثري ومتنوع

(موسيقى – أدب- فنون الخط...) كذلك تم إدراج الواقع الافتراضي والمعزز ضمن البرمجة، بالتعاون مع عدة شركاء على غرار وزارة تكنولوجيات الاتصال ومركز تونس الدولي للاقتصاد الثقافي الرقمي وسيقع إسناد جوائز تشجيعية للأطفال المتميزين المشاركين في الورشات وذلك في اليوم الختامي للمعرض يوم 28 أفريل.

مشاركات وطنية ودولية متميزة احتفالا بالكتاب :

حضور متميز للضيوف خلال فعاليات الدورة 38 من عديد البلدان من بينهم الكاتب والفيلسوف الفرنسي ألن جونيون والفيلسوف والمفكر الفلسطيني أحمد البرقاوي والروائي الجزائري واسيني الأعرج إلى جانب المستشار محمود بيرم حفيد الشاعر بيرم التونسي، وكذلك نجل الشاعر الكويتي الراحل عبد العزيز سعود البابطين، فضلا عن تكريم الشاعر الراحل محمد الغزي.

وفي إطار الأيام الثقافية الدولية تتم مشاركة خاصة لضيوف تونس، ضمن برمجة فيها احتفاء بكتاب من لبنان والسنغال والأرجنتين واليمن وموريتانيا والصين والكويت وإسبانيا.

كما تستضيف هذه الدورة 6 ولايات يقدم ممثلون عنها بمناسبة المعرض خصوصيات كل جهة حيث يكون زوار المعرض في دورته الثامنة والثلاثين على موعد مع ممثلي ولايات المنستير وقابس والقيروان وصفاقس والكاف وأريانة...

وسيكون زوار المعرض على موعد مع مجموعة من الأنشطة التي تقام ببادرة من المؤسسات الراجعة بالنظر لوزارة الشؤون الثقافية منها دار الكتب الوطنية وبيت الرواية ومعهد تونس للترجمة ومركز تونس الدولي للاقتصاد الثقافي الرقمي إلى جانب منتديات عدة هياكل أخرى.

كما يستضيف منتدى الكتاب التونسي عددا من المبدعين والباحثين والجامعيين للتعريف بالإصدارات الجديدة من بينهم الدكتور سمير بشة الذي سيتولى تقديم موسوعة الموسيقى التونسية، ومحمد الكيلاني الذي سيقدم "الكتاب الرياضي" فيما يقدم هشام بن عمار كتاب " صورة وخيال"

فيلسوف الوجه

إلى كريم سعدون

محمود هدايت/ العراق ـ نِفَر

«إنَّ العلاقة بالغير من جهة أخرى هي علاقة بالوجه، إذ أن الوجه هو الكيفية الفريدة على الإطلاق التي يعبر من خلالها الغير عن نفسه ويعرض ذاته للأنا. إذ عبر الوجه يستثني الإنسان ذاته عن الأشياء الأخرى في العالم»
عبد العزيز بومسهولي

لا تحوز الفلسفة إيقاعها الرشيق كحياة للفكر إلا في الذهاب نحو المستحيل الإنساني، إذ إنَّ مهمة الفيلسوف تكمن في الاستهداف الدائم وغير المحايد للعمق الإشكالي. في الواقع، إنّ هذا النمط من التفلسف يحيل إلى ضرب من الخروج عن السّائد الفلسفي.

لا يكتفي الفيلسوف بالتموضع داخل الثيمة المراد التدافع معها بمفاهيم تُنشد الجديد في حركتها، لا سيما إذا كنا أمام مجرَّة فلسفية اسمها «إيمانويل لفيناس»، الذي دخل معه التفلسف في عهد جديد، عهد الصداقات الفكرية مع غير وجودي، المنبثق من ضرورة الانفتاح على الحياة كممارسةً «وجَهية» تكسر جمود التقبّل، وتضع الإنسان على محكّ الوجود كـ«ظاهرة غير» يترسَّخ وجودها في الوجدان والعقل على سواء.

ليس ثمة غير الوجه يمكن أن يكون مفتاحاً لفلسفة لفيناس، فسمو الكلمة يتحقّق في وجهنتها، إذ ليس بمقدور الفلسفة مواجهة العالم باحتمالية الوجه، ذلك أنَّ الوضوح هو شيفرة كل تواصل مع الغير، الذي لا تدوم شكوكه وقلقه إلا بحضور وجه قادر على استقبال هاوية السؤال الغيري. وهذا يعني أنَّه يتركز على تقاطع الفكرة بالوجه، ليصنع بذلك نوعاً من التنغيم السحري المفتوح على شغف الحضور المشترك، الحاضر بوصفه توطيناً للحياة في الغير، كعبور من الذات إلى كينونتها، فالغير من وجهة نظر لفيناس، في المقام الأول هو دعوة جلوس إلى «مائدة الوجه» بدافع الشراكة المنفصلة، أي الاجماع على ضرورة غير متنوّع.

يمكن اعتبار فلسفةً لفيناس بورتريه لأزمنة القلق، فما صادفته من أزمات جعلت منه ذاك الصوت الذي يبحث عن اكتماله في صمت تحديقات بعراء المأزق، ربما هذا هو السّبب الأصل الذي دفعه إلى العمل على مواجهة إشكالية هويته اليهودية بوجه أصيل، ينظر إلى الغير كمرآة كونية، راصدة لحميمية الأعماق، التي تعرّضت بفعل حربين عالميتين إلى هزات صَدَّعت كيان الوجود، فبات الإنسان متخلخل الحضور تشويهاً، من هذا الثَّلم الفكري جاء رهان لفيناس على أهمية ضيافة العالم فلسفياً كوجه يتكلم كوارثه، ويرسم بشحوبه ما يعاني. فالوجه كتاب يؤلف بحدَّة التجربة وأصالتها، ويُقرأ كشريك غيريٍّ، نختبر بوساطته إمكانية السفر إلى الأغوار دونما كليشيهات تواطؤ. بيد أننا في أحيان أخرى ينبغي علينا ألّا نتعالى على حاجتنا لمسحة من هذا التواطؤ، الذي هو في النهاية عتبة لبلوغ (الوجه). وتجلى هذا الانفتاح في التفافه حول هيدغر، بلا محاذير من مواقفه المعارضة للسامية في تأييده لسياسة هتلر، ومما يبدو أنَّ هيدغرية لفيناس تنطلق من إيمانه بـ«الوجه ـــ الضد»، الحضور المؤدي إلى فلسفة سعيدة كرغبة في الاتصال، حيث الوجوه أرخبيلات تتصل ببعضها عندما تغدو الكلمة هي الرابط الأساسي لفكرة الزحف على الذات. فالعيش بصحبة الغير هو تورط في علاقة مع الوجه، أو تهذيب وجهي للوجود، فأيَّ وجود مرجو دونما وجه يتموضع فاصلة بين الموت والحياة. بناء على هذا التراسل ما بين دريدا وغادامير، يمكننا القول إن حوار الكلية واللامتناهي، بشكل أساسي هو تجريد فلسفي للعالم بوصفه وجهاً يفتّش عن قيامته الوجودية في الغيرـــ الملتبس. ولا شك أن جهود لفيناس الكبيرة قد أضفت إلى فلسفة غير مسبوقة في تداخلها مع فلسفات عصرها، ودخلت في نقاشات وسيعة وشائكة، منحتها الصدارة والتميز، إذ هي فلسفة حياة تبحث عن إيقاعها في ترحال بعيد، بحثاً عن ما يمكن أن يجعل الوجود ممكناً في أزمنة الموت الذي لا تُخفف حدَّته إلا بتفلسف جسور. ويكمن سرّ جسارة لفيناس في إصراره الدائم على أهمية الحديث مع العالم وجهاً لوجه، بلا وساطات ولا وسائط، أي حديث الضوء مع الظل.

كما امتازت فلسفته بالجمع بين التراث والحداثة، فجاءت أطروحاته رفيعة المستوى، وآهلة بتشعُّب العلوم وتداخلها الفكري، ومثلما تنوعت صداقاته وعلاقاته الإنسانية والفكرية، استطاع أن يأتي بنص فلسفي وفير المناهل، ما جعل من العسر تصنيف فلسفته، هذا دليل سعة اطلاعه، وتضلعه في التفلسف غير المحدود، إذ لا كليةَ ولا تناهياً من دون التبحر في النصوص الكبرى وارتباطها بالأزمات المعاصرة دونما محاذير سياسية ودينية، وعلى الرغم من أنه يهودي المنبت، بيد أن ذلك ما يمنعه من ممارسة نشاطه الفكري بعقل طليق، غايته الأسمى هي أن يرقى إلى مصاف السعادات المثلى من خلال تفلسف مرآوي يمكنه من التعرَّف بوضوح على ملامح الهاوية.

في البدء كان الوجه ـــ الكلمة، دليل الفكر في ديناميس العالم، رغبة الحضور الدالة على حركة يسترشد الوجود به في السؤال عن أصله، على ضوء هذه الرؤية إنَّ تناول لفيناس للوجه لا يخلو من إيقاع ديني، وكما نعلم أن الحجاب أو اخفاء الوجه هو صفة إلهية في الأديان التوحيدية، ولا شك أن سر تعظيم الله يكمن في الحجب والتخفي، كما أن في رفع ذلك البرقع سيؤدي إلى اضمحلال وتلاشي رمزية الإله، كذلك يمكن اعتبار عبادة لله وطاعته رغبةً في التعرَّف على «الوجه الأسطورة ـــ الله»، بذلك يكشف الفكر الليفانسي حقيقة تركيزه على ثيمة الوجه، وجعلها مداراً لفلسفته.

هيدغر

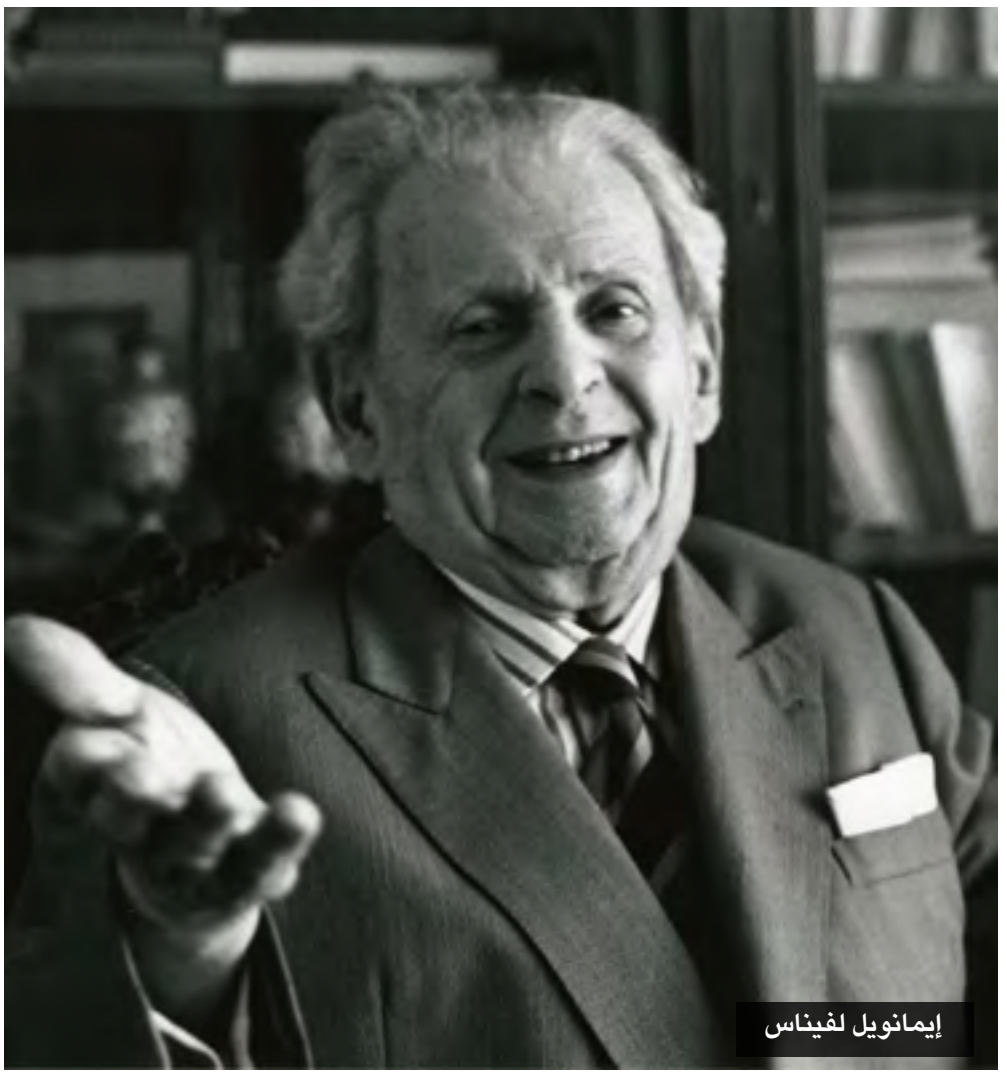
إيمانويل لفيناس

الموسيقي الدكتور أنيس القليبي :

العازف الأمهر الذي يتأبط الكمان .. يروي شيئا من سيرة "عصفور عاشق"..

شمس الدين العوني

ماذا يقول القلب لسيده حيث أصوات تلون الوجود في دلال وشجن عظيمين..ماذا لو شكلت الأوتار خطاها وهي تمضي الى جهة في الروح حيث جمال وبهاء وحسن ...وبوح مبين ..ها هي اللغة الأخرى تتقصد مداها تجترح من ينابيعها شيئا من دفتر الرغبات وإيقاعات الأمكنة والأشياء والعناصر تتقصد فكرة حالها تجاه الكائن الذي لا يطلب غير صمت وانتباه وسفر فيها وتجاهها قولا بالجواهر..جواهر الحال والتفاصيل ..

ما ذا لو كان الأمر يدعونا الى الانتشاء والرقص والذهاب عميقا في شواسعنا لنعيد الأشياء الى هدوئها في هذا الصخب الكوني القاتل حيث تداعيات شتى تربك الانسان وتعلي من شؤون السقوط المريع..ها هي اذن تأخذنا طوعا وكرها الى عوالمها الناعمة الطالعة من عزف ونزف...

انها هي التي...انها موسيقى الذات من قدم في حلها وترحالها وتعدد ألوانها لا تلوي على غير البوح باعتمالات الدواخل في كثير من الانسياب والعذوبة والعبارات الباذخة..الموسيقى لغة القلب وهو يفشي بوحه النادر مثل فراشات من ذهب الازمنة... وهكذا..

من هنا نمضي مع الموسيقى التي تخيرها صاحبنا من طفولة عابرة مقيمة في ذاته المثقلة بالأحلام تشوفا لما به تسعد الأذن والعين وال...حواس في عنفوان احساس وحنين تجاه الماضي و..القادم .

ها هو ..الذي أراه يحاور الكمان اجتراحا للنغمات.. للموسيقى المبثوثة في حواسه متجولا في الجهات والأمكنة لا يلوي على غير القول بالكمان آلته الساحرة يؤلف بها ومعها شيئا من رغبات القلب ليسافر السامع والناظر عندئذ الى عوالم داخله المنسية..الموسيقى المنبعثة من " الكمنجة " تنسكب في الأنفاس الطالعة من جسد أرهقته الشؤون و الشجون ..

ها هو العازف الأمهر..أنيس القليبي الذي يمشي مع الناس والى الناس متأبطا " كمنجته " بكثير من التحنان فهي شريك شجن و بهجة وألق..سافر وهي معه يحضنها فتحرسه وتهبه شيئا من عطورها ..

تعددت أعماله الموسيقية ومشاركاته في تونس وخارجها وقاد المجموعات العازفة وذهب في أرض الموسيقى مشرقا ومغربا فخبر الكمان والأسرار وباحت ذاته بالجمال الموسيقي في معزوفات رائقة ..

قدم عديد العروض في العزف على الكمنجة حيث يقول "... أنا أول عازف كمنجة في تونس يقدم عرضا كاملا من تأليفه خصيصا لالة الكمنجة..." وقد تحدث كثيرا عن علاقته بالكمنجة وعن اختياره لهذه الآلة منذ بداية مشواره مع الموسيقى ..." وفي كل أحاديثه ومعزوفاته ونشاطه الموسيقي هذا كان أنيس القليبي الفنان والدكتور عاشقا متيما للكمان ..مستلهما من هذا العشق الجنوني النبيل الجميل فكرة " العصفور العاشق " التي كانت معزوفة القلب حيث يشد بها السامعين في جمال عزف بارز وحلم كامن في الحكاية والتفاصيل..

هاهو العازف يواصل اللعب العالي مع اوتار كمانه مبحرا في العوالم حيث موسيقى تطلع من أنهار قديمة و بساتين و... حكايات اخرى لا تصلح لكتب التاريخ والروايات..انها موسيقى باذخة ...و..فقط.

عازف مكتظ بطفولة العوالم و أصوات الأرجاء والأمكنة لا يرتجي غير قول بليغ يبثه في النغمات فيطغى العزف والنزف ..انها موسيقى العصافير.. والطيور البعيدة.....والقلب المفعم بالنشيد..وبالآه...

رد إيران يُكرّس تبعية إسرائيل لأمريكا.. والعبرة في "نيفاتيم"!

إلياس فرحات. عميد ركن متقاعد. لبنان

في الأول من نيسان/أفريل 2024 تعرّض مبنى القنصلية الإيرانية في دمشق والذي يُعتبر أرضاً إيرانية، وفقاً لاتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية، إلى قصف إسرائيلي أدى إلى تدميره ومقتل سبعة إيرانيين أبرزهم قائد الحرس الثوري في سوريا ولبنان الجنرال محمد رضا زاهدي. اعتبرت إيران الهجوم اعتداءً على سيادتها ومساً بهيبتها. لذا، قرّرت بلسان مرشدها ورئيسها الرد، فدخل العالم بأسره في مرحلة انتظار. وحدها إسرائيل كان انتظارها ثقيلاً ومُرهقاً ومُكلفاً. ليل 13 – 14 أفريل، أطلقت إيران 185 طائرة مسيرة و110 صواريخ باليستية و36 صاروخاً مُجنحاً (كروز) من الأراضي الإيرانية باتجاه خمسة أهداف عسكرية داخل فلسطين المحتلة. تُقدّر مسافة الرمي بـ1200 كلم. تُعتبر هذه الضربة الأولى في التاريخ العسكري، لجهة إطلاق عدد كبير من الصواريخ والطائرات المُسيرة وعبور أجواء دول أخرى لقصف أهداف في أرض دولة معادية.

دور القيادة الوسطى الأمريكية

في العاشر من أفريل، زار قائد القيادة الوسطى في الجيش الأمريكي (سنتكوم) الجنرال مايكل كوريلا إسرائيل لمدة يومين عقد خلالهما اجتماعات تنسيقية وظيفتها "الدفاع عن إسرائيل في مواجهة الضربة الإيرانية المنتظرة". توسع التنسيق ليشمل القوات الجوية الأميركية المنتشرة في المنطقة مع القوات الجوية الإسرائيلية والقوات الجوية البريطانية في قاعدتي أكروتيري ودكلبا في قبرص والقوات الجوية الفرنسية في الأردن، بالإضافة إلى القوات الجوية الأردنية. كما جرى التنسيق بين أجهزة الإستطلاع والإنذار المبكرة الأمريكية ونظام القبة الحديدية في إسرائيل ووحدات الدفاع الجوي وبينها منظومات صواريخ باتريوت في عدد من دول المنطقة وكذلك على متن بوارج أمريكية في عرض البحرين المتوسط والأحمر، فضلاً عن طائرات وظيفتها تزويد مقاتلات الجو الأميركية والإسرائيلية بالوقود أثناء تحليقها في الجو. كان مُقدّراً أن أول إنذار سيكون مصدره القاعدة الأميركية في تلة هار كيرين في النقب جنوب غرب بئر السبع، وهي القاعدة الأجنبية الوحيدة في إسرائيل وتم تدشينها في العام 2009 "تحسباً لهجوم إيراني"، ويرمز اليها البنتاغون بـ"الموقع 512". تضم القاعدة نحو مائة جندي أميركي، بينهم عناصر يعملون على شاشات رادار (X BAND) الذي يكشف طابة (كرة) صغيرة على مسافة أربعة آلاف كلم، ويُعتبر الأكثر تطوراً في العالم. يرتدي عناصر الرادار زياً خاصاً يحميهم من الإشعاعات الكثيفة الصادرة عنه. يُمكن لهذا الرادار أن يكشف انطلاق صاروخ من إيران خلال ثوانٍ قليلة، أي قبل أن تكشفه القبة الحديدية في إسرائيل بـ٧ دقائق. خلال زيارة الجنرال كوريلا إلى إسرائيل، تم ربط هذا الرادار بنظام انذار يشمل كل القوات الجوية والقوى المشاركة في الدفاع الجوي عن الدولة العبرية. لهذه الغاية أيضاً، من المفترض أنه تم إنشاء مركز قيادة آلية يتعامل مع مئات الأهداف الجوية (مثل هذا المركز متوافر في جيوش عديدة) حيث يجري توزيع الأهداف المهاجمة في الجو من طائرات وصواريخ على وحدات الرمي المشاركة في المناورة الدفاعية. وفور كشف موعد الهجوم، أعلن الأردن عن اغلاق مجاله الجوي أمام حركة الملاحة الجوية المدنية، وباتت منطقة تمتد على طول الحدود الأردنية الإسرائيلية (نحو 335 كلم وبعمق أكثر من 200 كلم شرقاً) عبارة عن منطقة عمليات دفاع جوي.

سير العمليات

ليل 13 14- أفريل، أطلقت إيران المُسيّرات والصواريخ. عادةً تحتاج هذه المُسيّرات والصواريخ المجنحة إلى فترة من ساعتين إلى ثلاث ساعات للوصول إلى الأهداف المُحدّدة فيما تحتاج الصواريخ الباليستية إلى نحو 30 دقيقة. تمكنت القوات الجوية المُستنفرة من مُلاحقة المُسيّرات والصواريخ المجنحة الإيرانية واعتراضها وإسقاطها عند اقترابها وبالفعل سقط معظمها (وربما جميعها) قبل وصوله إلى الأجواء الإسرائيلية. أما الصواريخ الباليستية، فقد وصلت إلى الأجواء الفلسطينية وشاهدها السكان وصوّرها المراسلون الصحافيون واعترضتها وحدات الدفاع الجوي المشتركة وتمكنت من اسقاط معظمها ما عدا نحو 15 صاروخاً. كانت المفاجأة أن بضعة صواريخ باليستية اخترقت هذا النظام الدفاعي المتين وغير المسبوق ووصلت إلى النقب وتحديداً قاعدة نيفاتيم القريبة من قاعدة هار كيرين الأميركية وانفجرت وأحدثت أضراراً كبيرة في مطار القاعدة. كما سقطت بضعة صواريخ أخرى على موقع في الجولان. الجدير بالذكر أن إيران لم تستهدف أية منشآت مدنية أو مدناً أو بنى تحتية، وبالتالي تركز الهجوم على خمسة أهداف عسكرية إسرائيلية. وسرت أنباء غير مؤكدة أن الصواريخ التي وصلت إلى نيفاتيم هي صواريخ فرط صوتية (HYPERSONIC) لكن لم تعلن إيران ولا الولايات المتحدة رسمياً عن ذلك.

نتائج الضربة

أولاً؛ أثبتت الوقائع أنه لا يمكن لإسرائيل وحدها أن تدافع عن نفسها ضد هجوم إيراني من دون دعم ومشاركة المنظومة الغربية ولا سيما الولايات المتحدة، ويبدأ ذلك من قاعدة هار كيرين في النقب وصولاً إلى القواعد الأميركية والأساطيل المنتشرة في المنطقة، وهذا الأمر يجعل إسرائيل تابعة كلياً من الناحية الدفاعية للولايات المتحدة وتُشكّل عبئاً دفاعياً ضخماً ترزح تحته وزارة الدفاع الأميركية خصوصاً بعدما أعلن أن كلفة مواجهة الضربة الإيرانية بلغت حوالي المليار وثلاثمائة مليون دولار. ثانياً؛ عدم قدرة إسرائيل على مهاجمة إيران من دون مشاركة الولايات المتحدة ودعمها، أقله لجهة الاستعداد لأي رد فعل إيراني على أي رد إسرائيلي، الأمر الذي يفتح الباب أمام احتمال ضربة إيرانية مماثلة. وفي حال قرّرت إسرائيل توجيه ضربة محدودة لإيران من غواصات دولفين المنتشرة في أعماق خليج عُمان فإن ذلك لا يضمن أن ترد إيران بكمية صواريخ أكبر وربما أكثر تطوراً، ما يعني أن ذلك يُمكن أن يُلحق أضراراً بالغة بإسرائيل. ثالثاً؛ يُحاول رئيس مجلس الحرب الإسرائيلي بنيامين نتنياهو من خلال تلويحه بعمل عسكري إسرائيلي منفرد أن يُعيد صورة الدولة المستقلة لإسرائيل بعدما اتضح إثر الضربة الأخيرة مدى تبعيتها للولايات المتحدة، وكذلك اعادة الاعتبار إلى صورة الردع الإسرائيلي. هنا، يتبدى السؤال الآتي: إذا كان نتنياهو يُهدّد بالرد بعد اعلان إيران انتهاء العملية، فلماذا لم يرد خلال العملية نفسها أو حتى قبلها لا سيما وأنه كانت لديه فترة انذار كافية لاتخاذ مثل هذا القرار؟ هذا السؤال يستدرج الجواب الآتي: لم يعد بمقدور نتنياهو مخالفة القرار الأمريكي ولن يستطيع ذلك مستقبلاً. رابعاً؛ حاولت إسرائيل تظهير صورة نصر استراتيجي وتمجيد القوات الجوية الإسرائيلية وإنجازاتها في الدفاع الجوي، في مواجهة أكبر ضربة جوية غير مسبوقة وإسقاط معظم الطائرات والصواريخ قبل وصولها، لكن الخرق الكبير والمتمثل ببلوغ عدد من الصواريخ قاعدة نيفاتيم المجاورة لقاعدة هار كيرين الأميركية ومفاعل ديمونا النووي نغّص فرحة تل أبيب وترك قلقاً عميقاً في قلب المؤسسة العسكرية والأمنية الإسرائيلية. فهل تتعظ إسرائيل من هذه الضربة وتخرج من العنجهية وعقدة التفوق المطلق ورفض التسويات بعدما أنهت الضربة الإيرانية كل ما حاولت انكاره بعد انتصاري العامين 2000 و2006 في لبنان وبعد ضربة "طوفان الأقصى" في السابع من تشرين الأول/أكتوبر؟ هل يدفعها ذلك إلى التعقل الذي يُجنّبها مسار الانحدار الحالي في رمال غزة.. والمرجح أن يستمر إذا مضت في المسار إياه؟

ذبيح اللـه وذبـيحة الآلهـة

الناصر التومي - كاتب

شعيرة تقديم القرابين بدأت من نزول آدم إلى الأرض، ولعله هو أول من قام بها، و أشار على ابنيه قابيل وهابيل بتقديم قربانين إلى لله فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وقد جاء في العهد القديم ذلك:

وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين، وقالت اقتنيت رجلا من عند الرب، ثم عادت فولدت أخاه هابيل، وكان هابيل راعيا للغنم وكان قايين عاملا في الأرض وحدث بعد أيام أن قايين قدم من ثمار الأرض قربانا للرب، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر فاغتاظ قايين جدا وسقط وجهه فقال الرب لقايين اغتظت ولماذا سقط وجهك، إن أحسنت أفلا رفع وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها.(سفر التكوين الإصحاح الرابع)

نلاحظ هنا أن القربانين هما نتاج الأرض من الحبوب ومن الغنم.وذكر أيضا في القرآن الكريم: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (المائدة الآية27).

وجاء في سفر التكوين الإصحاح الثامن أنّ نوحا لما رسا به الفلك على جبل ـ أراراط ـ بنى مذبحا للرب وقدم قربانا من البهائم والطيور الطاهرة شكرا لله، ولم يحصل أن طلب الرب من عباده الصالحين تقديم أبنائهم قرابين إلا مع النبي إبراهيم.

قصة ذبيح الله إسحاق في ـ العهد القديم

وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له يا إبراهيم، فقال هأنذا، فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال ..... فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله، بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب، ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم، فقال هأنذا، فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا، لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني، فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه، فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه، حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يرى.(سفر التكوين/ الإصحاح الثاني والعشرون).

قصة ذبيح الله إسماعيل في القرآن

قال الله تعالى: وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113) (الصافات).

وإن لم يذكر في القرآن اسم اسماعيل فإن المتبين من الصوغ القرآني أنه كذلك، ذلك أن الله امتحن نبيه إبراهيم في ابنه الوحيد إسماعيل الذي جاءه على الكبر، وقد بشره به من قبل ـ فبشرناه بغلام حليم ـ وإثر حادثة التضحية بابنه الأول بشر الله إبراهيم بإسحاق نبيا من الصالحين، واستدل العلماء بما جاء بسورة هود ـ فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ـ

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : أنا ابن الذبيحين أي اسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب(1).

إفجينيا ذبيحة الآلهة أرتيميديا في الأسطورة الإغريقية

تفاجأ «أغاممنون» ملك « أرغوس» بقدوم شقيقه « منيلاوس « ملك إسبرطة، يعلمه بأن باريس ـ (2) أحد أبناء « بريام « ملك طروادة نزل عليه ضيفا، وفي غفلة منه اختطف منه زوجته « هيلينا «(3) وعاد بها إلى موطنه، وأشار عليه بأن يعلن النفير في كامل الممالك الإغريقية لنجدته ومحاربة الطرواد.

أعلنت التعبئة العامة، وعين «أغاممنون» بوصفهقائد للحملة، على أن يكون خليج «إغليدا» هو ملتقى كافة المحاربين، وتجمع سفنهم، ولما اكتمل عددهم وهموا بالإبحار، ركدت الرياح وحالت دونهم والاتجاه إلى طروادة، وطال الانتظار دون جدوى، ولما سئل العراف « كالخاس « عما يجب عليهم فعله أجاب:

ـ لن يهدأ غضب الآلهة « أرتيميديا»(4) على اليونانيين إلا بعد أن يضحّوا لها ب «إيفجينيا» الفاتنة ابنة « أغا ممنون» قائد الحملة، فداء لقتله إحدى غزلان الآلهة، وبعد الضغط على « أغا ممنون « تمت دعوة « إفجينيا « وأمها « كلمنسترا»(5)

1 ـ كتاب قصص الأنبياء لابن كثير. باب حديث إسحاق عليه الصلاة والسلام. من صفحة 225إلى 227.

2 ـ «باريس» ابن «بريام» ملك طروادة من زوجته « هيكابا» التي رأت في منامها حلما مخيفا وهي حامل به، وكأن حريقا هائلا يلتهم طروادة، فاستيقظت مذعورة وقصت رؤياها على زوجها فاستدعى المنجم الأعظم لتفسير هذا الحلم، فأنبأهم أن الملكة ستلد مولودا يكون سببا في دمار طروادة، فما كان منهما إلا أن دفعا بالابن حال ولادته إلى راعي قطعان المملكة، ليلقيه في سفوح إيدا البعيدة، لكن الوليد نجا من الموت لما عثرت عليه دبة فأرضعته ثم وجده من جديد الراعي «أغيلاي»، فرباه مع أبنائه وأسماه «باريس» ولما كبر الفتى بز أقرانه جميعا في الشجاعة، وصار قدوة لبقية الرعاة حيث يحمي الماشية من الوحوش الكواسر. وصادف أن أقامت الهة الأولمب مأدبة زواج فاخرة لإحدى الآلهة، ولم تقع دعوة آلهة الخصام « إيريدا « وقررت الانتقام ببث الشقاق والعداوة بين الآلهة، فألقت بينهم تفاحة ذهبية من تفاح «الهسبريد» وخطت عليه عبارة واحدة ـ إلى الأجمل ـ ولما قرأ الجمع العبارة، دب الشقاق بين أجمل الآلهات « هيرا» زوجة «زيوس»، «أثينا» الربة المحاربة، «أفروديتا» ربة الحب، واستنجدن ب»زيوس» لحسم الموقف، لكنه وجد صعوبة لما للآلهة الثلاثة من مكانة وقرابة منه، فسلم التفاحة إلى رسول الآلهة « هرمز» على أن يتوجه إلى سفح جبال «إيدا» ويقدمها للفتى «باريس»، الذي سيتولى إسنادها إلى أجمل الآلهة، وحلق «هرمز» والآلهة الثلاثة إلى حيث «باريس» في مرعاه، وقدم له «هرمز» التفاحة وأعلمه أن «زيوس» بنفسه كلفه بأن يقدمها لأجمل الآلهة، تردد «باريس» في البداية، فوعدته «هيرا» بان تملكه آسيا بأسرها، أما «أثينا» فوعدته بالأمجاد والانتصارات في كل حرب يخوضها، أما «أفروديت» فأغرته بأن تزوجه أجمل نساء الدنيا ابنة «زيوس» و»ليدا» «هيلين» الفاتنة الساحرة، فحكم «لأفروديت» بتاج الجمال.

أقام «بريام» مباريات رياضية والفائز يتحصل على أفضل ثور لدى قطعان «بريام»، التي كان يرعاها «باريس»، فعزم «باريس» على المشاركة في هذه المباريات وانتصر على منافسيه، فغضب أحد أبناء بريام « دييثوب» وهم بالفتك به فهرب منه واحتمى بمحراب « زيوس» حيث تعرفت عليه «كاسندرا» شقيقته، وأقام «بريام» الأفراح بعودة ابنه الذي كان يخاله قد هلك، وجاءت «أفروديت» إلى «باريس» لتذكره بوعدها له، فامتطى سفينة واصطحب معه بعض بحارة المملكة، وقادته إرادة «أفروديت» حتى مملكة «لاكونيا»، فنزل ضيفا على ملكها «منيلاوس» وزوجته «هيلين»، فافتتنا ببعضهما، وما إن غاب «منيلاوس» عن قصره لبعض شؤونه، حتى أفلح «باريس» في استمالتها للهروب معه إلى» أليون» عاصمة مملكة طروادة.

3 ـ «هيلين» ابنة «ليدا» من « زيوس».

4 ـ «أرتيميديا» أخت «أبولو» واحدة من أقدم ربات اليونان، كانت في البداية حامية الحيوانات، تمثل أحيانا على هيئة حيوان دبة، وعلى هذه الصورة ظهرت «أرتيميديا» البراورونية في «أتيكا» غير بعيد عن أثينا، وصارت بعد ذلك حامية الآم عند وضعها وهي التي تهب الولادة السليمة، وعدت ربة القمر، فاتحدت مع الربة «سيلينا»، وكانت عبادتها من أكثر العبادات انتشارا في اليونان، ومعبدها في مدينة «إيفيس»

5 ـ «كلمنسترا» شقيقة «هيلين» وزوجة «أغاممنون»، ما إن عادت

أساطير

للالتحاق بخليج «إقليدا» لإتمام زواج « أخيل» بطل أبطال اليونان ب»إفجينيا» لكن بوصولها حاول «أغاممنون» التراجع عن التضحية بفلذة كبده، لكنه فشل وخاصة أن الملل قد دب في القادة الذين كادوا يفتكون به، وغضب « أخيل» غضبا شديدا لاستغلاله في جلب «إفجينيا» لتلقى حتفها، وسعى لإنقاذها خاصة بعدما ترجته «كلمنسترا « والدة «إفجينيا» بأن يتدخل ويحول دون إزهاق روح ابنتها، لكن المحاربين كادوا يفتكون به هو أيضا رجما بالحجارة، واندفعوا نحو خيمة «أغاممنون» شاهرين أسلحتهم لإرغامه على تنفيذ أمر الآلهة، لكن «إفجينيا» أنقذت الموقف بأن وافقت على التضحية بنفسها من أجل أن تسمح الآلهة بإقلاع السفن نحو طروادة.

ولما تهيأت «إفجينيا»، تقدمت بنفسها نحو المذبح شامخة الرأس أخّاذة الجمال، ووقفت ثابتة بجوار المذبح، حيث تقدم منها العراف «كالخاس» ووضع على رأسها إكليلا، وأمسك بالسكين وهم بنحرها، عندها حدثت المعجزة، إذ أنقذتها الآلهة» أرتيميديا» صاحبة الفداء وطرحت بدلها غزالة جميلة فأصابها حدّ السكين، وأمام دهشة الجميع صاح العراف كالخاس في ابتهاج:

ـ هي ذي الأضحية التي طلبتها « أرتيميديا» ابنة «زيوس» مرسل الرعود، افرحوا وهللوا أيها اليونانيون فالآلهة تعدنا بسلامة الوصول والنصر على الطرواد.

وطارت الآلهة « أرتيميديا» ب»إفجينيا» إلى ساحل جبال « تافريدا « حيث صارت الفتاة كاهنة لمعبد الآلهة المجيدة.

نقاط التشابه:

نلاحظ تشابها كبيرا في كلا قصتي ذبيح الله اسماعيل، في العهد القديم والقرآن، وإفجينيا في الأسطورة الإغريقية سنحاول تبيانه:

ـ يوحي الله إلى النبي ابرهيم بذبح ابنه الوحيد لاختبار مدى طاعته لمولاه.

ـ توحي الربة «أرتيميديا» إلى العراف كالخاس بأن الرياح لن تسمح للأسطول بالاتجاه نحو طروادة إلا إذا ضحّى أغا ممنون بابنته الوحيدة»إفجينيا» كفارة له على قتله للغزالة المقدسة.

ـ يذعن النبي إبراهيم وابنه إسماعيل لأمر الله وأسلما نفسيهما لقضائه.

ـ يذعن «أغاممنون» وابنته «إفجينيا» لقضاء الربة «ارتيمديا».

ـ يهم النبي إبراهيم بذبح ابنه اسماعيل طاعة لله.

ـ يهم العراف «كالخاس» بذبح «إفجينيا».

ـ ينادى الملاك على النبي إبراهيم بأنه فاز برضا الله بتصديقه للرؤيا والإقدام على ذبح ابنه، وعوض بكبش مليح.

ـ طرحت الآلهة «أرتيمديا» غزالة جميلة لذبحها عوضا عن «إفجينيا».

ـ يشرّف إسماعيل بالنبوة.

ـ وتشرّف إفجينيا بأن تسند إليها الآلهة خطة كاهنة لمعبدها.

ـ في العهد القديم والقرآن : ابن ابراهيمالذكر عوض بكبش ذكرمليح من قبل الله الذكر.

ـ في الأسطورة الإغريقية: «إفجينيا» الأنثى عوضت بغزالة جميلةأنثى من قبل الآلهة «أرتيميديا» الأنثى.

أسطورة إغريقية أخرى شبيهة بقصة ذبيح الله(6)(بتصرف).

تزوج « أتامانت « ملك مدينة «أرخومين» الميسينية القديمة ابن إله الريح بآلهة الغيوم «نيفيلا»، وأنجب منها طفلين هما « فريكس»و« هيلا»، وعنّ له بعدئذ أن يتزوج من « لينو» ابنة « قدموس «، فكرهت الأخيرة ابني زوجها وعزمت على التخلص منهما، فدعت نساء مدينتها بأن يسلقن حب البذار ويجففنه، ولما تمّ زرع تلك البذور لم تنبت، وأحدقت المجاعة بالبلاد، فأنفذ الملك « أتامانت «رسولا إلى معبد دلفي المقدسة ليستطلع من كهنة «أبولو» عن سبب القحط، غير أن « لينو « رشت الرسول عند عودته فكتم عن زوجها ردّ الكهنة، ولفّق له جوابا كاذبا قائلا: لا زوال للكارثة إلا إذا ضحى الملك للآلهة بابنه «فريكس»، فقرر بعد لأي التضحية بابنه، وأعد العدة لتقديم القربان، وتلّ الفتى للذبح، وبلغت السكين عنقه لتحز رأسه، عندها نزل من السماء كبش ذهبي الجزة أرسلته الآلهة « نيفيلا» هدية من الإله «هرمز» لتفتدي به ولديها، وانحنى الكبش فاعتلى «فريكس» وأخته متنه فصعد بهما في الفضاء وطار بهما نحو الشمال.

وهنا نلاحظ أن المضحى به ذكر والكبش ذكر وهرمز الواهب ذكر مثل قصة ذبيح ابراهيم.

تأثير ذبح الأبناء على أساطير ما بين النهرين(7):

كاتب روماني يقول إنه يوجد في قرطاجنة تمثال برونزي لإله « مولوج « باسطا ذراعيه ويحمل أطفالا، بحيث يسقطون في النيران تحته، والاكتشافات الجديدة أثبتت أن صاحب التمثال لم يكن إلها ولكن تسمية « مولوج « هي طقوس بدائية كنعانية، انتقلت إلى قرطاج، وعثر في حفريات قرطاجية معابد وقبور بيونيكية كانت مخصصة لقرابين الأطفال البكور منه.

كما جاء في أحلى الأساطير التوراتية أنه يوجد إله واحد في مجمع الآلهة الفينيقية- الكنعانية واسمه « مولوك» وكان اسمه «أور « لدى السومريين وفي صور وقرطاج يسمى «ميليكارت» وتقدم الأطفال الحديثو العهد بالولادة قرابين.

نلاحظ هنا أن قصة تقديم «أغا ممنون» ابنته قربانا للآلهة هي نسخة طبق الأصل لقصة تقديم النبي إبراهيم لابنه، و تكاد تكون تضحية ـ أتامانت ـ الإغريقية هي أيضا مقتبسة من قصة الذبح الإبراهيمي، وقد دأبت عديد الشعوب على تقديم أبنائهم باعتبارهم قرابين للآلهة من قبل الكنعانيين وسليلتها قرطاج.

ذبيح مراد جانباز في ألف ليلة وليلة الهندية(8):

استمع حارس قصر ملك خراسان إلى مولاه باهتمام وهو يقص عليه رؤياه، وفجأة استمعا إلى صوت امرأة من بعيد يقول:

ـ ها أنت تاركة من يبذل نفائس العطايا ليفتديني بها.

فطلب مراد من الملك أن يسمح له بالذهاب إلى حيث ينطلق صوت المرأة في الفلاة لاكتشاف أمرها، فسمح له لكنه اتّبعه خفية ليعرف جلية الأمر بنفسه، فالتقى مراد بالمرأة التي قالت له:

ـ وأسفاه إنّ حياة ملك خراسان ماضية إلى الفناء لأنه قد دنا أجله.

فلما سمع مراد جانباز هذا الكلام وقع مغشيا عليه لما أصابه من الحزن فلمّا أفاق أخذ يبكي وينوح ثم تقدم من المرأة وقال لها:

ـ يا سيدتي أليس لهذا الداء من دواء لكي أبادر إلى إحضاره سريعا ولو اقتضى بذل حياتي فدية عن نفس الملك.

ـ لا دواء لذلك إلا إذا كان للملك محبّ مخلص يؤثر حياة الملك على حياته، فإن كنت لمولاك محبا شفوقا مخلصا فابذل حياتك وحياة عيالك فدية عن نفس الملك ليبقى اسمه مقيدا في سفر الحياة.

فكانت إجابة مراد بأن في استطاعته تقديم نفسه فداء للملك. لكن عياله لا سلطة له عليهم، إلا أن المرأة أصرّت على أن يقدّم أفضل عياله. عند ذلك أتى بيته وشاورهم في الأمر على أن يبدأ بتقديم عياله ثم يقتل نفسه. لكن ما إن هم بذبح أحد أبنائه حتى ناداه صوت:

ـ اعدل عن قصدك أيها الرجل ولا تمد يدك للغلام فقد نظر الله إليك بعين الرحمة وتأكد من خالص توبتك وحبك الصادق وأفضى عليك نعمته الغزيرة، ومنّ بحياة جديدة للملك، فخرّ مراد ساجدا لله وشكره على ما أولاه من النعم ثم قام هو وعياله وأخذوا يبكون فرحا ويمجدون الله تعالى.

وقربه الملك إليه وقدم له الهدايا الثمينة وجعله وزيرا ثانيا.

إلى «أرغوس» بعد التضحية بابنتها للآلهة «أرتيميديا» حتى أزمعت على أمر مريع فظيع، طيلة العشر سنوات التي دامت فيها الحرب الطروادية الإغريقية، وفي غياب زوجها جعلت «كليمنسترا» رجلا آخر يشاطرها مخدعها، إنه «أوغيست» ابن عم زوجها، فهو يحمل ضغينة ضد «أغا ممنون» لم يستطع التخلص منها، فقد قتل أبو أغا ممنون «أتريوس» أباه وإخوته، ولم ينج إلا هو، إذ كان بعيدا عن المدينة، واستحوذ على الحكم ب»أرقوس»، وقبل موت أبيه لعن عائلة «بيلوس»، لذلك ما إن سمحت ل»أوغيست» الفرصة للانتقام من أحد أبناء عمه عن طريق زوجته حتى اندفع نحوها، فلم يجد منها الصد، بل كانت أداة طيعة لإعانته على الثأر لوالده، و الانتقام من زوجها لتقديمه ابنتها «إفجينيا» للآلهة، وانتظرت بفارغ الصبر التخلص منه بأي صورة، وودّت سقوطه مضرّجا بدمائه على أسوار «أليون»، وقامت بإبعاد ابنها «أوريست» وهو لا يزال طفلا إلى «فوكيس» حيث يقوم ملكها بتربيته. علمت «كلمنسترا: بانتهاء الحرب بانتصار الإغريق على الطرواد وعودة زوجها، استقبلته بحفاوة وتفاجأت أنه يصطحب معه «كاسندرا» ابنة «بريام»، فزاد جنون «كلمنسترا»، لكنها أتقنت إخفاء حقدها، وقادت «أغاممنون» إلى بيت الإستحمام حيث كان «أغيست» في انتظاره فسدد له عديد الطعنات، وأسرعت «كلمنسترا» إلى حيث «كاسندرا» فسحبتها إلى حيث جثة زوجها وأردتها قتيلة حذوه، لكنها لم تسعد طويلا، فقد كبر ابنها «أوريست» وعاد وقتلها و»أغيست» قاتل والده.

6 ـ قاموس أساطير العالم.

7 ـ قاموس أساطير العالم ص 52.

8 ـ ألف ليلة وليلة الهندية أو شوكا سابتاتي (حكايات الببغاء السبعون) مراجعة وتقديم الدكتور منذر الحايك،دار صفحات سورية دمشق، 2015. باب حكاية مراد جنباز من ص37 إلى 43.

«الشيخوخة الرائعة»... كتابة القصص كوسيلة للنسيان

عدنان حسين أحمد - ناقد سينمائي عراقي مقيم في لندن

ينتمي فيلم «الشيخوخة الرائعة» للمخرج الإيطالي فابريزيو پولپيتيني إلى نمط الأفلام الحميمة التي تتمحور على الذات بشكل خاص ولا تهمل الجوانب الموضوعية تمامًا، خاصة وأنّ كاتب السيناريو، وهو المخرج نفسه، يتنقّل بمهارة بين ثيمات متعددة مثل الأبوّة، والأدب، والسياسة، والتاريخ، والهجرة، والخلاص الفردي، والقناعات الدينية وما إلى ذلك من مفاهيم شخصية وعامة. وبما أنّ تفاصيل هذا الفيلم الوثائقي كثيرة ومتشعبة فلا بأس من اختصار الثيمة التي تتناول حياة القاص والروائي قادر عبدالله وهو لاجئ سياسي إيراني فرّ إلى هولندا عام 1988م عن عمر يناهز الـ 33 عامًا من دون أن يعرف كلمة هولندية واحدة وبعد 25 سنة من الإقامة والعمل في هولندا أختيرت روايته الموسومة «دار المسجد» سنة 2005 من قِبل القرّاء ثاني أفضل رواية مكتوبة باللغة الهولندية. لا شكّ في أنّ هناك موهبة كبيرة خلف هذا النجاح ليس لتعلّم اللغة الهولندية فقط وإنما للإبداع فيها بطريقة فذّة جعلته يقول بثقة عالية بأنه موجود بقوة ضمن المشهد الثقافي الهولندي الذي يحترمه ويقدّر منجزه الإبداعي الذي يدور في فلك «المُغايرة والاختلاف» حقًا.

كثيرة هي اللقاءات والحوارات التلفازية التي أُجريت مع الكاتب قادر عبدالله فلاغرابة أن يستهل المخرج پولپيتيني فيلمه بواحدة من هذه المقابلات التي تسلّط الضوء على حياته وكتاباته الإبداعية حيث تخبرنا المُحاوِرة بأنّ قادر عبدالله قد فاز بجائزة إيزلسور الذهبية لرواية «النسور» الأعلى مبيعًا لسنة 1993م. كما تشير الإعلامية بأنه هرب من الدكتاتورية الإيرانية وترك أبويه وزوجته وابنته، وأنّ أخاه قد قُتل من قِبل السلطة الإيرانية، وكان عليه أن يغادر وطنه بسبب دوره في المقاومة التي تقارع النظام الاستبدادي، وسوف نعرف لاحقًا بأنه ينتمي إلى حزب يساري مُعارض للسلطة وهو حزب «تودة». ومع أنّ قادر عبدالله قد عانى لمدة ثلاث سنوات إلاّ أنّ هولندا منحته في عام 1988م حق اللجوء والإقامة فيها بقرار من الأمم المتحدة، ثم استطاع أن يلمّ شمل زوجته وابنته، وما إن شعر بالاسترخاء من توترات الماضي حتى بدأ بكتابة أول مجموعة قصصية باللغة الهولندية مباشرة بعد مرور ست سنوات على إقامته في البلد الجديد. ويبرّر ذلك بأنّ المنفي عندما يعبر الحدود يتغيّر، ويتجاوز حدود اللغة والأدب ويكتشف أبنية وأنساقًا جديدة للغة وقرّاءً آخرين.

فسحة من الحرية في بيت ديني

يتحدث قادر عبدالله؛ وهو الراوي العليم في هذا الفيلم، عن كتابه المعنون «دار المسجد» وقد اعتاد أن

يسكن مع عمه الإمام في هذه الدار التي تقع مباشرة خلف أكبر مسجد في المدينة. وكان لديه عم آخر اسمه آغا جان وهو بائع سجّاد كبير ومهم في المدينة يقرأ القرآن آناء الليل وأطراف النهار. كان الجميع في المدينة متدينين ماعدا الراوي ولعل السبب يعود إلى والده الذي كان أصمًا وأبكمًا ولم يستطع أن يجبره على قراءة القرآن أو ترسيخ التزاماته الدينية الأخرى مثل بقية أهالي المدينة فلاغرابة أن يتمتع بحرية كبيرة لم يحظَ بها الآخرون جميعًا. كان الراوي مولعًا بقراءة الكتب الروسية والأمريكية وشغوفًا بالروايات البوليسية التي ساعدته على فهم أشياء كثيرة كانت تدور خارج إطار العائلة وبيت المسجد الذي يقيم فيه حيث النساء محجّبات، والراديو والتلفاز ممنوعان، وبسبب هذه الفسحة من الحرية امتلك الراوي عقلاً حُرًا في نهاية المطاف.

يأخذنا المخرج عبر تقنية الاستذكار التي يُوقظها ألبوم الصور إلى حياة الراوي حينما كان في أواخر عقده الثاني حيث كانت ظاهرة الهيبيين رائجة ويقلدها الشباب في مختلف أرجاء العالم. كان الراوي يسافر إلى غالبية المدن الإيرانية، يلتقي بالناس، ويدوّن ملحوظاته في دفتر صغير ثم ينام في الحدائق والمتنزهات لأنه لا يمتلك نقودًا تتيح له السكن في فندق متواضع من الدرجة الثالثة. كان الراوي يبحث عن الحُب الذي وجده أخيرًا في مدينة أصفهان.

وما إن خطفت فتاة قلبه حتى قرّر أن يزور عائلتها، ويتقدم لخطبتها لكن العائلة طلبت منه أن يجلب أبويه، وبما أنّ والده أصمٌ وأبكم فقد اصطحب أخته وأخبرهم بأن والده من ذوي الاحتياجات الخاصة الأمر الذي صدمهم قليلاً لكنهم سألوا الفتاة إن كانت تُحبة وتريده وتركوا لها القرار، وعندما تأخرت في الإجابة نهض الراوي وشقيقته وغادرا بيت الفتاة التي أحبّها لأول مرة وظلت تكتب له الرسائل العاطفية على مدى أربع سنوات من دون فائدة تُذكر. وبدلاً من العودة إلى أصفهان قرر الذهاب إلى كوردستان في أثناء الحرب العراقية - الإيرانية وأنجز كتابًا بعنوان «ماذا يريد الكورد أن يقولوا؟» ثم ذهب إلى طهران والتقى بناشر قرأ الكتاب في ليلة واحدة ووافق على نشره لكنه حذّره بأنهم سيقتلونه إذا ما عثروا عليه في مكان ما فتوارى

المؤلف خلف اسم مستعار وهو قادر عبدالله وهما اثنان من أصدقائه الكورد: الأول أُعدم في زمن الشاه، والثاني أُعدم في زمن الخميني. أمّا اسم قادر عبدالله الحقيقي فهو «سيد حُسين سجّادي قائمقامي فرهاني». عمل الراوي ضد نظاميّ الشاه والخميني وكان له صلة بالحزب اليساري المحظور.

وحينما قرأ أخوه مخطوطة كتابه عن الكورد وذهب إلى نفس المناطق التي كتب عنها شقيقه ارتكب خطأً كبيرًا حينما صوّر نفسه في تلك الأماكن واتصل بالحزب المحظور، وعندما دهمهم البوليس وجدوا الصور ومخطوطة الكتاب فأعتقلوه مع أخته وعمّه وأمه وبعد عدة أشهر تم إعدام أخيه، وبقيت أخته في السجن، وانقطعت صلته بالعائلة. يصور المخرج نزول أكثر من مئتي ألف مواطن إلى الشوارع يعبّرون عن بهجتهم بهروب الشاه وهيمنة الثورة الإسلامية ذات الطابع الديني. فالشاه الذي كان كل شيء أصبح فجأة لا شيء.

سحر الكتاب المقدس

يعود بنا المخرج إلى المظاهرات الطلابية التي طوّقت السفارة الأمريكية حيث تجوّل الراوي هناك وشاهد فتاة جميلة تمشي مع صديقتها وحينما صادفها ثانية في جامعة طهران أحبها وتزوجها بعد ثلاثة أشهر فهو لا يريد العودة إلى فتاة أصفهان التي شعر بأنها أهانتهُ حين ترددت في الزواج من رجل لأنّ أباه أصمٌّ وأبكم. تعتقد زوجة الراوي بأنّ الكاتب أناني لأنّ حُبه الأول هو الكتابة وأنّ الزوجة تأتي في المرتبة الثانية. وما إن بدأت الحرب العراقية- الإيرانية حتى تم اعتقال سكرتير حزب تودة مع مسؤولين شيوعيين آخرين آزروا ثورة الخميني لكنهم أدانوا تشديد القمع

ومواصلة الحرب على العراق.

وبسبب هذه الأوضاع القمعية والحرب المشتعلة هرب قادر عبد الله من إيران ويمّم وجهه صوب القارة الأوروبية خاصة بعد موجة الإعدامات التي طالت الشخصيات الوطنية ولم يسمحوا لهم بدفن أبنائهم في المقابر إلاّ بعد مدة من الزمن وكان عليه أن يزور موتاه في ساعات الغبش الأولى ليطرق على شاهدة قبر ابن أخيه جواد ويخبره بأنه مغادر إيران إلى الأبد. وحينما يصل إلى هولندا يجد عملاً عند محنِّط الطيور، كما ينغمس بكل جوارحه لتعلّم اللغة الهولندية، والتعرّف على عادات هذا الشعب وثقافته المختلفة التي تجبر الأجانب إلى أن يكونوا هولنديين أو مثلهم في الأقل.

كان الراوي يعتقد أنّ القرآن هو كتاب عمه أو جده أو كتاب العائلة في أفضل الأحوال وبدأ بقراءته ككتاب سردي خيالي يستعصي عليه أحيانًا، وحينما تعلّق به إلى درجه الدهشة ترجمه إلى اللغة الهولندية وأضاف إلى فصوله الـ 113 فصلاً جديدًا أسماه بفصل قادر عبدالله الذي أثار ضجة المسلمين في هولندا لبعض الوقت ثم سرعان ما خفتت وتوارت خلف أفق الكوارث التي تعصف بهذا العالم. مات والد الراوي وترك فراغًا كبيرًا في حياة ابنه المغترب بينما ماتزال أمهُ حيّة وقد جاوزت التسعين عامًا لكن الزهايمر تناوشها ولم تعد تتذكر أي شيء.

ينهي المخرج فيلمه المستفز بالعودة إلى الراوي الذي بدأ يراجع طبيبًا لأنه لم يستطع النوم مذ بدأ يكتب اللغة الهولندية بصعوبة بالغة فنصحة الطبيب بطريقتين لا ثالث لهما: الأولى أن يصعقه بالكهرباء في رأسه وينسى كل شيء كما حدث لأمه الخرفة أو أن يجلس ويكتب قصصه لكي ينساها حتى يصل إلى نفس الحالة التي وصلت إليها أمه بعد إصابتها بالزهايمر.

لابد من التنويه إلى الروائي قادر عبدالله لا يقصد إلى الإساءة إلى القرآن الكريم وإنما يستمتع بقراءته ككتاب سردي جميل، وهو لا يسعى إلى الاستفزاز الديني أو الحصول على شهرة مجانية لأنه أشهر من نار على علم سواء في هولندا أو غيرها من بلدان العالم التي تستقبل النتاجات الأدبية والفنية بصدر رحب وعقل متفتح لا يتوقف كثيرًا عند الانعطافات والجزئيات الطارئة. جدير ذكره أن الفيلم يحمل عنوان «التقدّم في السن أمر رائع» وقد ارتأينا أن نترجمه بـ «الشيخوخة الرائعة» التي تتناغم مع طبيعة الفيلم وعصبه النابض.

وفي الختام لابد من الإشارة إلى أنّ فابريزيو پوليپيتيني قد درس الفنون البصرية وعلوم البيئة في ميلانو، والإنتاج السينمائي في باريس، وصناعة الأفلام الوثائقية في كورسيكا. وأسس مهرجان «فيلم كاراڤان» السينمائي في الهواء الطلق. وسبق له أن أخرج فيلم «عُرف البحر».

فيلم «إلى إبني» تجربة إخراجية جديدة لظافر العابدين

خالد نجاح

عاد ظافر العابدين إلى الشاشة الكبيرة بثوب المخرج والممثل والسيناريست والمشارك في الإنتاج، من خلال فيلم روائي طويل يحمل عنوان « إلى إبني» وهو ثاني تجربة له في مجال الأشرطة الطويلة، بعد فيلم « غدوة « الذي عرضته القاعات التونسية قبل سنتين من اليوم. وتلتقي التجربتان في العموميات بتناولهما لموضوع العلاقات الأسرية، ولكنهما تختلفان في التفاصيل والمآلات.

تفادي صراع الأجيال

وقد انصهر فيلم غدوة في بيئة تونسية صرفة، وبحث عن حق المظلومين من نظام ما قبل الثورة كشرط لتحقيق العدالة الإنتقالية. أمّا فيلم « إلى إبني « فانطلق من قصة إنسانية واجتماعية نسجتها علاقات متوترة بين أجيال مختلفة، لينقل نماذج من التحولات العميقة التي يشهدها المجتمع السعودي منذ فترة من الزمن في إطار رؤية شاملة للمستقبل.

يقوم ظافر العابدين في فيلم «إلى ابني» بدور فيصل العبد الله، وهو مواطن سعودي هاجر من مدينة أبها الواقعة جنوب السعودية إلى لندن. وقد أجبرته حادثة وفاة زوجته البريطانية مقتولة، على العودة إلى موطنه الاصلي رفقة ابنه الوحيد بعد اثنتي عشرة سنة من الغربة ليعيش وسط عائلته. وكان الجزء الذي يصور وقائع الفيلم في لندن ناطقا بالإنجليزية دون إرفاقه بترجمة إلى العربية أو الفرنسية في النسخة التي شاهدتها في العرض الإفتتاحي، وهو سهو يتعين تفاديه حتى يسهل على شق كبير من المشاهدين فهم تطور الأحداث ولا يفقد الخيط الرابط بينها.

ولم تكن علاقة فيصل بوالده جيّدة، حيث استمرت القطيعة بينهما، ولم يحل الوئام رغم طول الغياب. فالأب كان رافضا لهجرة ابنه إلى مجتمع غربي، وزواجه من أجنبية غير مسلمة. ولم يغفر الأب لابنه تحديه وعدم طاعته، وهو الذي يفرض سلطته على جميع افراد الأسرة ويعتبرها منهج سلوك لا يسمح لأحد بأن يحيد عنه.

ولكن الأب في المقابل كان عطوفا على حفيده، رغم انه نتاج علاقة لم يكن قابلا بها وخارجة عن قناعاته. فحرص على تعليمه القرآن وتنشئته طبقا لعادات المجتمع السعودي وتقاليده، حتى لا يفقد هويته وينسلخ عن جذوره.

التمرد على السائد المجتمعي

لم يكن فيصل رافضا لعلاقة الجد بالحفيد، بل كان يسعى إلى أن يتخلى ابنه عن تربيته «اللندنية» وينصهر في مجتمعه الجديد العربي الإسلامي. فوجد في تلك العلاقة التي تتطور بمرور الأيام افضل إطار يتربى فيه طفله على القيم الموروثة التي تجذره في بيئته الأصلية.

وكان فيصل مقتنعا في قرارة نفسه بأن الوطن هو البداية والنهاية والهدف الأسمى، ويحتاج إلى كل طاقاته ليصنع المستقبل، ويحقق رفاهة الأجيال المقبلة. ولكن ذلك يتطلب إقامة علاقات أسرية تتيح لجميع افراد العائلة الواحدة فرص المبادرة والتعبيرعن طموحاتهم. فتمرّد فيصل على الوضع داخل اسرته وطالب والده بأن يكف عن بسط نفوذه وأن يترك لاشقاءه وشقيقاته حرية تحديد مصيرهم حسب اختياراتهم وقناعاتهم.

وعرفت أحداث الفيلم تطورا مفاجئا بكشف إصابة الإبن العائد من الغربة بمرض السرطان واستعصاء علاجه بالكيميائي وانعدام الأمل في شفاءه. فانقلبت مواقف والده وانفجرت من وجدانه مشاعر الأبوّة، وتحولت قساوته إلى عطف وحنان، وتغير تماما مزاجه، وأصبح يصغي لصوت أبنائه وبناته. وتسارعت أحداث الفيلم بين الفرح والوجع، حتى انتهت بوفاة فيصل نتيجة المرض الذي لم يقدر الأطباء على مداواته. وترك وصية إلى ابنه حملت العديد من المعاني، ومنها الحكمة في التعامل مع المستجدات والصفح. وكانت بمثابة دعوة لمواصلة الرحلة داخل الوطن.

بين انتصار الوعي و هزيمة الأمل

خاتمة مأساوية، جمعت بين الأمل والحزن. أمل بقبول الطفل الصغير في مدرسة سعودية ليصنع مستقبلا في بلد الأجداد. وحزن لوفاة فيصل العبد الله الذي ساهمت عودته من العاصمة البريطانية إلى موطنه في مدينة أبها في التأسيس لعلاقة أسرية تواكب النقلة التي يعرفها المجتمع السعودي في السنوات الأخيرة، وجسد الفيلم صورا منها، وخاصة فيما يتعلق بدور المرأة في العملية التنموية بمفهومها الشامل واقتحامها ميادين لم تكن متاحة لها في السابق.

ولكن هذه النهاية تفتح مجالا للتأويل، وقد تبدو متناقضة مع الرسالة التي عمل الفيلم على إبلاغها، وهي بناء مجتمع جديد يقوم على التشارك بين جميع مكوناته، ويرنو إلى التقدّم في عالم لم تعد تفصله حدود بفعل تطور وسائل الإتصال. فقد تكون وفاة البطل تعبيرا عن فشل الأفكار التي أصرّ الفيلم من خلال تواتر أحداثه على أن تنتصر على السائد المجتمعي.

فرحيل البطل المتمرد على الواقع، يمكن أن يوفّر للأب مجالا لاستعادة سيطرته المطلقة على العائلة. خاصة وأن الفيلم لم يبرز وعي الأب بالتغيير، وإنما حصر تحول مواقفه من الشدة إلى اللين، في انهياره أمام فاجعة المرض الخطير، ورغبته في تحقيق طلبات ابنه وأمانيه قبل أن يفارق الحياة دون أن يكون ظاهريا مقتنعا بها. وكان على الفيلم في اعتقادي أن يشتغل أكثر على شخصية الأب وينزع عنها الغموض، خاصة وأنه لم يكن في اغلب أطوار القصة على درجة كبيرة من القساوة، فكان مثلا يسمح لبناته بقيادة السيارة ولا يقيدهن بلباس معين.

وقد يكون ظافر العابدين وهو يكتب سيناريو الفيلم استعان بتجربته الشخصية، فهو قد هاجر إلى بريطانيا، وقسى المرض الخبيث على بعض أفراد عائلته، وتألّم من وجع فراقهم، كما ذكر في نقاش عقب العرض الأول لفيلمه في العاصمة. وليس من الحرج أن يتأثر المخرج بجوانب من حياته وينقلها في أفلامه ليعيد تشكيل واقع معين دون أن يكون ذلك بالضرورة سيرة ذاتية. ويقول ظافر العابدين إن فكرة الفيلم صدرت عن الشركة التي تولت النصيب الأكبر من الإنتاج، وقام بتطويرها وصياغة وقائع القصة صحبة التونسية صفاء المسعدي.

ظافر العابدين بقبعات متعددة

إخراجيا ، عمل ظافر العابدين على استغلال الديكور الطبيعي الجميل الذي تجسده المناظر الخلابة في مدينة أبها ومعمارها التقليدي، واحسن توظيفه في الفيلم حسب نوعية المشاهد. كما أنه وفّق في نقل أحاسيس مختلف الشخوص ومشاعرهم بالتركيز على تعابير الوجوه.

وقد شارك في الفيلم مجموعة من الممثلين السعوديين اكتشفهم الجمهور التونسي وكانوا في مستوى الأدوار التي قاموا بها، ومنهم إبراهيم الحساوي وآيدا القصي وسمر ششة وخيرية نظمي. و يحسب لظافر العابدين أنه اصطحب معه إلى مدينة أبها حيث تم تصوير أغلب أجزاء الفيلم مجموعة من التقنيين التونسيين الذين أثبتوا مهارتهم وحرفيتهم في مجال الصوت والصورة، ووفر لهم بالتالي فرصة للتسويق للكفاءات التونسية.

فيلم «إلى إبني» وضع جمهور السينما والنقاد أمام شخصية متعددة يجسدها عمليا ظافر العابدين فهو المخرج والممثل والسيناريست والمنتج المشارك. أدوار مختلفة قد يكون يسعى من خلالها إلى تأمل موقعه في الصناعة السينمائية بعد أن أثبت براعته في التمثيل في هذا الفيلم وغيره من الأعمال السينمائية والتلفزية الأخرى، وأصبح نجما عربيا. و ربما يساعده تراكم التجارب على نحت اسم في عالم الإخراج وطنيا وعربيا، والطريق إلى ذلك ليست باليسيرة، وتتطلب نفسا طويلا.

كثيرا ما نتغافل في حديثنا عن الأفلام التي تعرض في القاعات التونسية، عن الموزع الذي يعتبر حلقة مهمة في المنظومة السينمائية. ولا تفوت الإشارة في هذا الشأن إلى شركة Easy DISTRIBUTION التّي أنجزت من خلال شريط «إلى إبني» أول عملية توزيع لفيلم سعودي في تونس، وهو فيلم جدير بالمشاهدة ويحتمل قراءات متعددة، ويشكّل بالتأكيد إضافة للمدوّنة السينمائية العربية . وقد تكون مناسبة عرضه في تونس فرصة للتفكير في إنتاجات سينمائية مشتركة بين تونس والسعودية تستغل الإمكانات المتاحة بشريا وتقنيا وتوفر حلولا إضافية لمسألة التمويل.

سينمائيات تونسية

إعداد : منير الفلاح

التونسي آدم بسة في قسم " نصف شهر المخرجين" في مهرجان "كان" السينمائي

يُشارك فيلم "إلى أرض مجهولة" للمخرج الفلسطيني مهدي فليفل، ضمن قسم "نصف شهر المخرجين" في مهرجان كان السينمائي المزمع إقامته في الفترة الممتدة بين الـ14 والـ25 من ماي القادم.

وتدور أحداث الفيلم الذي أنتجته شركة ميتافورا للإنتاج الفني، حول قصة صديقين فلسطينيين، شاتيلا وفاتح، اللذين يجدان نفسيهما محاصرين في أثينا، محاولين الهرب إلى شمالي أوروبا بحثا عن حياة أفضل.

ومع تعقيدات الرحلة وصعوبات الهجرة، يجدان نفسيهما في مواجهة تحدّ جديد، حيث يفقدان المبلغ المالي المخصّص للهجرة وينجرفان في سلسلة من الأحداث غير المتوقعة.

وقالت شركة ميتافورا للإنتاج الفني في بيان: "إنّ فيلم "إلى أرض مجهولة" اختير للمشاركة في مسابقة "نصف شهر المخرجين"، وهي المسابقة المخصّصة للأفلام الروائية الطويلة الأولى، ممّا يعكس الاهتمام والتقدير الذي حظي به هذا العمل السينمائي"، وفق ما نقله عنها موقع تلفزيون سوريا.

ويذكر أن آدم بسة حصد عام 2022، جائزة أفضل ممثل في مسابقة "نظرة ما" خلال مهرجان كان السينمائي في دورته الـ75، عن دوره في فيلم "حرقة" للمخرج لطفي ناتان.

ويتحدّث الفيلم عن علي الشاب التونسي الذي يحلم بحياة أفضل، يعيش وحيدا، يبيع البنزين المهرب في السوق السوداء.

وقد سبق للممثل التونسي وأن شارك ايضا في فيلم" السعداء "للمخرجة الجزائرية صوفيا جاما عام 2019، كما كانت له مشاركة في فيلم" الموصل " للمخرج ماثيو مايكل كارناهان الذي يعرض على منصة ناتفليكس.

كما بشار الى ان مخرج الفيلم مهدي فليفل ولد في دبي، ويعيش ويعمل بين الدنمارك وإنقلترا واليونان. تخرج من "المدرسة الوطنية للسينما والتلفزيون" في المملكة المتحدة، ودرس الإخراج الروائي على يد ستيفن فريرز وباول باوليكوفسكي. في 2010، أسس شركة الإنتاج Nakba FilmWorks (شركة أفلام النكبة)، ومقرها لندن. عُرِض فيلمه الوثائقي الطويل "عالم ليس لنا" (2012) لأول مرة في "مهرجان تورونتو السينمائي الدولي"، وحصد أكثر من 30 جائزة. حصل فليفل على لقب أفضل صوت شمالي أوروبي جديد في مهرجان "نورديسك بانوراما"، وفاز بجائزة "الموهبة الجديدة" في مهرجان الفيلم الوثائقي الدولي (CPH:DOX)، والجوائز الكُبرى في مهرجانات الأفلام الوثائقية في نيويورك، وياغاماتا، وأدنبرة. حصل كذلك على جائزة الدب الفضي في مهرجان برلين السينمائي الدولي، عن فيلم "عودة رجل" (2016)، وجائزة أفضل فيلم وثائقي قصير في مهرجان" أمستردام للأفلام الوثائقية"، عن فيلم "وقّعت على عريضة" (2018)

فيلم "تحت الشجرة" لاريج السحيري يفتتح " أسبوع فيلم المرأة " بعمان

أعلنت الهيئة الملكية الأردنية للأفلام انطلاق الدورة الثانية عشرة لـ"أسبوع فيلم المرأة" في عمّان يوم الإثنين 15 أفريل الحالي بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة للمرأة وذلك بفيلم الافتتاح الوثائقي التونسي "تحت الشجرة" من إخراج أريج السحيري.

وفيلم "تحت الشجرة"هو إنتاج مشترك تونسي، ألماني، فرنسي، قطري، سويسري، وتدور أحداثه ،خلال يوم واحد أثناء موسم جني التين، حيث يعمل مراهقون مع العمّال الأكبر سنًا، ويسرق أبناء الجيلين من الزمن وقتًا معًا يسترجعون فيه ذكريات الحب المفقود ويتشاركون الأحلام.

ويُلفت انتباه المتابع للفيلم أن أبطال العمل هم الشخصيات أنفسها في الواقع، فكان الأداء تلقائيا وعفويا واتسم بالصدق وعبّر عن تطلعاتهم ونظراتهم إلى العالم، وتفاعلاتهم مع بيئتهم ومع وطنهم، كما كشف عن أحلامهم الصغيرة وطموحاتهم نحو عالم أفضل وأجمل. وهذه الميزة الفنية الكبرى للفيلم.

أما الخاصية الثانية المميزة لهذا الفيلم، فتتمثل في عدم إدراج أي مؤثرات بصرية أو صوتية أو موسيقية، وهذا ربما اختيار مقصود وموجه من المخرجة لنقل الواقع كما هو دون تنميق أو تشويه، لينسجم مع تلقائية الشخصيات وعفويتها.

ورصد فيلم الافتتاح برعاية الأميرة بسمة بنت طلال سفيرة النوايا الحسنة لهيئة الأمم المتحدة للمرأة حياة الفلاحين في تونس ويوميات العاملات تحديداً بين الزراعة والحصاد ودورهن في مواجهة تحديات وصعوبات ضمن الأرياف بحسب كاميرا المخرجة أريج السحيري.

وعرض المهرجان 15 فيلماً خلال الفعالية حول قضايا واهتمامات وطموحات ومعضلات وإنجازات نسائية بينها "تحت شجر الليمون" الذي تُقدم من خلاله المخرجة نور الأسود لمحات مؤثرة حول فلسطينية في المنفى تستعيد ذكرياتها الأولى في وطنها.

وضم جدول العروض التي إستمر حتى يوم السبت 20 أفريل الجاري أفلام "ما تريده ولاء" للمخرجة كريستي غارلاند، "مش زيهم" للمخرجة المصرية السويسرية نادية فارس، "خطة الانطلاق" للمخرجة اليابانية أياكو إيمامورا.

واشتمل الجدول على مجموعة أفلام أخرى عربية وآسيوية وغربية أحدثها "وداعاً جوليا" للمخرج السوداني محمد كردفاني.

عودة السينما المتجولة في ثوب وتصور جديدين

''سينما تدور''، هي شاحنة سينمائية متنقلة تتّسع لـ100 مقعد، ستزور مختلف جهات الجمهورية التونسية بهدف نشر ثقافة السينما وجعلها قريبة من التونسيين كافة.

وتتضمّن أنشطة المشروع مجموعة متنوّعة من الفعاليات الموجّهة إلى جميع فئات المجتمع، بدءًا من عروض الأفلام التونسية والعالمية، وصولا إلى البرمجة النقاشية وورش العمل الموجهة إلى الشباب والأطفال.

كما يهدف المشروع إلى تنظيم فعاليات فنية متنوّعة، على غرار الحفلات الموسيقية والعروض المسرحية، إضافة إلى حملات الاتصال والتواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية الأخرى.

مشاركة مميزة لظافر العابدين في الدورة الثالثة لمهرجان هوليوود للفيلم العربي

أعلن مهرجان هوليوود للفيلم العربي، تفاصيل مشاركة الفنان التونسي ظافر العابدين، ضمن فعاليات دورته الثالثة، والتي تنطلق في الفترة من 17 إلى 21 أفريل الجارى.

وشارك ظافر العابدين، في حوار مفتوح جمعه بكل من الكاتبة والمخرجة دارين حطيط، والمخرج أمين مطالقة، والفنان أيمن سمان، وذلك خلال فعاليات يوم السبت الموافق 20 أفريل الجاري

فيما التقى الفنان التونسي جمهوره عقب عرض فيلمه "إلى ابني" الذي عرض خلال الليلة الختامية للدورة الثالثة، حيث تم عرض الفيلم يوم الأحد الموافق 21 أبريل.

وتدور أحداث فيلم "إلى ابني" الذي تم إنتاجه من قِبل "إم بي سي ستوديوز"، حول عودة أب سعودي وابنه إلى المملكة العربية السعودية بعد فترة طويلة من العيش خارج البلاد انتهت بحادث أليم، ويعد العمل هو التجربة الثانية للفنان ظافر العابدين، في مجال الإخراج السينمائي.

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

هل يقدم "سكورسيزي" السيرة الذاتية لفرانك سيناترا مع ليوناردو دي كابريو

يتطلع المخرج العالمي مارتن سكورسيزي إلى صناعة فيلم عن السيرة الذاتية للمغني الأمريكي فرانك سيناترا الذي يعد أحد ابرز واشهر الموسيقيين شعبياً في القرن العشرين، وأحدا أكثر الفنانين مبيعاً في مجال الموسيقى في التاريخ.

ووفقاً لتقرير نشرته صحيفة فاريتي، فإن المخرج العالمي مارتن سكورسيزي يتطلع للعمل على الفيلم الذي سيجسد فيه شخصية سيناترا بالتعاون مع المطرب العالمي الحائز على جائزة الأوسكار ليوناردو دي كابريو والنجمة العالمية جينفر لورانس.

ويذكر ان سكورسيزي حصل على 10 ترشيحات لجوائز الأوسكار عن فيلم الجريمة التاريخي الملحمي "Killers of the Flower Moon" العام الماضي، وسرعان ما كشف المخرج البالغ من العمر 81 عامًا مشاريعه العديدة القادمة، والتي يخطط فيها لتصوير فيلمين متتاليين: الأول عن يسوع، والثاني عن سيرة فرانك سيناترا

شيرين سيف النصر رحلت في هدوء عن عمر ناهز 56 عاماً

فُجع الجمهور المصري، بإعلان نبأ وفاة الفنانة شيرين سيف النصر، عن عمر ناهز 56 عاماً، حيث أعلن شقيقها شريف سيف النصر، هذا الخبر الصادم عبر حسابه الخاص بموقع "الفيسبوك".

شقيق شيرين سيف النصر، أكد أنه تم دفنها بمقابر الأسرة، واستقبال العزاء فيها في هدوء تام بعيداً عن أضواء الإعلام، حسبما أوصتهم قبل رحيلها، داعياً الله لها بالرحمة.

خبر وفاة شيرين سيف النصر، تسبب في صدمة كبيرة للجمهور، وسريعاً تصدر اسمها محركات البحث في مصر، وترند مواقع التواصل، فيما أكد الفنان منير مكرم، عضو مجلس نقابة المهن التمثيلية في مصر، أنه حتى الآن لم ترد إليهم تفاصيل الوفاة وأسبابها.

شيرين سيف النصر، ولدت لأب مصري وأم فلسطينية، تخرجت في العام 1991 في كلية الحقوق، عاشت في فرنسا بضع سنوات، حيث التقى بها الفنان يوسف فرنسيس أثناء عمله هناك في السفارة المصرية واكتشفها، لتشارك في مسلسل "ألف ليلة وليلة" عام 1986، لتتوالى أعمالها في الدراما التلفزيونية والتي من أبرزها "غاضبون وغاضبات، "من الذي لا يحب فاطمة"، وفي السينما شاركت في العديد من الأعمال منها "سواق الهانم، النوم في العسل" اعتزلت التمثيل في نهايات عام 1996 بعد زواجها ثم عادت مرة ثانية عام 2001 بعد الطلاق، لتشارك في عدة أعمال من أبرزها فيلم "أمير الظلام" عام 2002.

ورغم أن شيرين لم تقدم إلا 31 عملا فنيا تنوعت بين المسلسلات والأفلام وحتى الفوازير وألف ليلة وليلة واختفت منذ سنوات طويلة، لكنها بقت بذاكرة الجمهور باعتبارها إحدى الجميلات وصاحبة بصمة، ربما ليست الأقوى فنا أو موهبة، لكنها قريبة إلى الروح ووجدان جيل الثمانينيات والتسعينيات.

كيانو ريفز يُصاب بكسر في ركبته أثناء التصوير

كشف عزيز أنصاري، مخرج فيلم "Good Fortune"، أنّ الممثل كيانو ريفز (59 عاماً) أصيب بكسر في ركبته أثناء تصوير فيلمه الجديد، بعدما تعرّض لحادث صغير في مقطورته.

وفي التفاصيل، كشف أنصاري خلال ظهوره في CinemaCon في لاس فيغاس حقيقة الصور التي انتشرت لريفز في (جانفي) وهو يمشي على عكازين في موقع التصوير.

وقال المخرج البالغ من العمر 41 عاماً: "بعد حوالى 15 يوماً من بدء التصوير، قلت له اذهب واسترخ في غرفة تبديل الملابس لمدة 15 دقيقة. من ثم تعثّر في سجادة وصرخ: آه، ركبتي".

وأشاد أنصاري بريفز لأنّه أكمل تصوير كلّ مشاهده في الفيلم على الرغم من إصابته، باستثناء بعض المشاهد التي كان يجب عليه أن يقوم فيها برقصة السالسا، مضيفاً أن النجم أراد أن يتخلّص من الألم ويستكمل مشاهده.

وأشار المخرج إلى أنّ ريفز لم يضطر أبدًا إلى الذهاب إلى المستشفى في السابق، على الرغم من أنّه أدّى بنفسه مشاهد الحركة الخطيرة الصعبة في بعض أدواره الأكثر شهرة، مثل أفلام سلسلة "Wick" وجميع أفلام سلسلة "Matrix"، وحتى في فيلم "Speed" حيث توجّب عليه القفز من السيارة إلى الحافلة.

إيما ستون في فيلم من إخراج زوجها

تجري إيما ستون، محادثات لتمثيل فيلم عالمي لشركةUniversal Pictures مع زوجها ديف مكاري، في محادثات لإخراجه.

كتب السيناريو الأصلي للفيلم باتريك كانغ، ومايكل ليفين، المشرفان على إنتاج برنامج Young Rock على قناة NBC و Utv.

ثمانية أفلام تتنافس على جائزة الكاميرا الذهبية في "كان" 2024

كما هو الحال في كل عام، سيتم منح جائزة الكاميرا الذهبية في مهرجان كان السينمائي 2024 لأول فيلم روائي طويل. حيث تُمنح جائزة الكاميرا الذهبية، إحدى جوائز المهرجان المرموقة، إلى أول فيلم روائي طويل يُعرض في الاختيار الرسمي أو في الأقسام الموازية.

هذه الجائزة، التي تسلط الضوء على الشباب، وعاطفة البدايات، والنضارة كقوة اقتناع، تؤكد موهبة صانعي الأفلام الشباب الناشئين على الساحة العالمية.

وفي العام الماضي، منحت لجنة التحكيم برئاسة أناييس ديموستييه الجائزة للفيلم الطويل الأول لثيان آن فام، L'arbre aux papillons d'or.

ومن بين الفائزين السابقين صانعي أفلام مشهورين مثل جيم جارموش، وجعفر بناهي، وإيلديكو إنيدي، وستيف ماكوين، وأنتوني تشين.

فمن سيفوز بالجائزة المرموقة في نهاية مهرجان كان السينمائي 2024؟، تعرف على الأفلام المتنافسة على جائزة الكاميرا الذهبية وهي كما يلي:

- "أرماند" للمخرج هالفدان أولمان تونذل، ضمن قسم "نظرة ما".
- فيلم "Le Procès du chien" للمخرجة ليتيتيا دوش، ضمن "نظرة ما".
- فيلم "Le Royaume" للمخرج جوليان كولونا، ضمن "نظرة ما".
- سيشارك المخرج الكورسيكي جوليان كولونا في المنافسة مع فيلمه الأول Le Royaume في اختيار "نظرة ما".
- "سبتمبر يقول" للمخرجة أريان لابيد، في فئة "نظرة ما" .
- "القرية المجاورة للجنة" للمخرج مو هاراوي، في فئة "نظرة ما" .
- فيلم "ديامانت بروت" لأجاثا ريدنجر، في المنافسة الرسمية في مهرجان كان 2024.

دنيا سمير غانم تجسد دور «بودي ڤارد»

بدأت دنيا سمير غانم مؤخرًا تصوير فيلمها الجديد "الجارداية"، وقال محمد أحمد السبكي في تصريح خاص أن أحمد سعد انضم للعمل ومن المفترض أن يبدأ تصوير مشاهده خلال الأيام القليلة القادمة.

وتجسد دنيا سمير غانم شخصية البودي جارد الخاص بـ محمد ممدوح ضمن أحداث الفيلم، وذلك في إطار اجتماعي كوميدي، ويضم العمل محمد ثروت وبيومي فؤاد، فيما تواصل الشركة المنتجة إبرام التعاقدات مع باقي الأبطال المشاركين بالفيلم، والعمل من تأليف كريم يوسف وإخراج أحمد الجندي وإنتاج محمد أحمد السبكي.

يذكر أن دنيا سمير غانم حققت نجاحًا كبيرًا في الفترة الماضية بمسرحية أنستونا، التي قدمتها ضمن فعاليات موسم الرياض 2023، ورفعت المسرحية شعار كامل العدد طوال أيام عرضها.

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

أمير المصري يقدم مع بيرس بروسنان دور الملاكم اليمني الأسطورة البرنس نسيم حميد

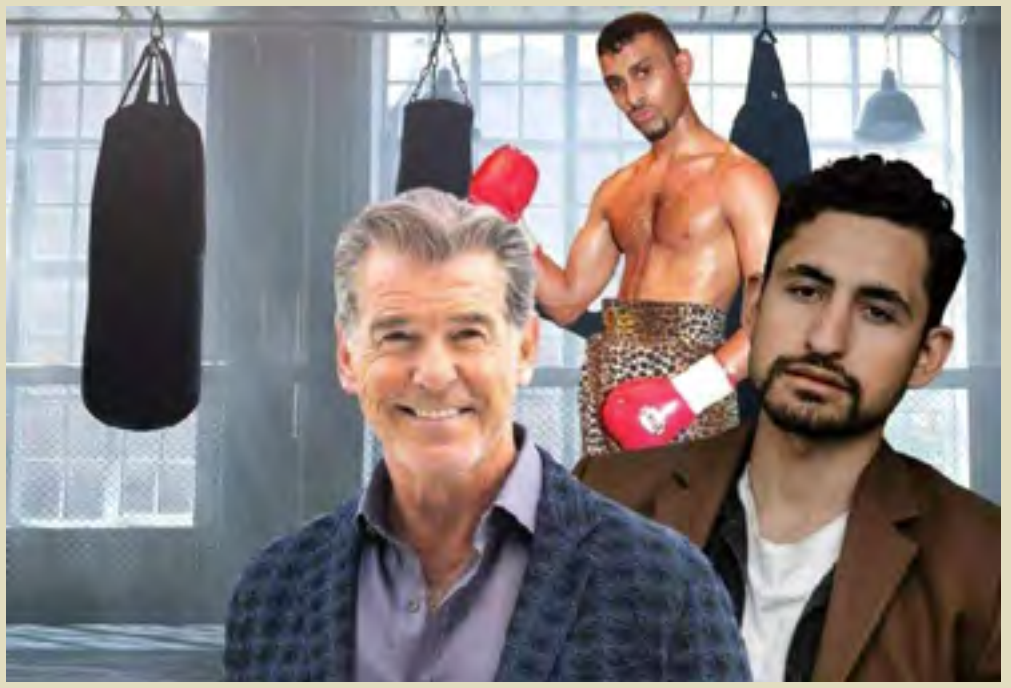

سيلعب الممثل أمير المصري دور البطوله بجوار بيرس بروسنان في الدراما الرياضية "العملاق، Giant"، المستوحاة من قصة الحياة الحقيقية للملاكم البريطاني اليمني الأمير نسيم "ناز" حميد ورفاقه الذين يصعدون إلى بطولة العالم تحت وصاية مدرب الملاكمة الأيرلندي بريندان إنجل.

وسيقدم المصري دور الملاكم اليمني الأسطورة، ويقوم بروسنان بدور المدرب بريندان إنجل. الفيلم من تأليف وإخراج روان أثال، ويشارك في الإنتاج التنفيذي للفيلم سيلفستر ستالون.

ومن المقرر أن يبدأ تصوير الفيلم في ليدز بإنقلترا في أواخر أفريل. وكان من المقرر في الأصل تصوير جميع تصميماته الداخلية في مالطا، إلا أن شركة AGC اتخذت قرارًا بنقل الإنتاج بأكمله مرة أخرى إلى المملكة المتحدة،

فيلم "العملاق" يسرد القصة الحقيقية لبدايات حميد المتواضعة في شوارع شيفيلد الصعبة التي تسكنها الطبقة العاملة، واكتشافه من قبل إنجل، وهو نفسه عامل في صناعة الصلب تحول إلى مدرب ملاكمة. إن شراكتهم غير المتوقعة إلى جانب أسلوب ناز غير التقليدي وشخصيته المغرورة وهيمنته المطلقة على الحلبة، دفعتهم إلى قمة نخبة الملاكمة والنجومية العالمية، كل ذلك في مواجهة كراهية الإسلام والعنصرية المتفشية في بريطانيا في الثمانينيات والتسعينيات.

وكتب الممثل أمير المصري على حسابه الرسمي بمواقع التواصل الاجتماعي منشورًا على دوره، قائلاً: حصلت على شرف كبير يفوق توقعاتي، ويالله من شرف أن ألعب دور الأسطورة البرنس نسيم حميد، إلى جانب أسطورة أخرى بيرس بروسنان في دور بريندان إنجل.

تكريم سيد رجب في "الإسكندرية للفيلم القصير الـ 10"

وقع اختيار إدارة مهرجان الإسكندرية للفيلم القصير، على ثلاثة من صناع الأفلام لتكريمهم بالدورة الـ10 للمهرجان المقرر انطلاقها في الفترة من 25 حتى 30 أفريل من الشهر الجاري.

يأتي في مقدمة المكرمين الثلاثة الفنان سيد رجب، وذلك بسبب مشاركته في بطولة العديد من الأفلام الروائية القصيرة.

وسيد رجب هو ممثل وكاتب وحكاء، عمل مهندساً في الميكانيكا بشركة النصر للسيارات في التسعينات ولمدة تزيد على 20 عامًا وبدأ مشواره الفني مسرحيًا، حيث عمل لسنوات طويلة في مجال المسرح التجريبي والحر، ثم قدم العروض المسرحية داخل و خارج مصر، لكن علاقته مع السينما بدأت بفيلم أحلام صغيرة للمخرج خالد الحجر عام 1993 م ثم أحلام مسروقة عام 1999م.

ولكن النقلة الكبيرة في مشواره الفني بدأت بفيلم (إبراهيم الأبيض) في عام 2009، ثم فيلم (الشوق) في عام 2011 الذي كتبه وشارك في تمثيله ، من أفلامه (حب البنات - الأولة في الغرام - قبلات مسروقة - صرخة نملة - أسماء - عبده موتة - قلب الأسد- ولاد رزق - أبو صدام - وقفة رجالة - كيرة والجن - -19ب) كما شارك في العديد من الأفلام القصيرة منها (اللون الأزرق - فردي - حبيب) حصد جائزة احسن ممثل عن فيلم -19ب من مهرجان المركز الكاثوليكي، وحصل الفيلم نفسه على ثلاث جوائز من مهرجان القاهرة السينمائي.

صورة تتحدّث

المسرح القديم بصفاقس

كان لمدينة صفاقس مسرح جميل شيد في مارس 1903 وبعد سنة واحدة من بناء المسرح البلدي بتونس.

كان يحتوي على طابقين سفلي وعلوي متسعا ل538 مقعدا وأدخلت به الإضاءة سنة 1908. أما طرازه فهو مميز ورائع على النمط النورسكي العربي الذي ازدهر بصفاقس أوائل القرن العشرين

خضع المسرح لعديد الإصلاحات سنة 1927 وفي فترة الثلاثينيات وبقي شامخا لمدة 39 سنة إلى أن تهدم تحت وطء القنابل أثناء الحرب العالمية الثانية يوم 30 ديسمبر 1942 .

عن " صولو صفاقس"

في قاعاتنا السينمائية

إعداد : منير الفلاح

فيلم السيرة الذاتية لإيمي واينهاوس على الشاشات التونسية

يتبع العمل مسيرة وحياة المغنية الشهيرة (إيمي واينهاوس)، بداية من مرحلة المراهقة والبلوغ، مرورًا بالنجاحات الموسيقية الكبيرة التي وضعتها على قمة المطربين حتى وقتنا هذا.

يعتبر فيلم "Back to Black" الذي يحمل عنوان أشهر ألبوم في مسيرة إيمي واينهاوس، هو أول فيلم سيرة ذاتية عن إيمي واينهاوس يسلط الضوء على حياتها العائلية والفنية، ولا يعتبر الفيلم الأول عنها بعد وفاتها في عام 2011، إذ ظهرت العديد من الأفلام الوثائقية عن حياتها وإرثها، بما في ذلك الفيلم الوثائقي الحائز على جائزة الأوسكار لعام 2015 لأفضل فيلم وثائقي طويل "Amy"، بالإضافة إلى الفيلم التلفزيوني لهيئة الإذاعة البريطانية "Reclaiming" لعام 2021، وذلك قبل الإعلان عن تصوير فيلم السيرة الذاتية الجديد في عام 2018، والمعروض حاليا في القاعات السينمائية العالمية .

ورغم الاهتمام الكبير بفيلم السيرة الذاتية الجديد لإيمي واينهاوس "Back to Black"، إلا أن الفيلم أثار عاصفة من الجدل أيضاً بسبب انتقادات البعض للفيلم، حيث عبر البعض عن تخوفه من استغلال الحياة الدرامية التي عاشتها إيمي واينهاوس في تسليط الضوء فقط على اللحظات المؤلمة في حياتها، خاصة

يسلط الفيلم الضوء على صعود إيمي واينهاوس المبكر إلى الشهرة وإصدار ألبومها الشهير الذي يحمل الفيلم اسمه «Back to Black»، تعتبر «واينهاوس» التي توفيت عام 2011، أحد أعظم الفنانين في التاريخ الحديث، حيث باعت أكثر من 30 مليون تسجيل في جميع أنحاء العالم.

"الحرب الاهلية Civil War" في دور السينما التونسية

في إطار من الحركة والجريمة، يدور العمل في المستقبل القريب، حيث يسافر فريق من الصحفيين عبر الولايات المتحدة الأمريكية حين تصبح على وشك حرب أهلية مميتة بين مواطنيها.

رغم كون قصة فيلم Civil War عن حرب أهلية ثانية بين الأميركيين في زمن مستقبلي قريب مجرّد حبكة روائية متخيّلة، يسعى هذا الشريط الذي بدأت عروضه في بلادنا إطلاق النقاش في شأن الشعبوية والانقسام المتزايد داخل المجتمع الأميركي.

ويتناول الفيلم الذي أقيم عرضه التمهيدي في مهرجان SXSW، قصة رئيس يواجه انفصالاً من ولايتَي كاليفورنيا وتكساس.

وتتولى بطولة الفيلم الممثلة كيرستن دونست التي تؤدي دور صحافية في مجتمع منقسم. ومما يتخيله مثلاً، تفكيك مكتب التحقيقات الفدرالي (اف بي آي) ومهاجمة طائرات عسكرية مُسَيّرة مدنيين أميركيين.

وتبدي مجلة "ذي أتلانتيك" قلقها من كون الفيلم يشكلّ انعكاساً للمشهد السياسي الأميركي الراهن الذي يتسم بالانقسام.

والكاتب لا يتوقع حربا بين منطقتين جغرافيتين مختلفتين، كما حدث في الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب.

والأرجح في رأي ماركي تسجيل "فوضى متناثرة"، تشبه "الاضطرابات" التي كانت إيرلندا الشمالية تشهدها في نهاية القرن العشرين.

وتفادى المخرج إليكس غارلاند عمداً في فيلمه Civil War التطرق إلى مصادر النزاع أو التوجهات العقيدية المتصارعة، إذ رأى أن عمله ينبغي أن يثير "نقاشاً" في شأن انقسام المجتمع والشعبوية.

وتتمحور أحداث الفيلم بالفعل على الحياة اليومية التي أصبحت مروعة بالنسبة إلى الأميركيين.

وقال غارلاند خلال العرض التمهيدي للفيلم في أوستن، عاصمة ولاية تكساس "لسنا بحاجة إلى أن نتناول الأمور بلغة صريحة. نحن نعرف بالضبط كيف يمكن أن يحدث ذلك".

ويمكن إسقاط فكرة "الرئيس ذي العهود الثلاثة" في الفيلم على الواقع، إذ تذكّر بمخاوف كثر من الأميركيين من إمكان إعادة انتخاب دونالد ترامب.

ويخشى هؤلاء امتناع الملياردير الجمهوري عن التقيّد بأحكام الدستور الذي يحصر عدد الولايات الرئاسية الممكنة لشخص واحد باثنتين، وبالتالي ألاّ يترك السلطة بعد أربع سنوات.

ورأى وليام هاول أن هذا السيناريو ليس مستبعداً "إذا أُخِذ كلامه حرفياً". وأضاف "أعتقد أننا سنكون مخطئين" إذا لم نصدق ما يقوله.

المتحدون في دور السينما التونسية في نفس فترة عرضه عالميا

"المتحدون" هو أول فيلم روائي طويل لمخرجه ذي الأصل الإيطالي لوكا غوادانينغو وهو من تأليف الكاتب المسرحي الأميركي جوستين كوريتزكس وإنتاج إيمي باسكال وغوادانييينو وزندايا وراشيل أوكونور،

تدور أحداث "المتحدون" فى إطار كوميدى رومانسى حول شخصية تاتشى "زندايا"، وهى معجزة فى التنس تحولت إلى مدربة لزوجها آرت (مايك فيست) وحولته إلى بطل عالمى مشهور فى البطولات الأربع الكبرى، وتشابك ماضيها مع حاضرها عندما يواجه زوجها منافسًا كان فى يوم من الأيام أفضل أصدقائه وصديقها السابق ويجسده جوش أوكونور.

ويبدو كما لو أن عشاق التنس سيكون لديهم الكثير ليعجبوا به، حيث تحدث معظم القصة فى الملعب أو حوله على الأقل.

«منابع : «ورشاتهم»» الفن التشكيلي بالفضاء الثقافي « ريدار» منزل تميم:

فسحة لفرح يسري بين الضلوع

أ. نعيمة الحمامي التوايتي

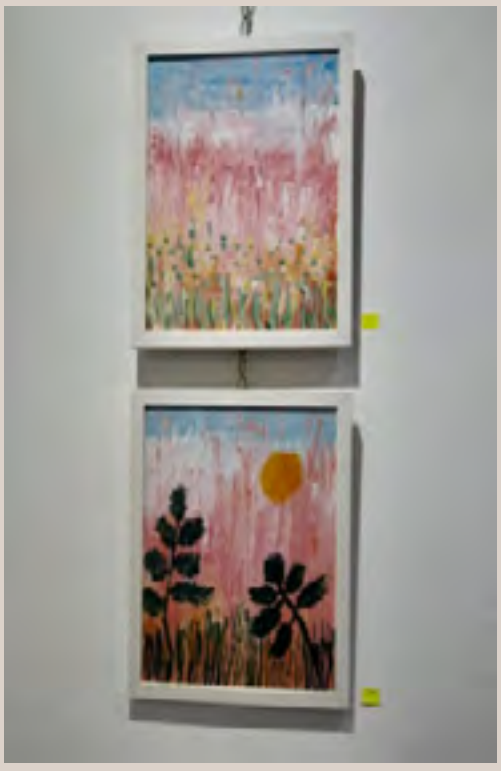

أسدل السّتار اليوم 16 أفريل 2024 على معرض «منابع « لورشات الفن التشكيلي بالفضاء الثقافي « ريدار» منزل تميم:الذي افتتح يوم 16 مارس / 16 أفريل 2024

كانت ليلة الافتتاح 16يوم مارس 2024 سهرة رمضانية تَعِدُ بساعات الزفاف الأولى الحُبلى بالحلم والأمل ولمحة لا تحتمل الإرجاء كالتقاط صرخة الولادة.

فلم تنتظر ركوب قرارك، بل قطفت شهقة الحياة وحللت»ريدار» تنتصر لحب الحياة وأنت بحلّة قشيبة تُحي موروث الجدّات والأجداد والماضي التّليد...

هكذا هو معرض «منابع «معرض ورشات الفن التشكيلي الذي فتح أبوابه لعشاق هذا الفن, فانساب هسيس الفرح يسري بين الضلوع يغرقك في طوفانه كإشراقة صباح ربيعي جميل. « منابع» وذكرياتُ مرّت من هنا منذ 22 سنة, التقت وتقاطعت. تعود بك آلة

الزمن إلى ماض بعيد قريب حين انطلقت ورشات الرسم التشكيلي سنة 2002 مع نادي عباد الشّمس مع القائدتين: التشكيلية الشاعرة هاجر ريدان وأستاذة الرسم عزّة بن صالح... ذكريات تداولت... وحاضر يتلألأ.. أسماء تتأهبُ وأخرى لمعت وأينعت في عالم الخطوط والألوان ومجالات الحياة المختلفة: أسامة بن ساسي، علاء الشريف، أسامة الماجري، بيية الماجري، فاطمة بن ساسي، الإخوة التوايتي، إشراق شقرون، الأخوين شنيور... وأسماء أخرى تخطّ خطاها...ذكريات وعائلات حاضنة ترى في عيون الطفولة غدا اسعدُ

انتظَرَنا الفضاء فلبينا، ومعرض التقت فيه أجيال وأذواق وتقنيات متنوعة اكريليك ، غواش، أكواريل, زيت... ومحامل راوحت بين ورق وخشب وقماش، ومشارب في التجريدي والتشخيصي والطبيعة الصامتة...

ورشات تأخذك إلى عالم جميل حين تُبحر، ولوحات تخرجك من حُفر النفس المتعبة ومن جنون الحياة. وتحكي لك بلغتها البصرية، إنشائيتها وتكوينها... فيسري في جسدك نسيم

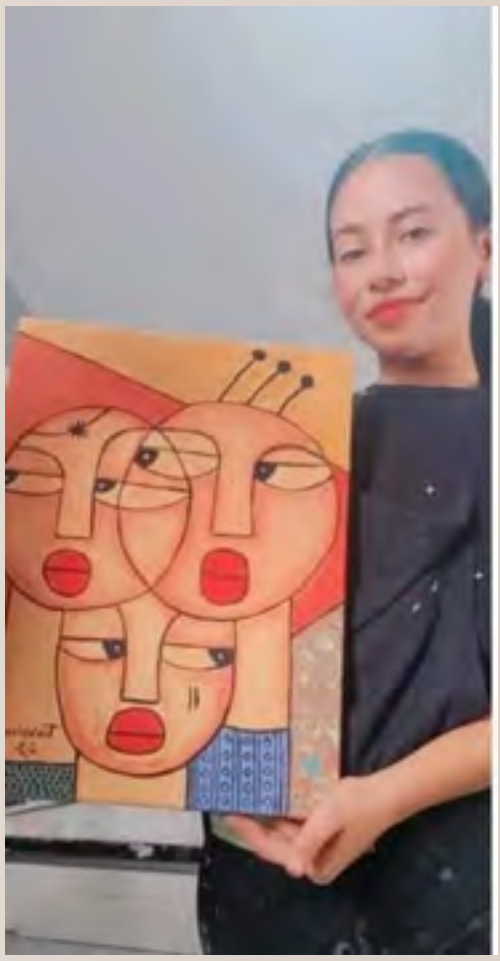

الحياة وبهجة النظر.

سعدت وكم سُعدت كما الحضور « المحتشم «, بوجودي في هذا الفضاء الأنيق, وبهكذا رحلة بين الخطوط والأشكال وألوان الطيف في فسحة أمل في هذه السّهرة الرمضانية المُترعة بأجوائها وأنفاسها ومُخرجاتها رغم عزوف الجمهور المتكرّر وغير المبرّر

ورشة الأطفال: شيماء، حسام، ميساء وورشة الكبار: نبيلة، آية ، مشكاة، فاتن، ونعيمة ولمسات من حكايات عشق وارفة لا تنتهي...

كل عام وانتم بخير.

جهات

بن عروس

في إطار الإحتفال بالأيام الوطنيّة للمطالعة والمعلومات في دورتها 32. تنظّم جمعيّـــة أحبّـــــاء المكتبة والكتـــــاب والمكتبة المغاربيّة ببن عروس تحت إشراف المندوبيّة الجهويّـــة للشؤون الثقافيّة ببن عروس وبالتعـــــاون مع إدارة المطالعة العموميّة ، الدورة الخامسة لملتقـــى بن عروس المغاربي للكتاب والمطالعة تحت عنوان :

« المكتبات في عصر الذكـــاء الاصطناعي: أدوار متجدّدة وخدمـــات مبتكرة »

وذلك أيّـــام 25-24-23 أفريل 2024 بياسمين الحمامات تزامنا مع الإحتفال باليوم العالمي للكتاب الذي يوافق 23 أفريل من كلّ سنة

تتسارع المستجدات التكنولوجية بنسق حثيث، وكلما ظهرت تقنية جديدة إلا ويعمل المتخصصون في مجال المكتبات والمعلومات على استثمارها واستخدامها في عمليات جمع المعلومات ومعالجتها وتحليلها وخزنها واسترجاعها. وبذلك فإن جل المهام المكتبية التقليدية قد تعهّـدت بها التكنولوجيا، وتراجع دور المكتبات لفسح المجال للشبكات الرقمية والمستودعات الإلكترونية وغيرها. وأمام هذا التحدي بات من واجب المكتبيين وأخصائيي المعلومات التكيف مع ظروف البيئة الرقمية وابتكار خدمات جديدة، خاصة مع ظهور الجيل الرابع من التطور التكنولوجي أو الثورة التكنولوجية القائمة على الذكاء الاصطناعي ومجموعة من التقنيات مثل البلوك تشين.

أمام مشهد المعلومات المتغيّر تسعى المكتبات الى مراجعة رسالتها ووظائفها وخدماتها، فعلاوة على وظيفتها التوثيقية، تقوم بوظائف اتصالية واجتماعية، فهي مكان للتعلم وإنتاج المعرفة والنشاط الثقافي والابداعي والحوار واللقاءات. إنها بحاجة الى إعادة الاعتبار لفضاء المعرفة المادي ودعمه امام الفضاء الافتراضي الذي هاجر إليه جلّ الشباب. فظهر مفهوم المكتبات كمكان ثالث، أي فضاء للاندماج الاجتماعي والابتكار واللقاءات الفكرية والتواصل مع المجموعات المكتبية. وبذلك تتحول المكتبات من فضاء معرفي مغلق الى فضاء معرفي مفتوح يلتقي فيه المستفيدون للقراءة والنقاش وتبادل المعرفة في أجواء ودّية. وهو كذلك فضاء للنفاذ المفتوح والعلم المفتوح بل للمجتمع المفتوح.

وتشارك في هذا الملتقى المغاربي إلى جانب تونس كلّ من الجزائر - المغرب -ليبيا - فلسطين (كضيفة شرف هذه الدورة)، وتحتوي ندوة الملتقى على 5 جلسات علميّـــة، تخصّص الجلسة الأخيرة منها للتضـــامن مع الشعب الفلسطينـــي والتي سيتمّ التداول فيها حول أهميّة المحافظة على الهويّة والتراث الفلسطيني لضمـــان حقّ العودة.

مع العلم أنّـــه سيقع تنظيم زيارة لمعرض تونس الدولي للكتاب للوفد المشارك في فعاليات هذا الملتقى بالإضافة إلى تقديم ورشة ومنبر حوار حول الذكـــاء الاصطناعي بالمكتبات العموميّة ضمن البرنامج الثقافي للدورة 38 للمعرض.

المنستير

بعد نجاحه في تنظيم الدورة الاولى من تظاهرة"المنستير للجاز"ينظّم المعهد العمومي للموسيقى والرقص بالمنستير بمقرّه والشراكة مع المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بالجهة وبدعم من ادارة الموسيقى والرقص وتحت اشراف وزارة الشؤون الثقافية فعاليات النسخة الثانية من تظاهرة"MONASTIR PLAYS JAZZ"وذلك من 27 أفريل الجاري الى 1 ماي القادم

وتفتتح هذه التظاهرة بعرض لعلياء سلامي بعنوان"THE FLAT FIVE QUINTET FEAT"ليكون الموعد يوم 28 أفريل الجاري مع عرض بعنوان"ALCHIMIE" لرفيق الغربي ثم يكون اللقاء يوم 30 أفريل الجاري مع عرض لنادي الجاز الجاز بالمنستير صحبة مجموعة LAURENT BLONDIAU من بلجيكا ثم يقدّم عرض"ASYME'TRIE" لسليم عبيد فالاختتام يوم 1 ماي المقبل بعرض"FY BELI" لوجيه البجاوي

ويندرج تنظيم هذا المهرجان حسب الاستاذ سامي الزهاني مدير المعهد العمومي للموسيقى والرقص بالمنستير المنظّم له في إطار التأسيس لتظاهرات موسيقية جديدة بولاية المنستير وبما يتماهى مع دور المعهد في التكوين والتأطير في مختلف الألوان الموسيقية وحرصا على ترسيخ ثقافة التسامح و في اطار حرص المنظّمين على تثمين الحراك السياحي والثقافي بالجهة استعدادا للموسم الصيفي وتقريبا لهذا اللون الموسيقي من محبّيه بالجهة

منصف كريمي

نابل / الحمامات

تعيش عاصمة الوطن القبلي بالتعاون المثمر مع المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بنابل ، على ايقاع الدورة الاولى من المهرجان الدولي للثقافة والفنون الذي صنعت جمعية " حسٌ " الثقافية والفنية والتنشيطية ميلاده وذلك أيام 25 .، 26، 27، 28 و29أفريل 2024 وذلك بالمنطقة السياحية الحمامات الشمالية وتتنزّل هذه الدورة احتفاء بالشاعر الغنائي والزجال التونسي - المصري : محمود بيرم التونسي ، حيث ينزل ضيف شرف حفيد الراحل محمود بيرم الذي لبى الدعوة للحضور ، وفي قراءة لمجمل فقرات المهرجان الموزعة على أربعة أيام نلحظ مشاركة عدد محترم من الشعراء والفنانين القادمين من مصر والسودان ، ليبيا وسلطنة عمان ثم تونس بالطبع وتراوح ردهات هذه التظاهرة بين المداخلات والمحاضرات ثم الورشات الفنية الخاصة بالفسيفساء والأمسيات الشعرية بحضور قامات أدبية من السعودية ، العراق ، اليمن ، الجزائر وعمان ثم السودان ..، دون التغافل على إقامة معرض وثائقي خاص بالكاتب الراحل: محمود بيرم التونسي متضمنا إصداراته ومقالاته وعدد مهم من الصور الفوتوغرافية إلى جانب سرد لسيرة محمود بيرم وعلاقته باصدقائه في تونس ومصر. ، هذا ويسجل الفنان الكبير : لطفي بوشناق حضوره لإحياء سهرة الإفتتاح ، وبيّنت لنا الاستاذة: لمياء بن الشيخ ابراهيم ، المسؤولة على العلاقات الخارجية أنّ المهرجان لم يكن ليستوي بهذه الأهمية والزخم الإيجابي والفعال من الغقرات لولا تظافر جهود الهياكل الجهوية من مندوبية الثقافة نابل وصولا إلى جمعيات ذات علاقة من تونس ومصر.

هذا وابلغتنا المسؤولة على العلاقات الخارجية بالمهرجان ان الدورة الأولى ستدور في تونس و تتبعها نسخة ثانية في الاسكندرية يؤثثها رئيس مهرجان الشعر العربي بمصر : أحمد قنديل.

يامل القائمون على حظوظ مهرجان الثقافة والفنون بنابل يتقدمهم الاستاذ: لطفي عبد الواحد ان تتحقق الأهداف التي من اجلها تأسّس دعما للمشهد الثقافي بالجهة والوطن العزيز تونس التي تبقى وجهة محبّذة لكل المبدعين من مختلف الجنسيات ونقطة لقاء لتناول أمّهات المسائل المرتبطة بالشان الإبداعي في البلدان العربية والغربية.

جلال باباي

منزل تميم

ينّظّم الفضاء الثقافي «ريد- آر» بالشتراك مع جمعية «تميم للمسح والأنشطة الثقافية والمهرجنات» بمنزل تميم,» الملتقى الوطني للقصة القصيرة جدّا» في نسخته الأول التي تحمل اسم المبدع الأديب التونسي,» محمّد بوحوش «.

وتعيش مدينة منزل تميم على وقع فعلياته أيام 3/4/5 ماي 2024. مرحبا بالجميع

نعيمة الحمامي التوايتي

جهات

مساكن

في إطار الاحتفال بشهر التراث وتحت إشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بسوسة، إنتظمت بدار الثقافة علي بن خليفة بمساكن الدورة التأسيسيّة لمهرجان مساكن لفيلم التراث وذلك من 19 إلى 21 أفريل 2024.

يهدف المهرجان إلى التعريف بالتراث المادي واللامادي من خلال توثيقه عبر الصورة الفوتوغرافية والأشرطة الوثائقيّة القصيرة، وتحفيز الشباب المهتمّ بالوسائل السمعية البصريّة إلى الاشتغال على التعريف التراث التونسي وذلك من خلال مسابقتي المهرجان في الصورة والأفلام الوثائقيّة، والتعريف بأعمال مختلف الهياكل التي أنتجت أو ساهمت في انتاج محامل بصريّة حول موضوع التراث منها وكالة احياء التراث والتنمية الثقافيّة والمدرسة العليا للسمعي البصري والسينما بقمرت والمركز الوطني للسينما والصورة، فضلا عن التشجيع على بعث نوادي للوسائل السمعية البصرية بالمؤسسات الثقافيّة

تضمن المهرجان مسابقة في الأفلام الوثائقيّة القصيرة التي تهتمّ بالتراث وقد تمّ اختيار 12 فيلما للمشاركة في المسابقة، ومسابقة الصورة الفوتوغرافيّة حول أحد عناصر التراث المهمّة وهو اللباس التقليدي وقد تمّ اختيار 33 عمل للمشاركة، ورصد المنظمون جوائز للفائزين في مسابقتيْ الفيلم والصورة.

برنامج المهرجان تضمن معارض للصورة الفوتوغرافيّة حول اللباس التقليدي، وعرض أشرطة وثائقيّة في إطار المسابقة بمشاركة شباب وهياكل من مختلف ولايات الجمهوريّة، وعرض أشرطة وثائقيّة حول موضوع التراث من انتاج وكالة احياء التراث والتنمية الثقافيّة والمدرسة العليا للسمعي البصري والسينما بقمرت والمركز الوطني للسينما والصورة، بالإضافة إلى ورشات تكوينيّة في الصورة وتحليل الفيلم وتقنيات الفيلم الوثائقي وتقنيات معالجة الصورة، وحلقة نقاش حول تاريخ وتراث مدينة مساكن، وعرض موسيقي تراثي للفنان سيف الدين معيوف، وعرض رقص فنّي أنتج خصيصا للتظاهرة لمجموعة Moons DANCE CLUB

المناطق الريفية بتونس

بمناسبة الدّورة 33 لشهر التّراث (18 أفريل – 18 ماي 2024) وفي إطار حملة توعية بأهميّة التّراث الوطني وضرورة المحافظة عليه، تنظّم وكالة إحياء التّراث والتّنمية الثقافيّة بالشراكة مع المعهد الوطني للتّراث تظاهرة ثقافيّة تربويّة تحت عنوان "تراثي الرّقمي في مدرستي" تتمثّل في تأمين زيارات ميدانيّة إلى المدارس الابتدائيّة المتواجدة بالمناطق الريفيّة والتي تحاذيها مواقع أثريّة وذلك بغية إطلاع تلاميذ هذه المدارس على ثراء مخزوننا التّراثي باستعمال وسائط رقميّة مبسّطة (تجارب رقميّة غامرة في الواقع الافتراضي والواقع المعزّز بواسطة Casque VR لعدد من المتاحف والمواقع الأثريّة والمعالم التاريخيّة).

هذا، وستشمل هذه التظاهرة خمسة مدارس وتقام كلّ يوم جمعة بمدرسة في الفترة المتراوحة بين 19 أفريل و17 ماي 2024 حسب البرنامج التالي :

يوم 19 أفريل 2024 بمدرسة "عين سيدي محمود" بمنطقة حاسي الفريد من ولاية القصرين بالشراكة مع المندوبيّة الجهويّة للتربية بالقصرين والمندوبيّة الجهويّة للشؤون الثقافيّة بالقصرين.

يوم 26 أفريل 2024 بمدرسة "قصر اللّمسة" بمعتمديّة الوسلاتيّة من ولاية القيروان بالشراكة مع المندوبيّة الجهويّة للتربية بالقيروان والمندوبيّة الجهويّة للشؤون الثقافيّة بالقيروان.

يوم 03 ماي 2024 بمدرسة "باطن الزمّور الطلح" بمعتمديّة بلخير من ولاية قفصة بالشراكة مع المندوبيّة الجهويّة للتربية بقفصة والمندوبيّة الجهويّة للشؤون الثقافيّة بقفصة.

يوم 10 ماي 2024 بمدرسة "جوف الصدين" بمنطقة الصدين بمعتمديّة مكثر من ولاية سليانة بالشراكة مع المندوبيّة الجهويّة للتربية بسليانة والمندوبيّة الجهويّة للشؤون الثقافيّة بسليانة.

-يوم 17 ماي 2024 بمدرسة "غسّانة" بمنطقة بازينة بمعتمديّة جومين من ولاية بنزرت بالشراكة مع المندوبيّة الجهويّة للتربية ببنزرت والمندوبيّة الجهويّة للشؤون الثقافيّة ببنزرت.

الحمامات

شهدت قاعة دار سيباستيان بالمركز الثقافي الدولي بالحمامات، دار المتوسط للثقافة والفنون، عشية الثلاثاء افتتاح معرض الثنائي الفنان علي البطروني والفنانة شيراز لسود، بعنوان «Eccertera quattro ci vedermo».

هذا المعرض هو نوع من المغامرة في الجيل و التجربة و التقنية و التوجه و هو مغامرة تحسب لقاليري دار سيبستيان التي أقدمت على تقديم تجربتين متضادتين في الظاهر منصهرتين في الداخل بين علي البطروني الرسام الذي رسخت تجربته في المشهد التشكيلي التونسي و الفنانة شيراز لسود التي تعتبر تجربتها شابة مقارنة بتجربة البطروني و لكنهما تجاوز ذلك الحاجز بإقامة حوار مشترك بين الداخل و الخارج و الظاهر و الباطن و بين تجربة الأزرق البحري في الشابة الذي تنتمي له شيراز لسود و أسوار العاطفة الانثوية في الجنوب التونسي التي الهمت علي البطروني مسائلة للجسد/ الجسم في جسديته اليومية بين الظهور والاختفاء .

بين هذا الثنائي تصاعد نوع من الإحساس المختلف تميز بنوع من التعارض بين خط علي البطروني الدقيق والمتصلّب، و التوازن وحرية الحركة لشيراز الأسود، وكذلك المزج الرائع للمواضيع المجازية خلق تباعدا مع القصائد الغنائية الشعرية المفعمة بالحيوية والحالمة و المندفعة والعذبة لينتج عن ذلك السؤال اللطيف او الاستنتاج أو المسلمة «Eccertera quattro ci vedermo » انه معرض فني بالأساس ولكنه تحول لمغامرة إبداعية خالصة بعيدة عن المألوف والسّائد.

نابل

تنتظم بدءا من يوم الأربعاء 24 أفريل الجاري وإلى غاية 26 منه ندوة علمية دولية كبرى، سيحتضنها فضاء المعهد العالي للفنون الجميلة بنابل -جامعة قرطاج، سيكون محورها مسألة «الإبداعية والنفعية»؛ في الفنّ والنقد وفي مجال البحوث التي موضوعها الجماليات والآداب والإنسانيات. وسيشارك فيها جامعيون مختصّون في الفنون والفلسفة والإنسانيات والآداب والحضارة من تونس وخارجها...

وستحتضن كذلك كلية الآداب والفنون والإنسانيات – جامعة منوبة، ندوة علمية دولية كبرى سيكون محورها «السردية» ستنعقد تكريما للأستاذ القدير الأستاذ محمّد الخبو وذلك أيّام 25 و26 و27 أفريل .. ويشرف على تنظيمها مخبر السرديات والدّراسات البينية الذي يديره أ. د نور الدّين بنخود.

فضاء الإبداع

شعر

وجعي قنّينة عطر محشوّة بدخان

عماد بن عبد الكريم

أوّاه ياظلّي المكرمش
بين أنين الأرض..
تنبشها
كالرّمس تحفرني
وقد تاهت منك التفاصيل

على حبل الغسيل ينشرني ظلّي
قميصا...
أتقاطر سؤالا ولا أراني

وي كأنّي والموت يرقص لي
أجندله في ثغرة من الزّمن

بالذّاكرة
إطار...
تخرج منه بندقيّة
وطفل من غزّة
يعلمنا....
فنون الموت...
كيف ننجو من الحياة...
وكيف "تعلو بنا الرتب"...

على مقربة من الصّبح كنتَ
كنتَ اليتيم
على الجثث المعطّرة
بروائح كريستيان ديور
تتلو سورةالكهف
على كروش مكوّرة
تتسابق لاقتناء
الكافيار
والسُكّر والحليب
في طابور ..
طويل طويل طويل
بعضه خامس
وآخر غير مبال بالرّكام
وبقيّة منه سيانيم

صاح ذرني
ومن ذبّحونا
والتقطوا الصّورسلفي
لاتسلني عن التّوبة والأعراب
وأُبيٌ فيهم
يؤمّ الناس في حرس

حكيم في عرفهم
من طاف بالقلّيس الأبيض معتمرا

بيت جدي القديم

سيد التوي

امس لم أغلق الباب
المزلاج صدئ
لم ألتفت
قطعان نمل كانت تشيعني
شجرة البرتقال يبست
عشب كزغب الحواصل في مجرى المزاريب
كلمات لزجة أسفل الجرار
وضحكات بلا شفاه وأسنان تصدر عن العلّية
لم أغلق الباب

مطر يهمي فوق رأسي كأنه خرافة
زيتونة البيت تنفض عنها دويبات الصيف
وتحك جلدها بقسوة
محراث جدي يحمحم مثل حصان عجوز
وعصافير كثيرة حجبت عنه شمس الصباح
بقدميّ بزوجي حذائي اللماع
دست حلازين استيقظت للتو
سمعت طقطقات قواقع
وصوتا خافتا لبكاء برائحة البحر
لم ألتفت
كأني أفرّ من شيء مّا
كنت أقرض ظفر سبابتي
بعنف غريزي.....
كأني مقامر سيء الحظ لم يبق له في جيبه
غير سخرية نادل سمج
كنت أركل علبة جعّة مطموسة.....

أركلها وفي كل مرّة يسقط مني شيء
عيني...يدي ...أنفي ...كبدي
أبي....أمي....قبلة حبيبتي المدفونة في
البيدر....
لم ألتف
هرولت بروح مغبرّة مرهقة
بين باب بيت جدي وباب الحقل مدّت أغصان
أشجار اللوز أذرعها لتعتصرني...
أهرول ....أمشي ...وكلّي طيف أزرق دام....
وحين وضعت قدمي خارج بيت جدي الكبير
سقطتْ مني قدمي...
سقطتْ .....
مرة واحدة....
كالأمل من فؤاد مُنتحِر...
وها أنا أعرج في المدينة بقلب منفطر ودماغ
فارغ ومشوَّه كعلبة جعة فارغة

كم أتمنى أن تختفي من المرآة

سليمى السرايري

مِنْ جديدٍ أَرْتَطِمُ بِهذَا الأرَقِ
أَتَمَسَّكُ كَيْ لا أَهْوِيَ كَطَائِرٍ فاقِدِ الوَعْيِ
أو كطائرةٍ ورقيّةٍ تحطَّمَتْ أَجْنِحَتُها.

مِثْلَ أيِّ وقتٍ مُنْهَكٍ
أسْتَرِقُ السَّمْعَ لِوَشْوَشَةِ جَارِنَا المُتَصَابِي
في تِلْكَ الغُرْفَةِ الواقِفَةِ على سَطْحِ العمارةِ
وهْوَ يُمارِسُ حَقَّهُ في العِشْقِ الحرامِ.

مِنْ جَدِيدٍ أَحْتَضِنُ صَمْتِي
أُقَبِّلُ وَجْهِي في المِرآةِ
يُرَاوِدُنِي طَيْفُكَ
كُلَّما أطَلَّتِ الشَّهْوَةُ مِنْ عيْنَيْكَ
وَأَطْلَقَتْ صَفَّاراتِ جُنُونِها
أُدْرِكُ جَيِّدًا حينها
انَّكَ لن تتوقّفَ في فاصِلٍ ولا نُقْطَةٍ
عُبُورُكَ يَسْحَبُنِي لِلغَرَقِ
إلى شَغَفِ الاخْتِرَاقِ
كَأَنَّنَا نَعْصِرُ عِنَبَا
نَرْتَشِفُ كُؤُوسَها بِبُطءٍ لذيذٍ
ونحنُ نُلَمِلِمُ ما وَقَعَ مِنّا مِنْ تَنْهيداتٍ...
أُدْرِكُ أنّي بِجانِبِ شُرُودِي
أَتَمَعَّنُ في وجهِي المتورِّدِ
بينما تَنْهمِرُ القُبُلاتُ مِنَ المرآةِ

وَجْهِي الَّذِي يُشْبِهُ هذا السُّكُونَ
وتلك العُزْلَةَ الّتي تَمُدُّ ألْسِنَتَها
كلّما اشْتاقَنِي جُنوني
وانكَمَشَتْ أُنُوثَتي
كصبيَّةٍ مُنْكَسِرَةٍ في وحدتِها...
كَشُرْفَةٍ وحيدةٍ دون حِيطَان

سألتُني
وأنا أتسمّعُ إلى جارِنا النّحيلِ
وقد برَزَتْ عِظامُهُ من تحتِ القَميصِ.
) من أين يأتي بالفصاحةِ كُلِّها) ؟...
ألامِسُ جَسَدِي الصّارخَ بالأُنوثةِ
أَلْمَحُ طَيْفَكَ في هواجِسِي عَبْرَ المرآةِ
يَتَحَوَّلُ فَجْأَةً إلى طائرةٍ ورقيّةٍ
عبثاً أُحَاوِلُ أنْ أُمْسِكَ الخَيْطَ الوحيدَ
الّذي يَشُدُّنِي إليكَ...

أنْزَلِقُ داخِلَ ارتِعاشاتي
الغرفةُ تَطِيرُ خَلْفَكَ
التفاصيلُ الصّغيرةُ تطيرُ أيضا...
الولاّعةُ الذّهَبيّةُ الّتي نسِيتَها
وربطةُ العُنُقِ المنقّطَةُ الّتي أحبُّها

الأشياء التي اقترفناها،
أعلنت كسرَ قوانينِ القبيلةِ
وطارتْ كَسرْبِ العصافيرِ.

لكنّك كنتَ بعيداً ... بعيدا جدّا
تحاورُ حورياتِ السَّواقِي
وهُنَّ يُهَرْوِلْنَ تحت أَشْجارِ التُّوتِ.

دونك انا ألثُمُ الغيابَ الكَالحَ والسّرابَ.
مجرّدٌ هذا الهُراءُ المثقوبُ
من الرَّقصِ والنِّثارِ...
ولحظةُ اغرائي مسكونةٌ بقسوةِ الفقدِ
ووحشةِ الفراغِ

ماذا أنا بعدك؟ كتلةُ أشواقٍ في غُرْفةٍ خاويةٍ؟
وسادةٌ صارخةٌ بلذّةِ سياطِ البُعدِ؟
تُذرِفُ دُموعَها في المسافةِ الفاصلةِ؟
واكبُ الفوضى التي أقمتَها بداخلي
تصدّ عنك صهيلَ الرِّياحِ...
قوافلُ توسّلاتي، تصرخ:
رجاء لا ترحل...

والآنَ،
الآنَ فقط، كم أشتهي غِيابَك...
لم أعُدْ أنتظرك على ضفافِ شَهْوَتي
لقد أغلقتُ ميناءَ الوصولِ إليَّ
وأطلقتُ زوابعَ أمواجي الجارحةِ...

الرِّيحُ عاتيةٌ هذا المساءَ
السَّاعةُ الكبيرةُ توقّفت دقّاتُ نواقيسِها...
فساتيني الشّفّافةُ تمرّدَت
أخرجت أكمامَها من الخزانةِ
كأنّها تُلوّحُ لِهذياني.
هي، وأنا، انتظرناك طويلا... طويلا...
انفرَطْنا كعِقْدٍ
وتَدَحْرجْنَا كحبّاتِ خِرَزٍ
كم أتمنّى ألا تأتِيَ هذه الليلةَ!!!
وكم أتمنّى أن يَختفيَ طيفُكَ منَ المِرْآةِ!!!

خائن من لم يجنّ

محمد الهادي الجزيري

كُرتي ترفض أن تدخل إلاّ في شِباكي
وأخي.. ابن أبيه
صاحبي
لا .... َبلْ أخي
ينفخ من روحه في جثّة كلب
عضّنا الاثنين مرّات و...
أحيانا أنا أبكي على بغداد
أو لاشيء... لاشيء
فقط أطلب كأسا من غدير أو صنمْ

والذين... الشعراءُ... الإخوة الأعداءُ
نخاسو شعوب وأممْ
.....
ما الذي تفعله الدمية في حضرة ذاتي ؟!
أخْرجوها من منامي والقلمْ
أين حُجّابي؟!
وأين النور ... من أغلق في وجهه بابي؟!
.....
ليس هذا كلّ شيء
كلّ خلاّني وأتباعي وندماني معي
طبعا أنا وحدي
وأمّي تغرز الإبرة في عيني
ليقتات فراخ نزحوا منّي
وأحيانا أنا أبكي على بغداد
أو أخرج للنزهة... لا أمشي يمينا مطلقا
فأنا لا...

ثمّ ماذا ولماذا
وعسى أن تكرهوا شيئا ولا حول ولا معنى
دعوني يا خدمْ
أخرجوا الدمية منّي
ودعوني مع خلاّني وأتباعي وندماني ووحدي
مثل كلّ الناس وحدي
كان لي شعب وطفل وعلمْ
إنّها الريح إذن ... ممحاة ما يُمْحَى
أنا أُمْحى ... أنا أُمْحى؟
لكم تكرهني الريح ولم أفعل لها شيئا
سوى ما يفعل السورُ
وأحيانا أنا أبكي على بغداد
أو أبحث في جيبي عن الدنيا
ولا أبرز كفّي للوطنْ
خائن من كان مثلي
خائن من لم يجنّْ

أنتريتي نبّار

يحيى محمد الأديب الذي نجح في تنشيط العاصمة ثقافيا

الأديب يحيى محمد رحمه الله هو الصديق والأخ الكبير والسند لي زمن بداياتي في ميدان التنشيط الثقافي هو الذي نصح الوزير البشير بن سلامة بتعييني على رأس دار الثقافة احمد خيرالدين بباب العسل سنة 1985 قائلا:» هذا الشاب المتخرج من حركة نوادي السينما قادر على جعل هذا الفضاء خلية نحل واستقطاب شباب المناطق الشعبية المجاورة والانفتاح على المؤسسات التربوية الموجودة في المنطقة»...

كان يحيى محمد مثقفا، محبا للأدب فاعلا فيه، قضى حياته بين خلاياه المتعددة من مسرح وقصة ورواية ومقالة ، حتى لما أعوزه البصر ما كان يبخل بكتابة مداخلاته ومقالاته، كان يتنفس ثقافة، ولم لا وقد نهل من فيض شيخ الأدباء محمد العروسي المطوي وقد عاشره دهرا ، من يوم كان طالبا بجامع الزيتونة، فكان تلميذه طيلة حياته، وورث عنه رئاسة النادي الثقافي أبو القاسم الشابي.

ولد يحي محمد بتونس العاصمة في 29 أوت1931 كتب المقال والقصة القصيرة والرواية والمسرحية، وله دراسات وأبحاث في التاريخ والأدب.

تعلم بالكتاب، ثم انتسب سنة 1948 إلى طلبة جامع الزيتونة، أحرز شهادة التحصيل في العلوم سنة 1955. اشتغل بعد التخرج معلما بالمدارس الابتدائية، ثم التحق بوزارة الشباب والرياضة ثم بوزارة العدل، وأخيرا وزارة الثقافة في نهاية السبعينات. عين سنة 1984 مندوبا جهويا للثقافة بولاية تونس وعضو اتحاد الكتاب التونسيين ونادي القصة منذ تأسيسهما.

اثث خزينة الادب والفكر بعديد الاصدارات نذكر منها «نداء الفجر «ـ مجموعة قصصية ـ الدار التونسية للنشر 1969

و»حوار في الظل» ـ مجموعة قصصية دار الكتب الشرقية 1973 و»أحاديث النسيان» ـ رواية ـ منشورات قصص 1977 و»نوافذ السرداب» ـ رواية 1978

و»زمن الغياب «ـ مجموعة قصصية 1984

و»زاد الوفاء» ـ مجموعة مقالات 1985

و'في الدرب المسرحي ـ مقالات ، 1988

نفق الطوفان» ـ رواية 1990

و»أولاد الحومة «ـ رواية 1994

و»زمن الحظ» ـ مجموعة قصصية 1996

و»غربال العولة» ـ رواية.. وغيرها من القصص والروايات.

عرفت سي محمّد عن طريق ابن منطقته المطوية بولاية قابس استاذي وابي الروحي المرحوم سمير العيّادي واصبحنا نلتقي بصفة دوريّة وإشتغلت معه لمّا كان مندوبا للثّقافة بولايّة تونس وكنت ساعتها مدير دار الثّقافة احمد خيرالدّين بباب العسل وكان نعم الصّديق ونعم الزّميل...

أذكر انه ساعدني كثيرا في تحديد نوعية العلاقة بين المؤسسة الثقافية التي اديرها والمؤسسة السياسية التي استحوذت في عهد الكاتب والصحفي وحيد الخضراوي على جانب كبير من مقرات دار الثقافة وحولته الى مكاتب تابعة للجنة التنسيق الحزبي لتونس الشمالية... تدخل سي يحيى محمد بالتعاون مع معتمد المنطقة وفصل بين الفضاءات وخصص مدخلا خاصا برواد الدار ... ووفر جملة من التجهيزات لاستقطاب الرواد من تلامذة وطلبة لعل اهمها قاعة المطالعة والمراجعة التي أصبحت تعج بتلامذة البكالوريا ... وكان من المناصرين لبعث نادي الدراسات المسرحية بإدارة الطالب بمعهد الفنون المسرحية آنذاك ابن القيروان « كمال العيادي» الشهير هذه الأيام ب»الكينغ» وكانت تجربة ناجحة استقطبت طلبة المعهد ورجالات المسرح على حد السواء.

وأذكر ايضا انه شجع ماديا على إصلاح آلة العرض 35 مم التابعة لدار الثقافة وتكليف العارض الخاص بمندوبية الثقافة «هشام الكنت» بتشغيلها اسبوعيا يومي السبت والاحد لتامين حصتي ناديي سينما الكهول والاطفال التابعين لدار الثقافة.

وانهي بطرفة عشتها معه اثناء الحملة الثقافية للانتخابات الرئاسية لسنة 1989 التي اشرفت على تسييرها بأمر من مديرها منصر الرويسي رحمه الله، حيث قدم سي يحيى محمد لمكتبي بمقر الحملة بدار الورد مقترحا مساعدته لي وتسخير المنشطين الثقافيين التابعين لمندوبية الثقافة بتونس العاصمة لانجاح البرنامج الذي وضعته قائلا :» يا منير أنت ولدي ونجاحك نجاحنا جميعا»

وان انسى فلن انسى لما دعاني وزير الثقافة سي منصر الرويسي للاختيار بين اشرافي على مندوبية الثقافة بتونس العاصمة خلفا لسي محمد يحيى المحال عل التقاعد أو اشرافي على تسيير دار الثقافة ابن خلدون خلفا لجوهر الجموسي ... فطلبت النصيحة من استاذي يحيى محمد فقال :» أنت مثقف ومنشط حر وافضل مكان لتفتيق مواهبك هو دار ثقافة في حجم دار الثقافة ابن خلدون وأنا على يقين انك ستعيد لها امجادها «

رحم الله استاذي سي يحيى محمد الصديق الصدوق.

طرائف الزعيم (ج 381)

بورقيبة المستمع الاكبر للإذاعة

هذه العبارة جاءت على لسان الاديب عبد العزيز قاسم في حديثه عن الزعيم بورقيبة وعلاقته بالإذاعة وبرامجها .

يقول الجامعي والكاتب عبد العزيز قاسم،صاحب كتاب "بورقيبة المستمع الأكبر-بين أذن الرضى وأذن السخط" ، متحدثا عن كتابه : "هذا الكتاب هو مساهمة في تاريخ الإعلام في تونس ، اولا لأن تاريخ نشأة الاذاعة يكاد ان يكون غير معروف..ثانيا لأن الاعلام في عهد بورقيبة الذي اعتبر ان الاذاعة بمثابة مؤسسة سيادية ،هو سلاح في يده لمقاومة التخلف ولتحرير الفكر التونسي. "

واضاف عبد العزيز قاسم في حوار له على موجات إذاعة "شمس اف ام"، متحدثا عن أهمية الاذاعة بالنسبة للزعيم الراحل الحبيب بورقيبة، "هي جهاز في منتهى الاهمية كان الرئيس يوقع شخصيا على تسمية الوزراء وعلى تسمية المدير العام للاذاعة والتلفزة لانه سيكون على صلة مباشرة به ويجب ان يكون راضيا عنه"، مفيدا بان بورقيبة كان يستمع إلى الاذاعة مدة 6 ساعات على الاقل يوميا بسبب الارق الذي يصيبه ليلا.

وتطرق إلى شغف الرئيس الراحل بالبرامج الادبية والشعرية ، قائلا في هذا الصدد "كان يتابع ما يكتبه الادباء الناشئين والاديبات الناشئات وكان يتدخل في بناء القصة حسب تفكيره الكلاسيكي"، معتبرا ان بورقيبة كانت له "مسؤولية أبوية إتجاه تونس"، مبرزا انه كان لدى بورقيبة نوع من الإمتعاض والمرارة من تصرفات المعارضة وانه كان يقول "كيف يعارضونني وانا احاول ان اشتغل على الخروج من التخلف وبناء دولة حديثة وعصرية".

ونفى عبد العزيز قاسم صفة "الدكتاتورية" عن الزعيم بورقيبة قائلا "كان بالامكان تعديل رأيه في العديد من المسائل ومنها المسألة الدينية"، مضيفا" خطبة الجمعة التي كانت تبث في الاذاعة فرضت عليه فرضا من قبل حكومته.. هذا بورقيبة الذين يصفونه بأنه ديكتاتور؟".

فنّ وفنّانون

فريال يوسف قراجة سعيدة بنجاح عملها الرمضاني « بابا جه»

صرحت فريال يوسف قراجة ان مسلسل «بابا جه» حظي بنسب مشاهدة عالية على منصة شاهد والقنوات المصرية ويشهد تفاعلا كبير ا من الأطفال ...صوّرنا «بابا جه» بتأنٍّ لأن الكوميديا أصعب من التراجيديا ووائل حمدى سيناريست سلس في الكتابة...السيناريو هو الأساس في الأعمال الفنية يليه الإخراج والتمثيل...أوّل مرة أتعامل مع أكرم حسني وهو إنسان رائع على الصعيديْن المهني والإنساني»..

وأضافت فريال يوسف قراجة ان غيابها عن الأعمال التونسيّة ليس قرارا شخصيا ولكنها لم تجد بعد عمل يشبعها فنيا وعلاقتها خاصة بالجمهور التونسي ولن تتغير .

الموسيقار التونسي أمين بوحافة تفاجأ بالردود الإيجابية على مسلسل «الحشاشين»

صرح الموسيقار التونسي أمين بو حافة مرخرا بعد نجاح مسلسل « الحشاشين» عل استقطاب إعداد قياسية من المشاهدين العرب وقال:» تفاجئت بردود الأفعال الإيجابية على «الحشاشين» ولم أكن أتخيل أن تكون بهذا الكم ... وموسيقى «الحشاشين» استغرقت قرابة 5 أشهر والأنماط الموسيقية في العمل سجلت بين إيران، تركيا، فرنسا وألمانيا»

هل تصبح» هند صبري» وزيرة خارجية؟

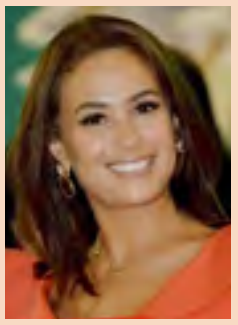

أكدت النجمة التونسية هند صبري أنها كانت تتمنى أن تصبح وزيرة خارجية بسبب حبها الشديد للعلاقات الدولية قائلة: "كان نفسي أبقى وزيرة خارجية أو سفيرة أو دبلوماسية لأني بحب العلاقات الدولية".

وأضافت هند صبري في تصريحات تلفزيونية لها: "عمري ما كان عندي حس فني وأبص في المراية وأمثل، بالعكس كنت دحيحة جدًا وبحب المدرسة وكنت الأولى على الفصل والتفوق الدراسي كان بالنسبة لي مهم جدًا"

هذا الكلام صرحت به الفنانة هند صبري لما حلت ضيفة على برنامج "ألبوم صور" مع إيناس سلامة الشواف على راديو إنرجي، وقالت إنها في حياتها تعرضت للصدمات من عدة أشخاص ولكنها تعلمت الكثير.

هل كتب دور « يعقوب» خصيصا لمغني الراب «جنجون»؟

أكد فنان الراب "جنجون" أن دور يعقوب في الجزء الثاني من مسلسل "فلوجة" كُتب خصيصا له، قائلا "سندس عبد الرحمان عندما كتبت شخصية 'يعقوب' فكرت فيا.. واللهجة التي نستعملها في التمثيل ليست جندوبية 100 بالمائة.. والمسلسل مكنني من الانتشار المغاربي لأن العديد من العائلات لم تكن على علم بأنني فنان.."